المسلمون
بين
الماضى والحاضر

دراسة فى حاضر العالم الإسلامى

تاليف

الدكتور / جلال سعد البشار

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الإسلامية

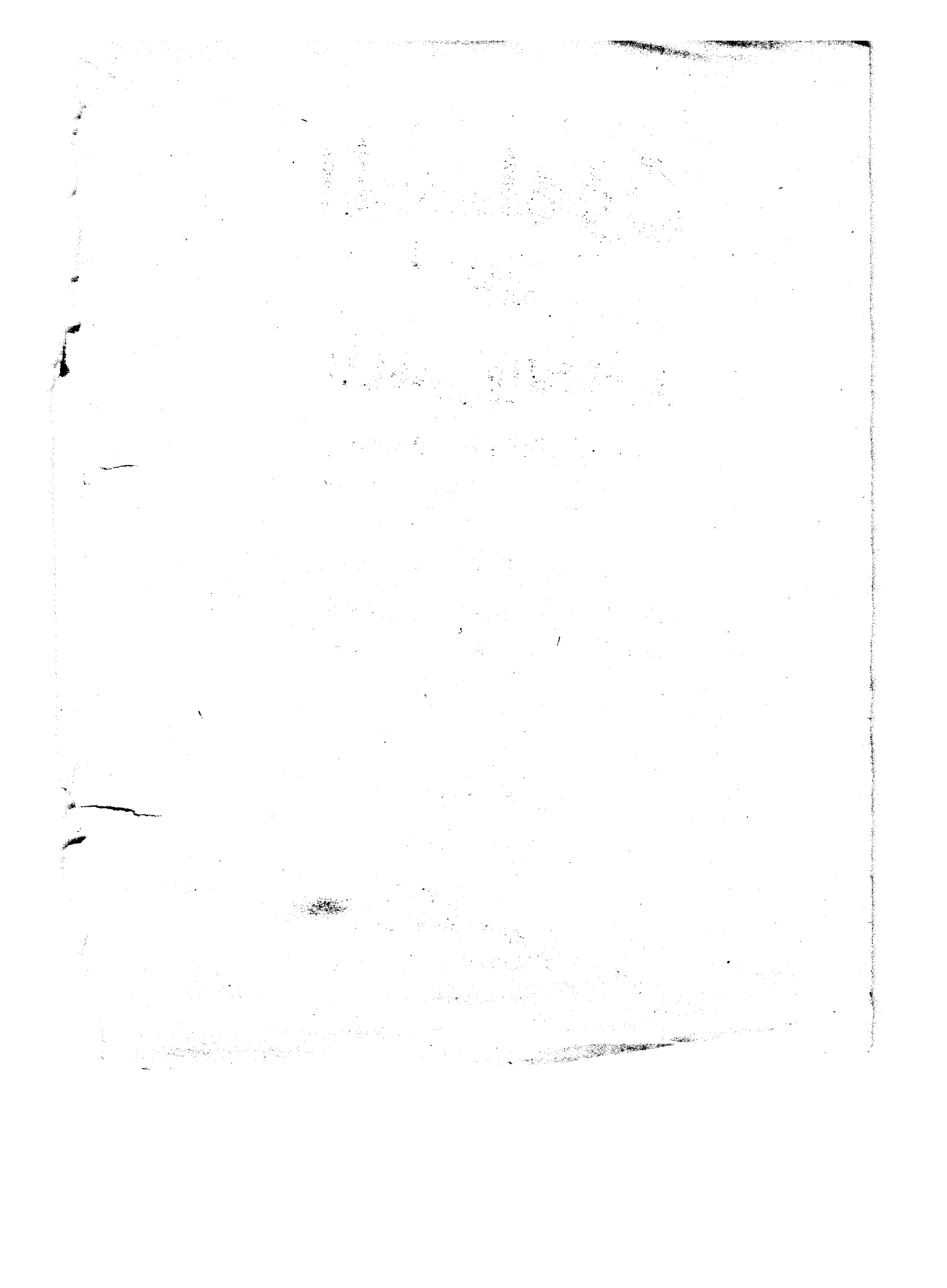
جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

دار الاتحاد التعاونى للطباعة

ت ٢٩٥٦٨١٠

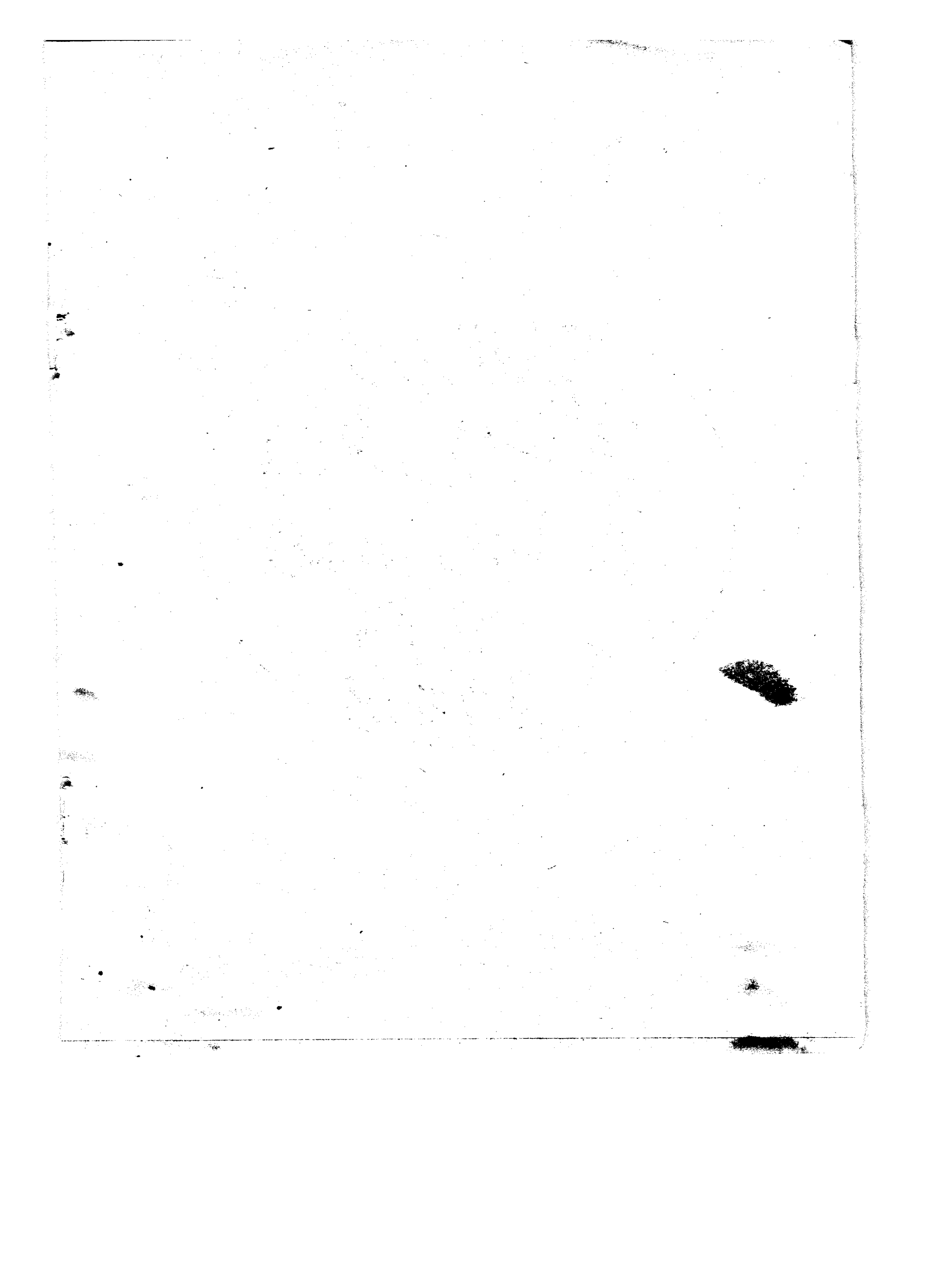


بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ

الأنبياء ٩٢

صدق الله العظيم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آلة وصحبه أجمعين ... وبعد :

فإن الإنسان إذا جال ببصرة فى العالم من حوله ما رابما فيه من صراعات وخلافات فإنه بقليل من التأمل يجد أن للعالم الاسلامى الحظ الأوفر منها ، حرب هنا ، تشديد هناك ، والوان وصور من الحصار فى كل بقعة في العالم... فيتساءل فى دهشة : لماذا هذا كله ؟ ولماذا المسلمون بالذات ؟ فالدول الاسلامية ابتلى أغلبها بالأستعمار ونهبت خيراتها وبددت ثرواتها ، والأقليات المسلمة محاصرة فى أماكنها ، وتروج الشعارات التى يهدف أصحابها إلى إحلالها محل الاسلام ورابطته .. إلى غير ذلك من مختلف اشكال الحرب ضد الاسلام ، والمسلمون فى كل البقاع يمثلون دولا نامية أى متخلفة وفقيرة تمديدها طالبة العون من اعداء الاسلام .

فى الواقع المعاصر ينغمس المسلمون اكثريات أو أقليات فى مشاكل شتى ويعانون من عقبات كؤود .. فعلي سبيل المثال امام العالم مشكله كشمير حيث تقع جنوب هضبة البامير مجاورة لكل من باكستان الغربية والهند ، ولب المشكلة ان الدولتين تتنازعانها والحرب دائرة بينهما لا نتزاع الاقليم من الدولة الأخرى ويقسم خط وقف اطلاق النار بين الهند وباكستان بينما تسيطر باكستان على ثلث مساحة الاقليم وتسيطر الهند على الباقى ، والحاصل أن امامنا اقليما اسلاميا يعيش فيه حوالى ٣ مليون مسلم من اجمالى عدد السكان الذى يبلغ ٤ مليون أى يمثلون ٧٥ ٪ من السكان لا يتحدد مصيره ويتعرض المسلمون فيه مع غيرهم للموت والقتل بسبب النزاعات المستمرة بين باكستان المسلمة والهند .. ما موقف العالم الأسلام ؟ لا شئ .

وكذلك مشكلة فلسطين وهي من دول العالم الاسلامى التى ابتليت بالاحتلال الصهيونى ، ومن الغريب أن الصهيونية لم تكن من وحى اليهود بقدر ما كانت من تدبير غير اليهود من اللوردات البريطانيين ففكرة إنشاء وطن قومى للصهانية فى فلسطين فكرة انجليزية بقدر ما كانت فكرة يهودية ، والتاريخ لا ينسى وعد بلفور عام ١٩١٧ . الذى تنظر فيه حكومة صاحب الجلالة بعين العطف الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وأنها ستبذل اقصى جهدها لتيسير هذا الهدف حقا « إن من يملك أعطى من لا يستحق »(١) واستقر اليهود فى فلسطين يعيثون فى الأرض فسادا بالقتل والتشريد والحرق والابادة ولم ينس التاريخ مذابح دير ياسين ، وصابرا وشاتيلا وغيرها كثير ، وقتل المصلين بالمسجد الأقصى واحراقه .. ثم ماذا ؟ انشاء مستوطنات وتهجير اليهود السوفيت والامريكان إلى اسرائيل (فلسطين) ، وإن كان هذا التجميع اليهودى حتمية تاريخية ليتحقق وعد الرسول ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر والشجر : خلفى كافر » وفى رواية : « خلفى يهودى » (٢) الا أن اعداد اليهود المهجرين إضافة إلى المقيمين القدامى منهم شكل من اليهود اغلبية وصار المسلمون فى فلسطين اقلية بعد أن كانوا اغلبية .. ولا تزال المشكلة كغيرها من مشكلات المسلمين بلا حل ..

ومما يندى له الجبين هو التطاحن بين الدول الاسلامية فيما بينها وأبرز مثل معاصر لذلك هو حرب الخليج الدائرة : العراق مع ايران ، التى نشأت بسبب النزاع على الحدود وبالتحديد حول شط العرب .. واستمر القتال حوالى ثمانى سنوات ذهب فيها المال والعتاد وساء الاقتصاد فى كل منهما واريقت دماء المسلمين ، والعالم يرقب لتصدير السلاح وضده إلى اطراف

(١) من احدى خطب الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٦٧ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة كتاب الفتن وأشراط الساعة ٥/٧٦٧ ط. الشعب .

النظام ، ثم تعدلت الدعوى إلى ان للعراق حقا تاريخيا فى الكويت ، وقد اهتم العالم شكلا بتلك المشكلة واتخذ مجلس الامن قرارات آخرها قرار الانسحاب من الكويت ثم قرار المهلة التى حددت بيوم ١٥ يناير ١٩٩١ لينسحب العراق من الكويت وإلا لجأت دول العالم الى الحل العسكرى ، وكان ذلك ، فقد انسحبت العراق من الكويت بعد قيام القوات الدولية المتحالفة بضرب العراق بمختلف انواع الأسلحة وكانت مواجهة قاسية ثم بعدها الانسحاب ، وكان العالم كله يرقب ما يحدث منتظرا نتيجة ما تقوم به الدول المتحالفة من ضرب وقذف واحراق وتدمير وما ترد به العراق .. وما ينشأ عن ذلك من خسارة بين الفريقين وخسارة العراق أضعاف خسارة الدول المتحالفة .. وعندئذ نتساءل : إلى متى ولمصلحة من ؟ ، إن السلاح العراقى الذى يدمر القرى التى تباد والاموال التى تهدر ، والدماء التى تراق .. كل هذا سلاح المسلمين ودماؤهم وأموالهم ويخفض من قوتهم العسكرية ورصيدهم ورجالهم .. وإن عدوان النظام العراقى على الدول المجاورة أو التهديد بغزوها او ابادتها انما هو اضعاف لقوة المسلمين وفتح الباب على مصراعية امام قوى الغرب للتدخل فى شئون العالم الاسلامى .. فماذا فعل المسلمون ازاء هذه المشكلة وماذا قدموا لحلها ؟ انهم شاركوا الغرب فى الحظر الذى فرض على الشعب العراقى .. فياليتهم يفيقون من سباتهم ويجتمعون من فرقتهم وتتوحد كلمتهم فى ضوء الوحدة العضوية للأمة ..

وتتعرض الأقليات المسلمة فى العالم الاسلامى لمشاكل عديدة يعانون منها ويعيشون فيها ، ويغلب على تلك المشاكل الاسباب الدينية ، لان المسلمين يتزايدون بنسبة اكثر من غيرهم وهذا يقلق اصحاب الديانات الاخرى فدائما يختلقون اسبابا واهية ، او حوادث مفتعلة للزج بالمسلمين فيها ثم يعملون فيهم اسلحتهم قتلا وإبادة وتدميرا كحرب الهندوس فى الهند ، والبوذيين فى

وتايلاند ، وحرب النصارى فى الفلبين وافريقية واندونيسيا . . ومن ذلك :
الحملات التبشيرية الصليبية حيث تعمل الارساليات التبشيرية على الوقوف فى
وجه الاسلام وهى من اوسع المؤسسات فى العالم واكثرها غنى ودعما من اتحاد
الكنائس العالمى بهدف نشر النصرانية فى العالم ، وفى امريكا نجد بالاضافة الى
ما سبق مشكلة من نوع خاص حيث يتواجد المسلمون فى مناطق متفرقة
متباعدة . كل على حسب عمله وحسب ظروف الاقامة التى يتطلبها العمل . .
فيتعذر قيام مسجد يجمعهم أو مدرسة يتعلم فيها ابناؤهم وهكذا تضيع الأجيال
فى خضم الحياة المادية . .

وأصبح المسلمون على الرغم من كثرتهم العددية ضعافا طمع فيهم الكبير
والصغير وصاروا كما اخبر الرسول ﷺ عنهم : كغثاء السيل ـ كما بلا كيف ،
وعددا بلا تاثير ، هان عليهم دينهم فهانوا علي جميع الامم وتداعوا عليهم
يسلبون خيراتهم وينهبون ثرواتهم ، كما يتداعى الأكلة على قصعتهم كما فى
حديث الرسول ﷺ .

ومما لا شك فيه ان الاسلام بدأ قويا عزيزا انتشر نوره فى كل البقاع وسرى نوره
إلى كل القلوب لموافقته النفوس والفطرة المجبولة على الطاعة ولما فيه من تحرير
المستضعفين من اغلالهم التى كبلهم بها ملوكهم وأباطرتهم ولحصولهم على
حريتهم فى ظل الإسلام وتعاليمه السمحة وبتلك التعاليم تمت الفتوحات
الاسلامية وقويت دولة الاسلام وعظم شأن المسلمين . . وتوالت السنون ومرت
القرون لتنصب على المسلمين الاحقاد وتحاك ضدهم المؤامرات واصبحت
اوطانهم مطمعا ونهبا لكل من هب ودب من الامم فما تلك الحالة التى وصل
إليها المسلمون ؟ وما سرماهم فيه من فقر وتخلف واحتياج الى غيرهم؟ وهل
هذا لضعف او قصور فى منهج الاسلام ؟ او هو نتيـجة لضياع شخصية

المسلمين لتخليهم عن منهج الإسلام ؟

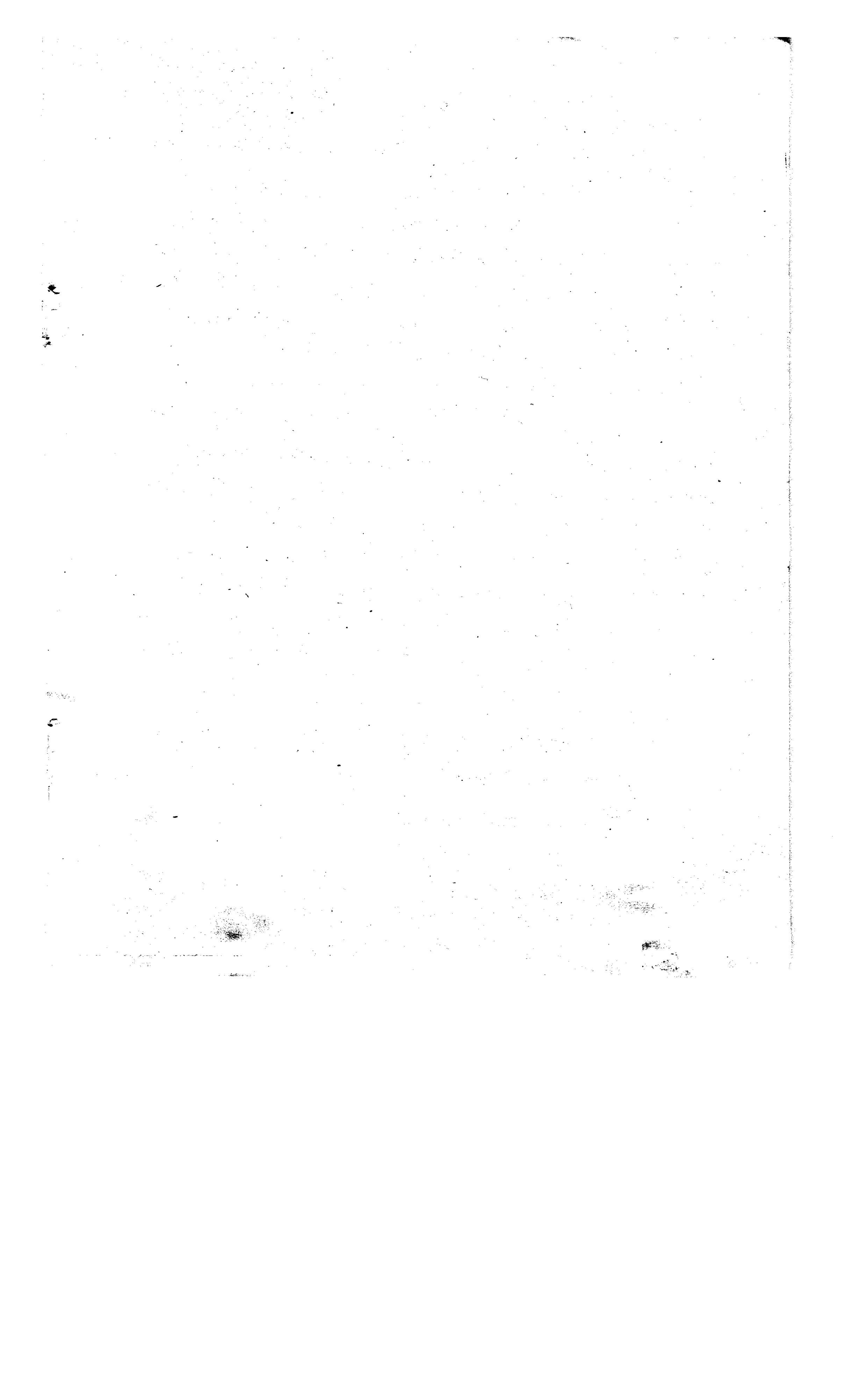
ان الاسلام زود المسلم بكل مقومات القوة الروحية والنفسية كنتيجة طبيعته للصلة القوية بين العبد وخالقه فيستمد منها مقومات شخصية كمسلم قوى ، كما ان مقومات القوة المادية المتمثلة فى الهبات والثروات التى زود بها اقطار العالم الاسلامى من ثروات متنوعة ، الا انهم لا يحسنون استغلالها ولا ينتفعون بها كمصدر لغناهم وقوتهم ، ولعل ذلك يرجع الى المشكلات والقلاقل التى يثيرها الغرب حتى يحول بين المسلمين وبين ذلك لعلمهم اليقينى أن المسلمين لو احسنوا ذلك مع قوة صلتهم بالله ما استطاعت قوة على الارض ان تقف فى وجوههم او توقف زحفهم لتحقيق ما يريدون . .

وهذه الدراسة فى حاضر المجتمعات الاسلامية نهدف فيها إلى ابراز أسس القوة الذاتية في الاسلام ، والقوة الخارجية من الخيرات فى باطن وظاهر ارض العالم الاسلامى ، موضحين موقف الغرب من هذه المصادر ، وكذا الوجود الاسلامى فى العالم المتلاطم الامواج فى بحور الفتن . والله اسأل ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وان تصل ثمرته الى كل مسلم ليعرف مكانه فى العالم وان يجعله فى ميزان حسناتى يوم القيامة ، وان يعفو عن زلاتى، وهو ولى التوفيق والسداد .

المؤلف

د. جلال سعد البشار

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة الاسلامية بالقاهرة



تمهيد

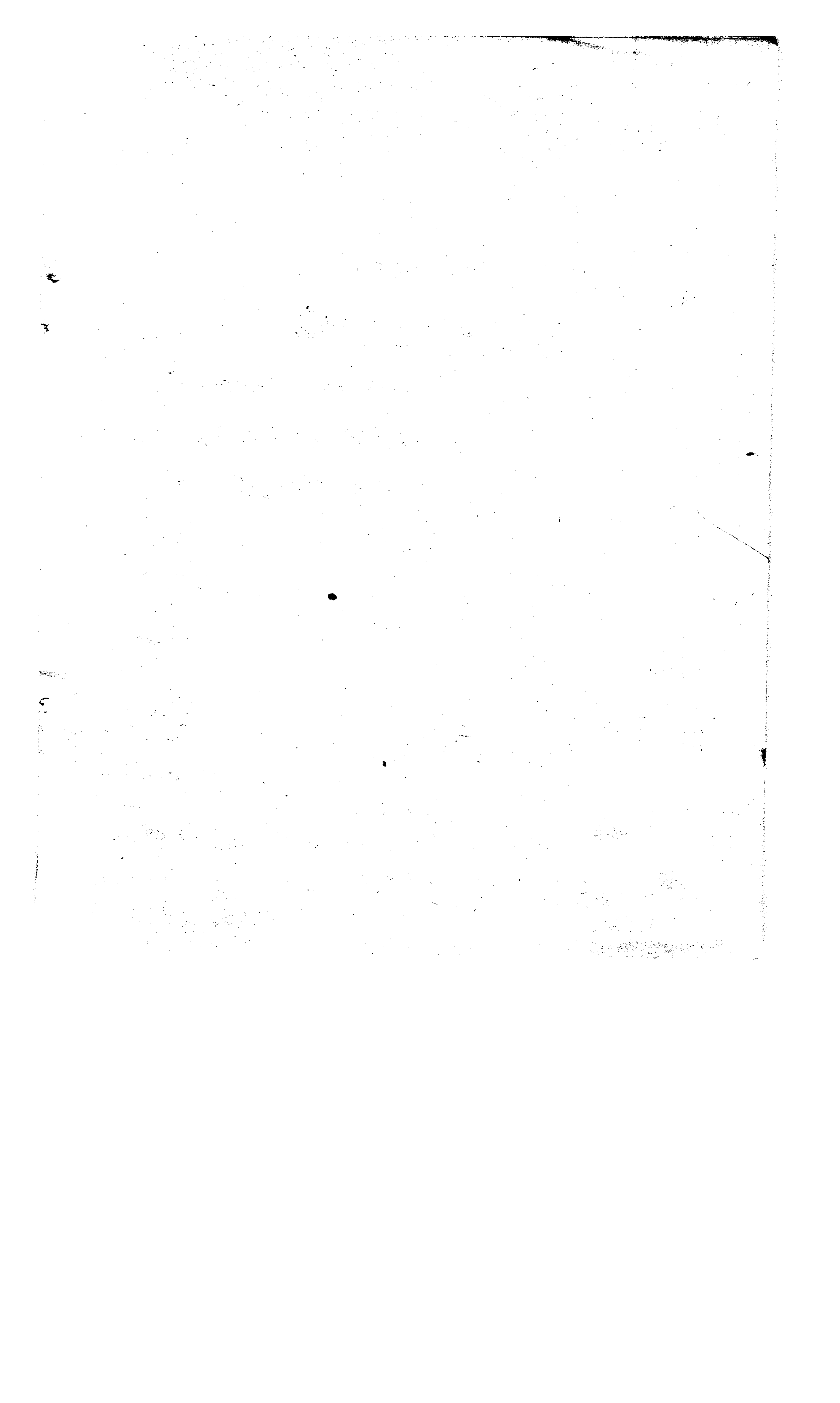
حقائق ومفاهيم

١ - الاسلام دعوة عالمية.

٢ - الإسلام دين الفطرة.

٣ - مفهوم العالم الإسلامى .

٤ - عالم فكرة واحدة وعقيدة واحدة.



١ - الإسلام دعوة عالمية

بدأت دعوة النبى ﷺ فى مكة فى أول القرن السابع الميلادى حيث كان مولده ونشأته وشبابه صلى الله عليه وسلم ، وقد أعده الله تعالى لتحمل هذه الرسالة الخالدة فهيأ الله الظروف والملابسات لهذا الإعداد ورباه على الصفة التى تؤهله لحمل الرسالة وتبليغ دينه وتربية أمة وقيادة دولة ، فوطنه على قوة الصلة بربه وعدم الركون إلى الخلق حيث توفى أبوه عبد الله وكان لايزال فى أشهر الحمل الأولى، وماتت أمه وهو فى سن السادسة ، ولما كفله جده مات الجد وكان صلى الله عليه وسلم فى سن الثامنة من عمره ، وكفله عمه أبو طالب وكان قليل المال كثير العيال ولحبه النبى صلى الله عليه وسلم وضع له البركة فى رزقه مما جعله لا يشعر بعبء فى كفالة النبى ﷺ .

وهذه الظروف فى الطفوله المبكرة والمتأخرة جعلت النبى ﷺ ينشأ عاقلا متأملا متدبراً مرتبطا بربه عن طريق التأمل فى خلقه رافضا بفطرته ما عليه القوم من الضلال فى عبادة الأصنام وتأليه غير الله وأيقن أن الحق غير ما عليه القوم ، وأن للكون ربا قادراً حيا عليما حكيما متصفا بكل كمال منزها عن كل نقص وحبب إليه الخلوة والتحنث فى غار حراء خاصة بعد زواجه بخديجة رضى الله عنها .

وفى سن الأربعين اتصل نور السماء بالأرض فنزل عليه أمين الوحى جبريل بالآيات الأولى من سورة العلق - عاد بعدها إلى داره وهدأت من روعه زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها ، وأخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى أخبره بدوره بأنه سيكون نبى هذه الأمة وبين له ما سيقابله من مصاعب ومشاق ، وتهيأ النبى ﷺ بعد ذلك نفسيا لحمل الرسالة وتبليغها للناس، وقد امتن الله على رسوله ﷺ مبينا له أنه هو الذى أداه ورباه وهيأه لتحمل الأمانة

فقال : ﴿ ... ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى ... ﴾[1] وهذه الآيات تشمل التربية الاجتماعية ، والتربية العقلية ، والاغناء عن الناس .

نقطة البداية : وبعد نزول آيات العلق ، والتهيئة النفسية للرسول ﷺ نزلت سورة المدثر وفيها الأمر بالدعوة والانذار ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر﴾[2] والإنذار بمعنى الدعوة والتبليغ ، وقد حدد الله له الذين يبدأ دعوتهم فقال : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3] فالدعوة أولا للأهل والعشيرة والمقربين أهل ثقته من أهل مكة .

اتساع الدائرة : وكان ذلك بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية والتى استجاب لها السابقون إلى الإسلام كخديجة وأبى بكر وعلى رضى الله عنهم - وغيرهم .

فقد نزل من الله الأمر بالجهر بالدعوة وإعلانها وتوسيع دائرة التبليغ فقال: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[4] أى أعلن أمرك واجهر به، معرضا عن المشركين الذين قد يقاومون دعوتك ففى الآية تلميح إلى مرحلة المواجهة العلنية بين الحق والباطل ، بين الهدى والضلال ، بين الكفر والإسلام وامتثالا لأمر الله فى هذه الآية صعد النبى ﷺ الصفا ونادى القبائل وعم وخص وعرض عليهم الدعوة، ودعاهم إلى التوحيد ونبذ عبادة الأصنام - ومن هنا كانت المواجهة بالاخلاص والإصرار والصبر والعزم الرسول ﷺ

---

(١) سورة الضحى : من الآية ٦ - ٨ .
(٢) سورة المدثر : الآيات ١ ، ٢ .
(٣) سورة الشعراء : الآية ٢١٤.
(٤) سورة الحجر : الآية ٩٤.

يدعو ويبين وأهل مكة يسمعون ويسألون ويهجون ثم يؤمنون ويعتلون وانتشر الإسلام وزادت المقاومة والعنت عم فيها نور الإسلام ثم انتقل إلى يثرب بعد بيعتى العقبة الأولى والثانية وإسلام الأوس والخزرج وتمت هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة ثم تلاهم رسول ﷺ وآزر الأنصار رسول الله ﷺ وآوو إخوانهم المهاجرين وصار الإسلام دعوة ودولة قائدها رسول الله ﷺ، ودستورها كتاب الله وجيشها المهاجرون والأنصار، وكانت سلسلة من الغزوات والحروب والمواجهات بين الحق والباطل أتم الله فيها النصر على نبيه والمسلمين . . .

دائرة العالمية : لم يتوقف انتشار الإسلام إلى هذا الحد فهو دين لجميع البشر، وهو خاتم الأديان ورسالة رسول الله ﷺ خاتمة الرسالات ونبوته خاتمة النبوات ، يقول الله تعالى ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[1] وبما أنه لا نبى بعده فى أى مكان فرسالته لكل مكان وزمان وشعب وجنس لإنه لا نبى بعده فى زمان ما ، أو مكان ، أو شعب أو جنس فهو رسول الله إلى كل شعوب العالم فى كل مكان، وزمان.

عالمية الدعوة فى الكتاب والسنة : وقد أكدت آيات القرآن الكريم والعديد من أحاديث النبى ﷺ أن الدعوة الإسلامية عالمية ومجالها كل مكان فى العالم شرقه وغربه وشماله وجنوبه .

أ - من القرآن :

قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[2] ولفظ (العالمين) يشمل الإنس والجن فهو رحمة لهم بتبليغهم الإسلام .

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .　　(٢) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧ .

وقال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[1] والتأكيد بلفظ كافة فيه دليل على عموم الرسالة .

وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته وأتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[2] ولفظ (جميعا) أيضا يفيد العموم لجميع البشر .

ب - ومن السنة :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : « ... وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »[3] فعموم الرسالة مما اختص الله به رسوله ﷺ دون غيره من الرسل صلوات الله عليهم .

٢ - ومنها فعله ﷺ : حيث أرسل كتبا إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام من خارج الجزيرة العربية ، فقد أرسل كتباً إلى قيصر الروم ، وكسرى فارس ، ونجاشى الحبشة وإلى المقوقس حاكم مصر ، وإلى أمير بصرى ، وأمير دمشق ، وإلى أمير االبحرين ، وأمير اليمامة ، وقد دعا كلا منهم وقومه إلى الإسلام بأسلوب واضح دقيق صريح .[4]

٣ - ومن سنة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم : ما قاموا به من الفتوحات الإسلامية المتتابعة لشتى البقاع ، فقد قام أمير المؤمنين عمر بفتح

---

(١) سورة سبأ : الآية ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ .

(٣) الحديث رواه البخارى كتاب التيمم عن عمران جـ١ ص٩١ ط الشعب .

(٤) انظر كتاب السيرة النبوية للدكتور / محمد الطيب النجار ص ٢٥٢ .

العديد من البلاد فى آسيا وأفريقيا[١] ، ومع أن فتوحات إسلامية عديدة حدثت بعد زمن الخلفاء إلا أن فعل الخلفاء يعتبر سنة ، وقد حدث المد الإسلامى حتى وصل إلى أوربا .

من هذا تأكد لنا أن الإسلام ليس دينا محليا وإنما هو دين عالمى خوطب بأحكامه كل مكلف على وجه الأرض ، خوطب الذكور والإناث ، والعرب والعجم ، والبيض والسود، والبو والرحل بلا تفريق بين أى منهم فى الاحكام والتكاليف فدخل فيه خديجة رضى الله عنها ، وأبو بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم وهم عرب ، كما ساواهم فى الفضل والمكانة بلال الحبشى ، وصهيب الرومى ، وسلمان الفارسى فالكل مدعو إلى الإسلام ولا فضل لأى منهم على الآخر إلا بالتقوى ، والعمل الصالح .

أنواع عموم الدعوة : نرى أن الدعوة يتسع نطاقها ليستوعب نطاقات ثلاثة هى :

عموم الزمان : فليست الدعوة الإسلامية محدودة بزمان أو بوقت تنتهى فيه أو يتعطل العمل بها فهى صالحة وباقية لكل زمان وخالدة إلى يوم القيامة «ولاتزال طائفة من أمتى قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»[٢].

عموم المكان : فليست الدعوة الإسلامية دعوة إقليمية خاصة بمكان محدد أو باقليم معين ، أو بأهل وطن من الأوطان وإنما هى لكل أهل الأرض.

---

(١) انظر التفصيل فى كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطى ص١٠٤ - ط دار الكتب العلمية .

(٢) رواه البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبى ﷺ لاتزال طائفة من أمتى جـ١ ص١٢٤ ط الشعب.

عموم البشر : ومعنى ذلك أن جميع من تحققت فيهم شروط التكليف مخاطبون بالدعوة بغض النظر عن الجنس أو العرق أو القبيلة ، فليست الدعوة الإسلامية لجنس معين أو لطائفة أو لشعب أو لجماعة معينة بل هى لجميع البشر من أبناء آدم ذكورا وإناثا ، عربا وعجما . ولذا فإن مجال العمل بالإسلام والدعوة إليه هو كل قارات العالم فسكان الأرض جميعا فى جميع القارات ومختلف الأقاليم مخاطبون بالإسلام وبأحكامه .

توزيع المسلمين فى العالم المعاصر : بما أن الإسلام دعوة عالمية حملها الدعاة إلى كل مكان فى العالم تقريبا فإنه لا يوجد مكان فى العالم ينعدم فيه المسلمون، إلا فى بعض الدول كالفاتيكان مثلا، أما بقية الدول فيوجد فيها المسلمون فى صورة مجتمعات كبيرة أو صغيرة ضمن ديانات أخرى، وتوجد دول إسلامية كاملة مستقلة .

فالدولة التى تزيد فيها نسبة المسلمين عن ٥٠ ٪ تعتبر دولة أكثرية مسلمة وقد تكون مستقلة ، وهى عندئذ دولة إسلامية ، وقد يوجد المسلمون كمجموعات ضمن دول غير إسلامية وتقل نسبتهم عن ٥٠ ٪ ، وهناك دول إسلامية تزيد فيها نسبة المسلمين عن ٥٠ ٪ إلا أنها غير كاملة الاستقلال لخضوعها لسيطرة دولة غير إسلامية . وهذه صورة المسلمين فى العالم المعاصر، ولذا فإن هؤلاء وأولئك يجب دعوتهم وتعريفهم بالإسلام ودعوتهم إلى اتباعه والعمل به ـ وهذا يؤكد لنا أن الإسلام دين عالمى ودعوة عامة .

صلاحية التشريعات لكل هذه المجتمعات : وهذه حقيقة تجب الإشارة إليها وتوضيحها ، وهى بما أن الإسلام عالمى يخاطب كل المجتمعات والأقاليم ، فيجب أن يفى التشريع الإسلامى بكل حاجات البشر ، وإيجاد

أحكام وحلول لكل ما يتجدد من القضايا ، وهذا تحقق الله تعالى انزل التشريع شاملا كاملا يستوعب كل حالات الإنسان فى أدق أموره وأخص خصوصياته ، فى اليقظة والنوم والحياة والموت وضع توجيهات تنظيم حياته فى العمل والعبادة ومعاملة الناس وآدابا فى الطعام والشراب والجماع وقضاء الحاجة وسائر شئونه وعلاقته العامة والخاصة الدولية والمحلية والمدنية والعسكرية وإذا كان دستورنا القرآن فإن الله يقول : ﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ﴾[1] وعن تمام الشريعة ووفائها يقول : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[2] فالدين كمل للجميع والنعمة قد أتمها الله على كل خلقه ، والكمال يعنى عدم النقص أو القصور فى أى وقت أو إقليم ولذا فقد اتسمت التشريعات بالشمول والاستيعاب لكل حالات الإنسان .

هذا وقد جعل الله مصادر التشريع قسمين : مصادر أصلية ثابتة النصوص وترد إليها كل المصادر وهى الكتاب والسنة ومصادر تبعية وهى الاجتهاد والقياس وسائر مصادر التشريع الأخرى فما لم يوجد فى الكتاب والسنة من الأحكام أو لم يرد فيه وحى فهو مجال للاجتهاد وأعمال العقل لإيجاد الحكم فيما حد من القضايا والاجتهاد باق فى الأمة فى سائر الأقاليم لمن تحققت فيه شروطه من علماء الأمة . . .

وفى اطار النصوص الشرعية والمصادر الأصلية واجتهاد العلماء تفى الشريعة بحاجات جميع الخلق إلى يوم القيامة ويتحقق لنا ويتضح أن الإسلام دين لكل الخلق على ظهر البسيطة وأن الدعوة الإسلامية عالمية .

* * *

(١) سورة الانعام : من الآية ٣٨.

(٢) سورة المائدة : الآية ٣.

٢ - الإسلام دين الفطرة

قبل أن نخوض فى بيان الحال التى وصل إليها المسلمون فى الوقت الحاضر وما ألم بمجتمعاتهم من الخطوب الجسام يجب أن ينبين الإسلام كعقيدة وشريعة أو عقيدة وعملا كان منهج عمل ودستور حياة طيبة راقية آمنة هادئة حيث أسس بناء الأفراد والمجتمعات على أسس من الفطرة السوية والطبيعة السليمة ، وهذا الدستور الربانى أرسى للأمة قواعد البقاء والقوة والرفعة فى كل مجالات الحياة وذلك لأن أوامره وتشريعاته ، وحلاله وحرماته كان كل ذلك موافقا لسائر الطبائع البشرية وملائما لها فى كل العصور ومتمشيا مع سائر الأصناف الفكرية ، فكان منهج الإسلام نظاما كاملا تقوم عليه المجتمعات الإسلامية فى كل زمان ومكان إلى قيام الساعة ، كما مثل ذلك المنهج الإلهى المحتكم والملجأ الذى يحل مشاكل البشر فى مختلف القضايا والمنازعات ﴿فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[١] فالرجوع والاحتكام إلى المنهج الإلهى دليل الإيمان بالله تعالى ، كما يتميز ذلك المنهج الربانى بالشمول لكل حياة الخلق والإلمام والاحاطة بكل جزيئاتها وتفصيلاتها فتوافقت التشريعات مع كل أجناس البشر ولا عجب فى هذا التوافق الكامل فإن واضع منهج الإسلام ، والذى شرع فيه أسس البناء وعناصره السليمة، قد أحاط بل شئ علما ، ويعلم السر واخفى ، فلم يخف عليه شئ من شئون الخلق فنظمها ووضع لها ما يناسبها ويحفظها من سائر التشريعات ، أنه الله رب العالمين القائل عن نفسه ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[٢] سبحانه وتعالى قد أحاط علمه بكافة الموجودات بلا سبق

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩.

(٢) سورة الملك : الآية ١٤.

خفاء أو جهل ، ولذا فإن المنهج الواضح لصلاح الأمة وبيان الحق هو ما كان وفق أوامر الله عز وجل.

ولعل تساؤلا يعرض لنا وهو ما الداعى لهذا العرض لعالم الإسلام ومنهج البناء فيه مع أن حديثنا عن حاضر المسلمين ؟ وعندئذ يمكن الرد بأن نقول إن الغرض من هذا الايضاح لمنهج الإسلام هو وضع يد القارئ على حقيقة هامة ، هى أن ما وصل إليه المسلمون الآن من ضعف ليس لقصور أو عجز فى ذات منهج الإسلام وأنما التقصير من المسلمين الذين تركوا منهج الله ونسوا تعاليم الإسلام وكما هان عليهم دينهم هانوا على كل الأمم وطمع فيهم البعيد والقريب من أعداء الإسلام الذين يتربصون به وبابنائه الذين تخلوا عنه ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾ ، كما نتوصل مع القارئ إلى إنه مادام الضعف بسبب التخلى عن دين الله ، فإن النجاة والبرؤ من هذا المرض - مرض الفرقة والهوان والذل - لا يتحقق إلا بالعودة إلى التمسك بالمنهج الإلهى والالتزام بدستور السماء بالقرآن الكريم واحتذاء المثل الأعلى والاقتداء به والتخلى باخلاقه ، اتباع رسول الله ﷺ ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[1] ، وفيما يلى بعض الحقائق التى يجدر بنا استحضارها فى قلوبنا عند الحديث عن الإسلام .

ما معنى أن الإسلام دين الفطرة ؟

معنى أن الإسلام دين الفطرة أن تشريعاته ونظامه تلبى مطالب الشخصية الإنسانية بمكوناتها من روح وجسد ، ولو لم يكن ذلك التشريع المنزل من الله على رسوله ﷺ ، وعلى سائر الرسل من قبله لبحث عنه الإنسان بنفسه ليلبى

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢١.

نداء روحه ووجدانه ، كما يجد باحثا عن طعام لغذاء جسمه فإنه يسعي ليجد غذاء لروحه ونفسه لأن الإنسان بتكونه ركب فيه غريزة التدين والبحث عن القوة العظمى التي يعبدها ويتقرب إليها لأن فى تكوينه أيضا غريزة الشعور بالنقص فدائما يحتاج لتكميل ذلك النقص وجبر عجز نفسه فكانت مهمة الرسل صلوات الله عليهم ارشاد الخلق إلى طريق عبادة الله وبيان صفاته والأيمان به ، وفطرة الإنسان تدعوه إلى التزام طريق في العبادات والمعاملات وتنظيم سائر المجالات فى العلاقة بينه وبنى جنسه فكان الإسلام ملبيا هذه الحاجات الملحة فى الجانبى المادى والروحى فى الإنسان.

والله تعالى يقول مخاطبا نبيه ﷺ : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(١) ، وقد فسرت الفطرة بتفسيرات كثيرة منها أنها : العقل أو الإسلام أو الطبيعة التى خلق الله الناس عليها ، ولكن من أحسن ما فسرت به أنها الخلقة ، ويراد بها الهيئة التى فى نفس الطفل والتى هى معدة ومهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى ، ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به ، كما روى أيضا أن الله خلق قلوب بنى آدم مؤهله لقبول الحق كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات فمادامت باقية على هذا القبول وتلك الأهلية ادركت الحق ودين الإسلام وقد دل على صحة هذا المعنى ما ورد عن النبى ﷺ فى حديث الفطرة : «كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ؟ يعنى أن البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الآفات ، فلو ترك على أصل تلك الخلقة لبقى سليما كاملا بريئا من العيوب لكن يتصرف فيه فيجدع اذنه ويوسم وجهه تطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج على الأصل

---

(١) سورة الروم : الآية ٣٠.

وكذا الإنسان»[1] ، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال : «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، وأبوه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[2] ، فالإنسان يولد مزودا باستعداد لقبول الحق واعتناق الإسلام إلا أن الشياطين لعبت دورها واجتالت العباد وصرفتهم عن الحق ويبين لنا الرسول صلوات الله وسلامه عليه ذلك بقوله فيما يرويه عن ربه عز وجل : « خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين»[3] والمراد أن الله تعالى خلق خلقه يميلون إلى الخير والحق فهذا هو معنى «الحنيف»[4] ولكن إبليس اللعين وذريته يتربصون بعباد الله لغوايتهم ﴿قال فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين﴾[5] فبالغواية والتضليل تصرف الشياطين الخلق عن طريق الحق والصواب.

وما ذكره الرسول ﷺ وأخبر به من خلق كل مولود على الفطرة هو ما تشهد الأدلة العقلية بصدقه حيث إن الإنسان مفطور على جلب المنافع ودفع المضار به وحينئذ لم تكن فطرة كل واحد مستقلة بتحصيل ذلك بل تحتاج إلى سبب معين للفطرة كالتعليم فإذا وجد الشرط وانتفى المانع استجابت لأنها فيها المقتضى لذلك . . . ويحكى عن أبى حنيفة رحمه الله أن قوما من أهل الكلام أرادوا البحث معه فى توحيد الربوبية ، فقال لهم : أخبرونى قبل أن نتكلم فى هذه المسألة عن سفينة فى دجلة تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع بنفسها وتعود

---

(١) تفسير القرطبى مجلد ٨ ط الريان ص٥١١٢.

(٢) رواه مسلم باب القدر عن أبى هريرة.

(٣) الحديث رواه مسلم باب الجنة .

(٤) انظر المعجم الوسيط جـ١ ص٢٠٢.

(٥) سورة الأعراف : الآيات ١٦ ، ١٧.

فترسو بنفسها وتفرغ وترجع ، كل ذلك من غير أن يديرها أحد ؟ فقالوا : هذا محال لا يمكن أبدا ، فقال لهم إذا كان هذا محالا فى سفينة فكيف فى هذا العالم كله علوه وسفله ؟ »[1] ففطرة هؤلاء المتكلمين رفضت أن تدير السفينة نفسها ، واعتبروا ذلك مستحيلا.

والإنسان بفطرته طالب للحق باحث عن الصواب وساع لطلب منهج يصلح حياته وينظم علاقاته ، والإسلام كدين ونظام كامل يلبى مطالب الإنسان فبتشريعات الحلال والحرام المطعم والمشرب ، وما يتعلق بالإنسان كجانب مادى تلبى مطلبه للحفاظ على جسمه وحياته ، وتشريعات العبادات والطاعات تلبى مطلب اشباع الروح والنفس كما تلبى حاجات الجانب الوجدانى والعقلى بالإخبار عن الغيبيات التى لا يمكن لعقل الإنسان أن يستقل بادراكها كأمور الآخرة والقيامة وسؤال القبر وعذابه ونعيم من تلك الأمور التى يصعب على العقل تصورها منفردا دون وحى واخبار من الصادق وسماع منه . . . هذا اشباع لعقل الإنسان وميله إلى التطلع إلى قضايا الغيب و «الميتافيزيقا» دون الوقوع فى شراك عقد الفلاسفة وتخمين الكهان.

ومن لطائف تفسيرات الفطرة وربطها باتباع الدين ما قيل فى حديث الإسراء والمعراج الذى رواه الإمام مسلم أن جبريل عليه السلام جاء النبى بإناء من خمر وإناء من لبن ، ويقول النبى : «فاخترت اللبن ، فقال جبريل ﷺ : اخترت الفطرة . . . إلخ»[2] يقول النووى : «فسرو الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة ـ ومعناه ـ والله أعلم ـ اخترت علامة الإسلام والاستقامة وجعل اللبن علامه لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة . . . وأما

---

(١) شرح العقدية الطحاوية ـ الحنفى ـ تحقيق د / عبد الرحمن عميرة جـ١ ص ١٨.

(٢) رواه مسلم عن أنس «باب الإسراء برسول الله» ـ كتاب الإيمان جـ١ ص٣٨٩ـ ط الشعب.

الخمر فإنها أم الخبائث وجالبة لأنواع الشر فى الحال والمآل»[1] واللبن كغذاء يفيد الجسم دون أى تدخل من البشر فيه بمجرد الحلب ، والإسلام يفيد البشرية دون تدخل البشر فيه ، فإذا ترك منهج الإسلام إلى غيره أو أدخل فيه ما ليس منه كان رداً على صاحبه فالإسلام الذى يحل مشاكل البشر وينظم حياتهم هو الإسلام النقى الخالى من الأهواء والميول الخاصة ـ وهو موافق وملب لكل نداءات الفطرة وحاجات الإنسانية .

وهذا من جانب آخر يدل على أن الإنسان الذى أسلم لم يقهر على التزام تعاليم الإسلام وإنما اختاره ملتزما أحكامه لأنه فى حاجة ماسة إليه ـ لأن فطرته النقية تلح عليه فى اللجوء إليه لتشبعها تشريعاته وتلبى حاجاتها ومطالبها أحكامه ـ فتهدأ النفس ويطمئن القلب ويستقيم العقل فتتحقق للإنسان القوة الذاتية والسلامة النفسية التى تجعله عضوا صالحا فى مجتمعه.

---

(١) انظر شرح النووى على مسلم المجلد الاول ص٣٨٩.

٣ ـ مفهوم العالم الإسلامي اليوم

يراد بالعالم الإسلامي ـ أو دار الإسلام ـ المناطق التى يطبق فيها الحكم بالشريعة الإسلامية ، وتعتبر هذه المناطق دولة واحدة مع اتساع رقعتها وامتداد أرضها ، ومع وجود فواصل كالبحار بين أجزائها ، أو حجزت مناطق لا تحكم بشريعة الله بيتها ، وكل شعوب العالم الإسلامى تدين بالعقيدة الإسلامية مهما تعددت قومياتها واختلفت لغاتها وتباينت ألوانها وأجناسها .

وفكرة العالم الإسلامى أو دار الإسلام هذه ظلت مدة طويلة بعد وفاة النبى ﷺ ، وبرغم الخلافات التى انتشرت بين ربوع العالم الإسلامى بعد أحداث الفتنة الكبرى لم تنكمش فكرة العالم الإسلامى ولم تزل عن الواقع إلا بعد أن تفسخ العالم الإسلامى إلى وحدات سياسية متنافرة حيث دخل الاستعمار المناطق التى ينتشر فيها الإسلام واصطنع الحدود ووضع الحواجز ومنع انتقال المسلمين من منطقة إلى أخرى ، وعمل على نشر لغات وثقافات أجنبية غربية ودخيلة على الإسلام بين سكان البلد الواحد حتى أوصل الناس إلى غربة شديدة عن دينهم وقيمهم وتقاليدهم المستمدة من هذا الدين .

وقد قامت عدة محاولات لإعادة فكرة العالم الإسلامى بعد عبث الاستعمار بها ، وتصدع هذا العالم وتفرق أجزائه ، فمن هذه المحاولات : عقد عدة مؤتمرات على المستوى الحكومى والشعبى، ومع أن هذه المؤتمرات غير ملتزمة بالخط الإسلامى ومع وجود الايدلوجيات المتنافرة والاعتبارات السياسية المختلفة التى أحدثها الاستعمار إلا أنها تعتبر خطوة نحو تقريب مذاهب الأمة الإسلامية وأفكارها.

كما أن الأمة الإسلامية يمكن أن تتقارب من جديد وتعود إليها قوتها وتقوى شوكتها بالتقاء قوتها الروحية بتطبيق الشريعة الإسلامية حيث إنه إذا .

اتفق رعاة هذه الدول وقادتها على منهج الإسلام الذى وضعه الله لإصلاح خلقه سيخلص بلادهم من مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، والتى تفاقمت وزادت فى الوقت الحاضر ، خاصة وأن دساتير هذه البلاد تنص على أن الإسلام هو الدين الرسمى للدولة أو أنه المصدر الرئيسى للتشريعات ، وبناء على ذلك فإنه يتحتم على هذه الدول أن تستمد كل قوانينها ولوائحها التنظيمية من تعاليم الإسلام خاصة وأن باب الاجتهاد مفتوح وضوابطه محددة، وأهله موجودون وفق القواعد الشرعية.

ارتباط مفهوم العالم الإسلامى بطبيعة الدين :

ويرتبط مفهوم العالم الإسلامى المعاصر بطبيعة الدين الإسلامى ، حيث إن الإسلام عقيدة قوية وسلطة كما أنه نظام قانونى كامل يصلح لقيام نظام عادل معاصر للحكم ، وباختصار فإن الإسلام دين ودولة ، فيه الجانب الروحى الذى يختص بتهذيب العلاقة بين الإنسان وربه فى العبادات ، وفيه الجانب التشريعى الذى يمكنه من قيام دولة لها شخصيتها المميزة ينظم فيها العلاقة بين الأفراد وبعضهم ، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول فيه ما يصلح لأن يسمى «قانون دولى» عام أو خاص.(١)

العالم الإسلامى جغرافيا ، والوجود الإسلامى فيه : العالم الإسلامى مترامى الأطراف يشغل جزءا غير قليل من خريطة العالم فهو يتمثل فى :

أ - الغالبية العظمى : فى كتلة متصلة البنيان ، من النصف الشمالى من أفريقيا والربع الجنوبى من آسيا حيث تمتد من خط طول ١٨ غربا ، إلى خط

---

(١) انظر كتاب العالم الإسلامى اليوم - د/ عادل طه يونس ص٨ - بتصرف شديد.

طول ٩٠ شرقا ، حيث اقليم سنكيانج الصينى ، واقليم كشمير وباكستان ، وتمتد عرضا من خط الاستواء جنوبا إلى خط عرض ٥٥ شمالا ، أى من الصومال حتى الحدود الشمالية لجمهورية كازخستان الإسلامية السوفيتية ومساحة هذه الكتلة ٢٨ مليون كم٢ أى ما يعادل ٢١ ٪ من مساحة العالم.

ب ـ الكتلة الثانية : وهى عبارة عن جزر واشباه جزر فى جنوب شرقى آسيا وتتكون من دولتين : هما أندونيسيا ، وماليزيا ، وتمت هذه الكتلة من خط طول ٩٩ شرقا ، ومن خط عرض ١٠ جنوب خط الاستواء ، ٥٨ شمال خط الاستواء وتصل مساحتها إلى ٨ر١ مليون كم٢.

جـ ـ الكتلة الوسطى : وهـى منطقـة صغـيرة المسـاحة حيث تبلغ ٠٠٠ر١٤٣كم٢ ، ومع أنها صغيرة المساحة إلا أن كثافتها السكانية كبيرة وتتمثل فى باكستان الشرقية ، بالاضافة إلى عدد جيوب إسلامية تقع فى الدولة الهندية ، والأراضى الصينية ، والمسلمون فى هذه الجيوب يمثلون أقليات إسلامية .

وبالاضافة إلى هذه الكتل يوجد المسلمون فى أوربا حيث توجد دولة إسلامية واحدة هى ألبانيا ، كما يوجد فى الأمريكيتين واستراليا ، وفى دول شرق آسيا وغربها ، وهم فى هذه المناطق يعيشون أقليات .

والمسلمون يتواجدون فى العالم على صورتين : مسلمون منتظمون فى دول إسلامية يكون للإسلام دور فى تنظيمها سواء أعلن ذلك أو لم يعلن ، أو : مسلمون يعيشون فى مجتمعات غير إسلامية بحيث لا يوجد أثر لإسلامهم ، ولا ينعكس على الكيان السياسى للدولة التى يعيشون فيها .

* * *

٤ ـ عالم فكرة واحدة وعقيدة واحدة

بعد أن تبين لنا أن العالم الإسلامى مترامى الأطراف متسع الأرجاء ممتد شمالا وجنوبا ، وأن المسلمين إما دول مستقلة وإما أقليات فى دول غير إسلامية ، فإننا نؤكد أن هؤلاء المسلمين على اختلاف أماكنهم وأوطانهم وإن كانت لا تجمعهم حدود جغرافية معروفة ووطن واحد على أرض متصلة فإن هناك رابطة أقوى من رابطة المكان ، إنها رابطة العقيدة والإيمان ، فكل المسلمين على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وأوطانهم تجمع قلوبهم عقيدة واحدة واضحة جلية لا غموض فيها ولا خفاء جاءنا بها رسول الله ﷺ بيضاء ناصعة، لا خلاف فيها ولا اختلاف ، ولا مذهبية ولا طائفية ، يقول تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[١] . ويقول : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[٢] فوحدة الأمة وتماسكها أساسه التوحيد والتقوى وإقامة شرع الله تعالى من عبادته تعالى وطاعته جل وعلا ، والأمة كلها أمة واحدة ، ويؤكد وحدتها الإيمان بإله واحد ، متصف بكل كمال منزه عن كل نقص ، والإيمان برسالة النبى ﷺ إلى العالمين كافة ، حيث يقول الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن الناس لايعلمون﴾[٣] وفى خطبة الوداع يتحدث رسول الله ﷺ إلى جميع المسلمين علي اختلاف أجناسهم عربا وعجما دون تفرقة ـ يتحدث إليهم واضعا أمامهم وصاياه العامة فى جمع عام للمسلمين ، فيقول : «أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا في موقفى هذا ، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٥٢.

(٣) سورة سبأ : الآية ٢٨.

هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد . . »
ويستطرد الرسول ﷺ فى خطبته إلى جميع الحاضرين ليضع أسسا جامعة ويوصى بوصايا متنوعة، وفى خطبته تلك يضع أمام المسلمين جميعا جهة احتكام واحدة، يحتكمون إليها ويأخذون الأحكام منها فيقول : «لا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ،فإنى قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده كتاب الله الا هل بلغت اللهم فاشهد» وفى رواية «كتاب الله وسنتى» وعلى أى حال فإن الشريعة السمحاء والعقيدة الواضحة جامعة للقلوب وإن تباعدت الأجساد - رابطة النفوس والعقول والقلوب لأن المعبود واحد : والكتاب واحد والنبى واحد . ، فمصدر العقيدة والعبادة لكل المسلمين واحد وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، يأخذ منها العربى والعجمى والشرقى والغربى أحكام الدين وأصول العقيدة ومكارم الأخلاق . فادت وحدة المصدر هذه إلى وحدة الفكرة والتصور ، ووحدة العبادة ، فالمسلم فى روسيا وأمريكا وغيرهما من دول الغرب يعبد الله تعالى بنفس الطريقة التى يعبده بها مسلمو السعودية ومصر وغيرهما من مسلمى دول العالم .

وتشابهت كذلك صور الاحتفالات الدينية كرمضان، والمولد النبوى ، وأسلوب الاحتفال بعيدى الفطر والأضحى ، وحفلات ختان الذكور ، والزواج ، والعقيقة ، وكل هذا يترتب على وحدة الفكرة ، كما أن المقاييس الخلقية من الخير والشر واحدة ، فلا تحل جماعة ما تحرمه أخرى من المسلمين لأنه كما قلنا مصدر الأحكام واحد عند الجميع .

وأسلوب العباد واحد، فالتوجه فى الصلاة والصيام وتلاوة القرآن تؤكد هذه الوحدة.

وتصورات المسلمين فى كل البقاع واحدة عن الخلق ، وعن الحياة

والموت، والقبر والحساب ، وعن الجنة والنار ، وعن قدرة الله ، والأجل والرزق كل هذه تصورات واحدة والكل يعلم أن مهمته فى الحياة هى العبادة قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد يطعمون﴾ .

كما أن المسلمين يعدون اللغة العربية لغة رئيسية لأنها لغة الصلاة والعبادة، تلاوة القرآن باللغة العربية ، والحديث باللغة العربية . . . وهذا يجعل وحدة فكرية وثقافية بين طلاب الأمصار المختلفة .

وآمال المسلمين واحدة فهم إخوة «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له الجسد بالسهر والحمى» وهم يتألمون بالآم بعضهم وحيثما وقعت مصيبة أو حلت كارثة اهتزت أمصار العالم الإسلامى كله ، وحيثما حل انتصار عم الفرح كل الأقطار . . .

وينظر أعداء الإسلام إلى فكرة الرابطة الإسلامية نظرة حقد وحذر وتآمر حيث يدعون ـ كذبا وزورا ـ أن تلك الرابطة لا تجمع بين القلوب ، وحاولوا إيجاد روابط أخرى لتحل محلها وأذاعوا أن تلك الروابط المجلوية كان لها الأثر في توحيد دولها واتفاق ابنائها ، وأوجدوا أحزابا وجماعات لتتبنى هذه الأفكار ، فهناك من نادى بالوطنية ، استبدلت بالقومية وأخيرا الاشراكية . . وهذا التغيير وفقا لما يراه الأعداء من مصالحهم الشخصية وما يرونه أكثر فائدة لتحقيق ما يصبون إليه. وتلتقى جهود أغلب الجماعات والأحزاب على اختلاف جذورهم مع بعضهم بغية هدف واحد مشترك هو محاربة الاتجاهات الإسلامية ، ويساعد على ذلك المستغربون بما يكتبون ويشيعون ضد الإسلام وتفتن بهم الجماعات ، كما تصدر كتابات عن نفوس مهزومة فكريا لتصنف الدعاة إلى يمين ويسار وما كان هذا إلا لضعف المسلمين وتخليهم عن دينهم . .

وأخيرا نقول إن المسلمين متميزون عن سائر أصحاب العقائد الأخرى بأنهم أصحاب عقيدة واحدة وتصورات وفكر واحد ، فالنصرانية مثلا يوجد بين اتباعها تباين كبير فى التصور الدينى وطبيعة السيد المسيح والطقوس ، والأناجيل متعددة ومختلف فى زمن نقلها ، وما يوجد بين أهل السنة والشيعة لا يكاد يذكر بالنسبة لما يوجد عند النصارى من كاثوليك وارثوذكس وبروستانت، والمسلمون منسجمون بعضهم مع بعض فى العقيدة والتصورات على نحو ما سلف ذكره . . . ونحن إزاء كل ما صدر من افتراءات الكتاب ضد الرابطة الإسلامية نذكر قول الله تعالي : **﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾** لتتوحد الكلمة وتجتمع الأمة.

* * *

الباب الأول

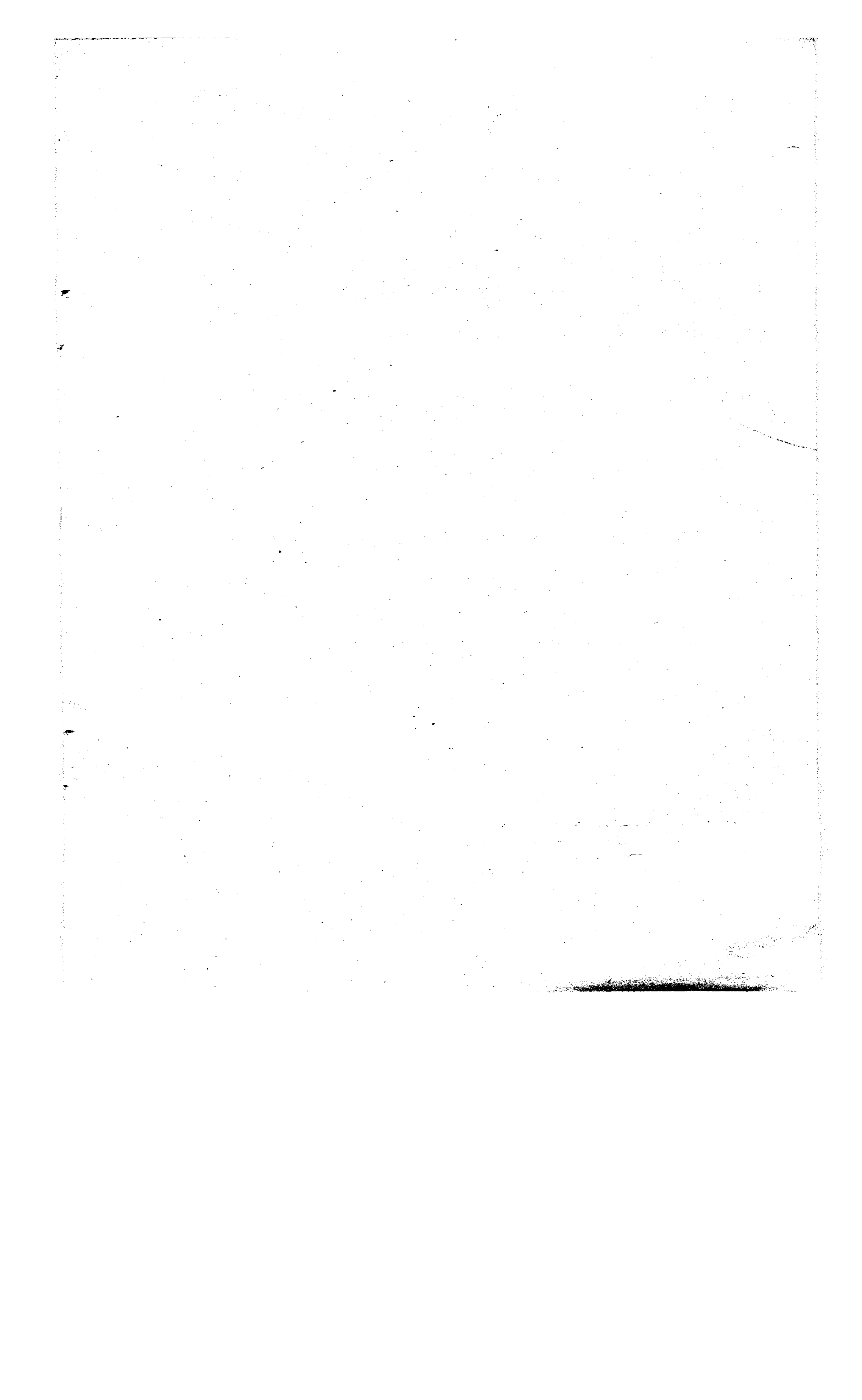
عناصر القوة فى العالم الإسلامى
ودعائم حفظها

* مدخل إلى الدراسة : حول أنواع القوة

١ ـ الفصل الأول : عناصر القوة الذاتية

٢ ـ الفصل الثانى : عناصر القوة الخارجية

٣ ـ الفصل الثالث : دعائم حفظ قوة المسلمين وصيانتها



مدخل إلى الدراسة

أنواع القوة

إن القوة فى أى بناء أو كيان لاتتحقق إلا بأمرين : قوة كل جزء فى ذاته، وقوة تماسك هذه الأجزاء مجتمعة بعضها مع البعض ، ونضرب لذلك مثالا حسيا لتوضيح هذا المعنى : إذا أردنا مثلا بناء منزل ، فالمطلوب لذلك الأحجار، والمادة الماسكة لهذه الأحجار مثل «المونة» أو الملاط وبقدر قوة الأحجار وصلابتها ، وقوة الملاط تكون قوة الجدار ، فلو جئنا مثلا بأحجار هشة ضعيفة فإن البناء سوف يكون ضعيفا حتى ولو كان الملاط قويا شديد الجودة ، ويكون ذلك الوهن أيضا لو كانت الأحجار قوية صلبة ولكن الملاط كان ضعيفا فى ربطه بين الأحجار ، وعلى ضوء هذا المثال يمكننا القول إن قوة البناء تتحقق بصلابة الأحجار وهى وحدات البناء وبجودة المونة باعتبارها قوة تماسك وربط بين الأحجار .

ومن هنا كانت عناصر قوة أى بناء اجتماعى إنسانى تدور حول محورين: قوة اللبنات ونعنى بها أفراد المجتمع كل فرد على حدة ، وقوة ترابط هؤلاء الأفراد وتماسكهم لتحقق الوحدة الكاملة للمجتمع وتبرز قوة هذا الكيان كما أشار إليها ووضحها رسول الله ﷺ بقوله : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ».

ولذا الإسلام قد أقام بناء المجتمع المسلم على أساسين هامين :

١ ـ بناء الكيان الفردى : ويراد به اصلاح الفرد فى ذاته وبناؤه نفسيا ووجدانيا بغرس أسس العقيدة الصحيحة فى قلبه ونفسه ، وتصحيح فكرته عن

لإله ، وبناؤه أخلاقيا وسلوكيا ، وهذا يكسب الفرد حصانه قلبية وقوة روحية وسموا نفسيا يجعله سوى الشخصية مستقيم السلوك صحيح الوجدان «ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله إلا وهى القلب»[1] ـ وهذا عن طريق العقيدة والعمل .

٢ ـ بناء الكيان الاجتماعى : ويراد به الروابط والدعائم والأسس التى تقوى علاقة الأفراد ببعضهم ، وتدعم تماسكهم وتوحد وجداناتهم وتمزج بين نفوسهم ، ومع أن العلاقات البشرية فى أى مجتمع متنوعة ومتشبعة إلا أن أبرزها محاور ثلاثة :

أ ـ المحور الإنسانى : ونعنى به علاقة الأفراد بالأسر وعلاقة الأسر بالأسر والآداب الاجتماعية ، وعلاقة الفرد بمجتمعه وبيئته وما يجب أن يراعى فى هذه العلاقة من الآداب السامية والأخلاق الكريمة .

ب ـ المحور الاقتصادى : ويراد به العلاقات المالية والاقتصادية فى المجتمع ، من بيان حل المصدر ، والمصرف ، ومسئولية الإنسان عن ماله يوم القيامة «من أين اكتسبه وفيم أنفقه» ووضع قواعد وضوابط الكسب الحلال والأنفاق الحلال : ولما كان المال حبيبا إلى النفس ومن مطالبها فإن الشريعة قد بينت ذلك ووضحته حتى لا يطغى حب المال فيسعى الإنسان بكل الطرق والوسائل إلى جلبه والاستكثار منه فيعتدى على حقوق الآخرين ويحل الحق محل الحب والاختلاف محل الائتلاف ، والحرب محل السلام .

جـ ـ المحور السياسى : ونعنى به علاقة الحاكم بالرعية وماله من حقوق وما عليه من واجبات ، وأسس الحكم ودعائمه ، وعلاقة الدولة بغيرها من الدولة المسلمة وغير المسلمة وعلاقتها بغير المسلمين فيها وقد بينت الشريعة الغراء

(١) رواه البخارى عن النعمان بن بشير كتاب الايمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه .

كل هذه الأمور وغيرها فى هذا المجال ووضعت الضوابط لتقوية الروابط العالمية ودعمها.

وبوضع هذه القواعد وتلك الأسس لهذه المحاور ليجتمع عليها المسلمون فإن الثمرة المرجوه وهى التماسك والتقارب والتواد والتراحم تتحقق ، ويتحقق الإسلام نظرية وتطبيقا روحا ومادة ، عقيدة وعملا .

وفى اطار البناء الاجتماعى أيضا وضع الإسلام تشريعات لحفظ هذا المجتمع وصيانته من الانهيار ، والزيغ والضلال لأن الشيطامن يوسوس للنفوس ويعبث بالقلوب فيحيد بالإنسان عن طريق الطاعة إلى الموصية بتزين الباطل ودعوتهم إليه لتحل الإنحرافات محل الاستقامة ، والبدعة محل السنة، والمعصية محل الطاعة ، والخوف محل الأمان ، والقطيعة محل الصلة ، فوضع من الوسائل لحفظ المجتمع على ثلاثة مستويات :

١ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لازالة المخالفة والمعصية وقت حدوثها، والتحذير منها قبل وقوعها حتى لا تستفحل ويزيد خطرها لأن المنكرات إذا قامت بلا تغيير لها أصبح المعروف غريبا ، وإذا قامت بدعه ماتت سنة .

٢ ـ تشريع الحدود ، والتعزيزات ، فالحدود وصفها الشارع عقوبات لجرائم معينة، كالجلد والتغريب عقوبة للزانى غير المحصن، والرجم للزانى المحصن، والجلد للقذف، وقطع اليد للسرقة ... والتعزيزات عقوبات دون الحدود يوقعها الحاكم حسبما يرى على بعض المخالفات والجرائم التى لا حدود لها، فهذه العقوبات شرعت لردع المجرمين وزجرهم وهذا كله لصالح المجتمع فى مجموعة لحفظ الحقوق والنفوس ، كما فى قوله تعالى : ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ فمع أن القصاص يعنى قتل القاتل ، إلا أنه حفظ لحياة باقى أفراد المجتمع وهكذا فى سائر الحدود .

٣ ـ الجهاد : وهو تشريع لضبط الجانب العسكرى وقواعد الحروب وإعداد الجيوش وأخلاقيات القتال ، وهو القوة التى تساند الحق ، وتزيل العقبات من طريق الدعوة ، وتحمى المجتمع من غارات أعدائه ونهب ثرواته وخيراته وترد العدوان على أفراد الدولة وممتلكاتها .

ولذا فإن حديثنا عن عناصر القوة فى العالم الإسلامى سيكون حسب الخطوات التالية :

تقسيم عناصر القوة ودعائمها إلى نوعين :

١ ـ عناصر ذاتية : ونعنى بها العناصر التى فى ذات الشريعة ومتضمنه فى أوامرها ونواهيها وتلزم المسلم بمراعاتها والتزامها فى المجالات المختلفة من الحياة ، وهى تدور حول محورين :

أ ـ بناء القوة فى الفرد .

ب ـ بناء القوة فى الجماعة أى نظم العلاقات الإنسانية وضوابطها .

٢ ـ عناصر القوة الخارجية : ونعنى بها الدعائم التى من الله بها على العالم الإسلامى وليست داخله ضمن التشريع ، وذلك يعنى ماوهبه للمسلمين فى أوطانهم من خيرات وثروات ومقومات زراعة ، وصناعة ، وتجارة ـ وتنوع فى المناخ يؤدى إلى تنوع فى الحاصلات والثروات يمكن أن يؤدى إلى التكامل يعين المسلمين فيغنيهم عن غيرهم .

٣ ـ ما وضعه الله تعالى من تشريعات لحفظ قوة المسلمين عليهم وصيانتها من الضياع والانهيار ،وحفظ ثروات بلادهم من السلب والنهب والاستيلاء.

وذلك إن شاء الله فى فصول هذا الباب . . .

الفصل الأول

عناصر القوة الذاتية

أولا : البناء الفردى

١ ـ دور العقيدة فى بناء المؤمن وجدانيا.

٢ ـ ارتباط العقيدة بالأخلاق.

٣ ـ دور العبادة فى ترسيخ العقيدة وتقويم السلوك.

٤ ـ الاسلام عقيدة وعمل.

~~١ - والمؤمن المعتقد بأن الله تعالى~~
~~واحد في ذاته وصفاته وأفعاله~~

١ - عقيدة التوحيد وأثرها النفسي

والمؤمن يعتقد جازماً أن الله تعالى واحد في ذاته
واحد في صفاته وأنه متصف بكل كمال ومنزه
عن كل نقص

المبحث الأول

دور العقيدة فى بناء المؤمن وجدانيا

أن لعقيدة دورا هاما وفعالا فى بناء وجدان المؤمن وأذكاء نفسه فهى قوة ذاتية داخل القلب تنعشه وتصله بخالقه جل وعلا، ومن أوليات العقيدة الإيمان بالله، وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره بناء على قول رسول الله ﷺ فى حديث جبريل : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، وفى رواية «حلوه ومره»[1] وقوله الله تعالى : ﴿آمن الرسل بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾[2] . والإسلام يتوجه باصول العقيدة وشعائر الدين إلى الإنسان حيث إنه اللبنة الاولى لبناء أى مجتمع صالح ، كما توجهت العقيدة إلى وجدان المؤمن تهذبه وترقى به وتعليق وتسمو به نحو ملكوت الخالق ، وهذا الوجدان بدوره ينعكس على سلوك الإنسان وافعاله وتصرفاته فى المواقف المختلفة والحكم عليها ، والمؤمن يعتقد ويصدق بأن الله تعالى متصف بكل كمال ومنزه عن كل نقص ذكر، وهو تعالى منزه عن الشبيه والضد والند والصاحبة والولد فهو جل ذكره القائل : ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾[3]، والقائل: ﴿فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون﴾[4]، وهو القائل: ﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه﴾[5] ، والقائل : ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾[6] ، وهو

(1) رواه مسلم كتاب الإيمان جـ١ .

(2) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

(3) سورة الشوري : الآية ١١ .

(4) سورة البقرة : الآية ٢٢ .

(5) سورة الأنعام : الآية ١٠١ .

(6) سورة المؤمنون : الآية ٩١ .

القائل أخيرا : ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾[1] يعتقد المؤمن أن الله تعالي هو خالق كل شئ، فهو الحقيق بالعبادة ، وهو موجود قبل كل الموجودات ، وباق بعد فناء كل المخلوقات فهو ﴿الأول والآخر﴾ وهو سبحانه عليم احاط علمه بكل الكائنات دون سبق خفاء أو جهل ، وحى ، وسميع بصير ومريد قادر يتعلق علمه وارادته بكل المخلوقات فلا يقع فى ملكه الا ما يريد ، وهو سبحانه لا تحويه الأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، وهو الواحد القهار ، والمؤمن موحد ربه عابد له مرتبط به ، والوحدانية من صفاته تعالى وتعنى : عدم التعدد فى الذات ، والصفات ، والأفعال ، فليست هناك ذات أخرى تشبه ذاته وليس معه إله آخر ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[2] وواحد صفاته فليست لهٔ صفتان من جنس واحد لأن كل صفة كاملة شاملة لا نقص فيها ولا عجز فلا معنى لوجود صفة أخرى من جنسها ، وهو تعالى واحد فى أفعاله فالمؤمن لا يرى فاعلا إلا الله ـ فهو تعالى الفاعل لكل الأشياء الخالق لجميع الكائنات الموحد لجميع الموجودات ولا يقع فى ملكه إلا ما أراد وقدر والمؤمن بمقتضى عقيدته فى وحدانية الله تعالى يتوجه بعبادته إلى ذات واحدة يعرف كيف يعبدها ؟ وطريق رضاها فلا يتحير فى أمره ولا يأتيه القلق النفسى والاضطراب الوجدانى ، ويصور القرآن حال المشركين وحيرتهم فى ارضاء معبوداتهم المزعومة فيقول : ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ، الحمد الله بل أكثرهم لا يعلمون﴾[3] ،انه تصوير لحال من يعبد أكثر من إله فهو كرجل يملكه أكثر من رجل انه حال الرقيق الذى يملكه أكثر من سيد ، أنه يحتار فى

(١) سورة الإخلاص كاملة.
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٢.
(٣) سورة الزمر : الآية ٢٩.

إرضائهما مما يرضى أحدهما قد يغضب الآخر فيحتار فى ارضائهما ، ورقيق آخر يملكه سيد واحد فيعرف ما يرضيه فيفعله وما يغضبه فيجتنبه فهذا يكون هادئ النفس مطمئن القلب ، وهذا حال المؤمن الموحد يعرف ما يرضى الله تعالى فيفعله ، وما يغضبه فيتركه.

وهو كذلك فى عبادته لربه وخالقه لا يرى فاعلا إلا الله فلا يدعو سواه ولا يستعين بغيره - ويكسبه ذلك الرضا عن كل شئ لأنه من مقدور الله وما دام الأمر كذلك فإنه لا يغضب من فعل «فعله» الله ﴿رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ .. وفيما يلى بعض الشواهد القرآنية لتقرير تلك العقيدة وبيان آثارها الطيبة فى النفس:

١ - الخالق هو الله وحده ، قال تعالى : ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، ءإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها انهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا ءإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أ إله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون * أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ، أ إله مع الله تعالى عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أ إله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[1] سبحانه الله، هو الخالق المبدع لكل عناصر البيئة التى يستمتع بها الإنسان فى حياته، فهو جلت قدرته المنزل الماء من السماء وهو سر الحياة للإنسان والحيوان والنبات ، وبهذا الماء أنبت الحدائق الغناء ذات الأشجار المحملة بالثمار التى بها يحيا

---

(١) سورة النمل : من الآية ٦٠-٦٤.

الإنسان فهى رزقه الذى يحيا به ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقاء فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا وفاكهة وأبا * متاعا لكم ولأنعامكم﴾[1] فمنبت هذه النباتات هو الله ومنزل الماء اللازم لها هو الله ،وهو كذلك جعل الأرض مستقرا للإنسان وجعل الجبال رواسى ﴿ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا﴾[2] والمراد أنه تعالى بقدرته جعل الأرض فراشا ، وأرساها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد﴾[3] وجعل بين البحرين حاجزا من القدرة فلا يختلط الماءان المالح بالعذب ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾[4] . . .

وهذا وفق علم الله وارادته ثم نجد من نعم الله تعالى الارتباط الوجدانى فهو تعالى المقصود بالدعاء، المخاطب بالرجاء يدعوه المضطر ويكشف ما به ويرفع عنه بلاءه ويبرئه مما ألم به من السوء فإنه لا يقدر أحد من خلقه على رفع القضاء عن نفسه، ولا يستطيع جلب نفع لنفسه كذلك، ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير﴾[5] وهو الهادى للسائرين فى ظلمات البر والبحر وهو مرسل الرياح بالخير والرحمة، وأخيرا هو الخالق لكل الخلق وهو المحى لهم يوم القيامة للسؤال والحساب، وهو سبحانه قد احاط علمه بكل حاجات خلقه من الرزق وحدده لهم وتكفل به، وهذا لا يكون إلا بعلم دقيق، وارادة حكيمة وقدرة بالغة، وفاعل كل هذه الأشياء والرازق بهذه النعم لابد أن يكون حيا سميعا، بصيرا،

---

(١) سورة عبس : من الآية ٢٤-٣٢.
(٢) سورة النبأ : من الآية ٦-٧.
(٣) تفسير الكشاف - الزمخشرى جـ٤ .
(٤) سورة الرحمن : من الآية ٢٠ - ٢١.
(٥) سورة الأنعام : الآية ١٧ .

عليما ، قديرا ، مريدا . . . إلخ وهو كذلك وحده الحقيق بالعبادة فلا معبود سواه ولا مقصود إلا الله . فمن الفاعل لكل هذه النعم وتلك العطايا ؟ أ إله مع الله ؟ لا فاعل غيرك يارب فلا معبود سواك ، فلك وحدك الخلق والأمر.

ولقد وضح لنا من خلال ذلك النموذج القرآني أننا نعيش ونحيا في نعم الله، وهي نعم دائمة متوالية تجل عن الحصر والاحصاء ليتأكد في قلب المؤمن ارتباطه بربه وخالقه ورازقه فيشعر بالأمان والاطمئنان فينعكس ذلك على كل سلوكه وتصرفاته فيسود هذا الشعور وذلك الاحساس سائر مجالات المجتمع المسلم.

وهذا نموذج آخر نجد فيه أن الله تعالى لفت أنظار خلقه إلي بعض من نعمه ومظاهر قدرته مع الربط بين السبب والنتيجة ، وبين لنا أن على الإنسان أن يباشر الأسباب التي اقتضت وجودها ارادة الله ، ثم يترك أمر النتيجة إلى الله فهو سبحانه وتعالى الخالق لها ، فيقول الله تعالى : ﴿أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون * أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون * انا لمغرمون * بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون * أفرأيتم النار التي تورون * أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين﴾[1] ففي هذه الآيات لفتت الأنظار إلى حقيقة هامة هي اتخاذ الأسباب وانتظار النتائج التي يريدها الله تعالى فاسند الامناء إلى الخلق وإرادة أن يتحول الحيوان المنوى إلى مخلوق سوى

---

(١) سورة الواقعة : من الآية ٥٨ ـ ٧٣.

فهذا بإرادة الله تعالى وقدرته ، فالامناء سبب والخلق والايجاد نتيجة مرتبطة بمشيئة الله.

واسند الحرث إلى الخلق ﴿ماتحرثون﴾ فالحرث واقع من الناس وهو تجهيز الأرض واعدادها أما انبات البذرة وجعلها شجرة مثمرة وكمية الثمر فهذا كله من تقدير الله ، والحرث الذى يفعله الناس انما هو سبب فقط والماء كذلك من صنع الله هو الذى أسكنه فى الأرض بقدر معلوم وحكمه بالغه ، والذى جعله عذبا صالحا للحياة هو الله ، والذى جعله مالحا هو الله ، ولا دخل للإنسان فى ايجاد الماء فهو يشربه بعد ضخه من الأرض بالمضخات أو يرفعه من الآبار وهذه كلها أسباب للحصول عليه - ولكن الماء نفسه لا دخل للإنسان فى مكوناته ﴿قل أرأيتم أن اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾[1].

والنار التى تقدحونها وتشعلونها ، إن خالقها هو الله عز وجل وكانت العرب تقدح بعودين تحك احداهما علي الآخر، وهذا العودان من شجر فمن منشئ الشجرة ؟ ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾[2] . وما فى النار من منافع للبشر معروف ، وما فيها من دمار معروف نعمه أو نقمه تبعا لاستعمالها هذه المظاهر كلها يعيشها المؤمن ويلمسها ويعرف أن الكون يسير بتقدير العزيز العليم وإرادته.

فمن عقيدة المؤمن فى ربه علم أن خالقه هو الله ، ورازقه هو الله وقد ضمن له رزقه ، وأن اجله محدد بإرادة الله . . وأنه لا دخل لأحد من الخلق في شئ فما يعيش فيه من نعم أنما هو من صنع الله تعالى . . . فلا يرى المؤمن فاعلا إلا الله - فيجب عندئذ أن يكون توجهه إلي الله تعالى لا إلى غيره وهذا

---

(١) سورة الملك : الآية ٣.

(٢) سورة يس : الآية ٨.

ما أكده الرسول ﷺ ، فى كلماته التى كان يعلمها لعبد الله بن عباس وهو لا يزال صبيا حدثا وكان رديف النبى ﷺ ، «يا غلام إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف . . . »[1] فهذا تخليص لقلب الإنسان من خوف الخلق وبالتالى القضاء على أسباب الأمراض النفسية المودية لانحرافات الشخصية ، فيقول الحق كما يمليه عليه دينه ، ويتصرف فى المواقف المختلفة فى علاقاته بالناس وفق ما شرع الله تعالى وكما يمليه عليه دينه فلا يخشى فى الله لومة لائم وليس أمعه ولا مقلدا لخطا غيره خوفا منه ، أما خوف العبد من ربه فذلك عباده يثاب على فعلها حيث يمنعه خوفه من الله من المعاصى والسيئات وظلم الخلق والإضرار بالمجتمع فيستقيم الحال وينصلح المآل ، قال تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم * وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾[2] فالخوف من الله دليل الإيمان به ، والخوف من الخلق فيه اشارة إلى ضعف الإيمان. وهذه معاشر نفسيه مرتكزها عقيدة الإسلام تكسبهم قوة ذاتية وعلواً في الهمة وجرأة في القلب .

(١) رواه الترمذى وحسنة.

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٧٥ .

فالإسلام يعنى بالعامة وخاصة
والاقتداء بالحكم لأصحابه حكم عام ~~[illegible]~~
يستلزم حقه أولى همه :
١ - حمد الله على الإرشاد بالمرشد والهداية
٢ - ~~[illegible]~~ بيانه حقيقة الكلمات

المبحث الثانى

ارتباط العقيدة بالأخلاق

لأن العقيدة محلها القلب وهى قرينة العمل الصالح كما سبق بيانه، فإن لها مقتضيات ، أهمها على الإطلاق افراد الله تعالى بالعبادة، فلا معبود سواه، ولا يدعى إلا إياه، ولا يرجى غيره، ودعوة الرسل عامة «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» . . . لأن المدعو المعبود لابد أن يكون مالكا تاما بيده نواصي العباد ولم يجرؤ أحد من الخلق على ادعاء ذلك ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير﴾[1] ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ . . . وبناء على تلك العبودية لله جلا وعلا فقد تعلم المؤمن مكارم الأخلاق وحسن الصلة بالله تعالى ، والتوافق النفسى والسلوكى مع سائر مجتمعه :

فيمقتضى عقيدته تعلم أن يباشر الأسباب ويكل أمر النتيجة إلى الله، فإن الإنسان قد تقلقه نتيجة عمل عمله وقام به، ويترتب على هذا القلق العديد من الأمراض النفسية إذ أنه يخشى من أن تكون النتيجة غير مرضية له ، فيدعوه إيمانه بالله إلى الرضا بتقدير الله وقضائه، وترك الأمر له تعالى وهذا هو خلق «التوكل على الله» فهو يعنى مباشرة الأسباب العادية وترك النتائج لله، وقد ربط الله بينه وبين الإيمان فى عديد من آى القرآن ، ومنها : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[2] ،وقوله : ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[3] ،فالمؤمن لا يخاف مستقبل حياته ولا يقلق من أجله لأنه بيد الله تعالى وهو راض مقدما بتقدير الله.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٦.
(٢) سورة المائدة : الآية ٢٣.
(٣) سورة التوبة : الآية ٥١.

٢- الرضا بالنفس مع الواقع

وإذا وقع للمؤمن شئ لا يرغبه فإن مقتضى عقيدة الإيمان والتوحيد يدعوه إلى الرضا بما قسم الله تعالى له ، ولا يلقي بنفسه للشيطان ليقارن بينه وبين غيره ويعترض على الله تعالى ، ويقول الرسول ﷺ : « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»[١] حتى لا يتقال نعمه الله عليه ويحتقرها ، بل أن نظره إلى من هو أسفل منه يدعوه إلى الرضا بالنعمة وشكرها، فالمؤمن إذن راض بما قسم الله لا يحسد أحداً ، ولا يحقد على أحد لأن رضاه بعطاء الله له قد طهر قلبه ، فهو لذلك محب غيره ومتحاب مع مجتمعه.

٣- تصحيح المسار مع الله ومع الناس :

ومن منطلق العقيدة ومقتضاها أن الإنسان إذا أخطأ في حق ربه أو حق مجتمعه فارتكب ذنوبا ومعاصي فطغى وبغى، ثم علا إلى نفسه تتذكر غضب الله عليه ، وفكر في عقابه وما أعده الله لكل مذنب وطاغ، وتذكر الذين ظلمهم فندم على فعله وشعر بالذنب فلو ترك هكذا مع عقدة الشعور بالذنب التي تتراكم على آثارها الأمراض النفسية التي تحوله إلى حطام مهملا وساليا في المجتمع ، فإن الإسلام يفتح باب التوبة والقبول ليصحح علاقته بربه وباخوانه فيستغفر من ذنبه والله تعالى يغفر الذنوب جميعا ﴿قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾[٢] ، ويقول الرسول الكريم ﷺ : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» ... وإذا كانت هناك بعض الديانات تطلب من راغب التوبة المثول بين يدى الكاهن ويعترف أمامه بالذنب فقد يمنع الخجل وخوف الفضيحة المذنب من الاقرار بالذنب وبالتالي لا يفكر في التوبة ، لكن الإسلام بما فيه من توافق فطرى جعل الاعتراف بالذنب مطلوبا ولكن هذا يكون بين

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الزمر : الآية ٥٣.

العبد وربه لا يطلع عليه أحد سواه، وإذا كان بعض المرضى بالعقد النفسية يذهبون إلى الأطباء النفسانيين للاعتراف بالخطأ أمامهم فإن الله تعالى أولى بالاعترافات أمامه من غيره، والطبيب لا يملك مغفرة الذنب أما الله عز وجل فإنه غفار لمن تاب وآمن.

فالمؤمن بمقتضى عقيدة التوحيد دائم الرجوع إلى الله والاستغفار والتوبة ويقوم سلوكه ويصحح علاقته مع ربه وبنى جنسه من العباد.

- والمؤمن قد يتعرض فى حياته لبعض الصدمات كفقد مال أو قريب أو حبيب ، أو اصابته بمرض فى جسم وبدن، إن هذا قد يؤلم الإنسان نفسيا فيسبب له اكتئابا نفسيا شديدا وقد يدعوه إلى الانتحار وقتل النفس ، لكن الإسلام يعلم المسلم أن الصبر على الشدائد عبادة لها الأجر الكبير والثواب الجزيل **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**[(١)] كما علمنا القرآن الكريم بأن الخلق الكريم من شيم الرسل صلوات الله عليهم أجمعين **﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾**[(٢)] فيكون أجر الصابر شحنه نفسية للمؤمن يتحمل بها بلاء ويتوافق مع مجتمعه نفسيا وسلوكيا. وأغلب الأخلاق الكريمة داخل فى الصبر «فإن كان فى الغنى سمى ضبط النفس وضده البطر، وإن فى حرب مقاتله سمى شجاعه وضده الجبن ، وإن كان فى كظم الغيظ والغضب سمى حلما وضده التذمر، وإن كان فى نائبة من نوائب الزمن سمى سعة صدر وضده الضجر ، وإن كان اخفاء كلام سمى كتمان السر، وسمى صاحبه كتوماً، وإن كان عن فضول العيش سمى زهدا وضده الحرص، وإن كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمى قناعة وضده الشره ، فأكثر أخلاق الإيمان داخله في الصبر»[(٣)].

---

(١) سورة الزمر : الآية ١٠. (٢) سورة الأحقاف : الآية ٣٥.

(٣) أحياء علوم الدين ـ الغزالى ـ مجلد ٣ ص ٢١٧٩ ط الشعب.

فبمقتضى عقيدة الإيمان بالله تتحدد شخصية المسلم على أساس أنه مرتبط بربه وخالقه خائف منه عابد له موقن بأن الأمر كله بيد الله ، وشجاع لا يخشى فى الحق لومة لائم ولا ضرر ضار لأن يقينه قد امتلأ بأن النافع الضار هو الله وبيده الخلق والأمر ، كما أن المؤمن يتربى من منطلق عقيدته على أنه ليس جزعا ولا هلعا ولا يائسا ، وليس بطرا متكبرا ، ولا جبانا متذمرا، وهو أمين على سر أخيه ، وليس شرها ولا حريصا ولا طامعا ولا بخيلا لأنه واثق أن أمره كله بيد الله تعالى وماضيا بقضائه وقدرة دون شذوذ أو انحراف ، وهو صبور فى كل أمره ، وبهذا كله يستقيم وجدانه ويرتبط بخالقه ، ويحسن معاملة اخوانه. ويعتبر الصحابة قدوة فى بناء مجتمعهم الكبير الذى كانت دعامته العقيدة والأخلاق.

ومن مظاهر العقيدة

- التزام الصدق فى القول والفعل
- الأمانة فى كل شئ
- الرحمة بكل صورها

المبحث الثالث

دور العبادة فى دعم العقيدة وتقويم السلوك

والمقصود بالعبادة الجانب العملى فى علاقة المؤمن بربه ، وهو ما يدخل تحت لفظ اسلام ، وأركان الإسلام كلها جوانب عملية ظاهرة ، فالنطق بالشهادتين قول باللسان نسمعه فنحكم بإسلام الناطق به ويعامل معاملة المسلمين وهو ترجمة باللسان عما استقر فى الوجدان من التوحيد والتصديق ، وإلا كان نفاقا وزندقه، والصلاة فى أوقاتها جانب عملى، والزكاة جانب عملى، والصوم جانب عملى عبارة عن ترك، حيث أن العبادات فعل وترك، فالصلوات والزكاة بأنواعها ، والحج بمناسكه كل ذلك أفعال يأتيها المؤمن ، أما الصوم فهو ترك الطعام والشهوات والإمساك عنها ، ولا يعنى ذلك الفصل بين الجانب العملى والجانب القلبى فى الإسلام وإنما هما مرتبطان ارتباطا وثيقا على نحو ما سبق بيانه فى مبحث الإسلام دين الفطرة ، لأنه لا فصل بين العقيدة والعمل ، ونحن هنا بصدد بيان تأثير جانب العبادات كافعال عملية فى بناء شخصية المومن وإكسابها سمات خاصة :

١ ـ فالصلاة عبارة عن أقوال وأفعال مبدوءة بالتكبير مختومة بالتسليم بنية مخصوصة وتشمل أفعالا وأقوالا، فالأفعال كالقيام والركوع والسجود والجلوس بين السجود ، والأقوال كقراءة الفاتحة وآيات من القرآن والتسبيح فى الركوع والسجود والدعاء والتشهد ، وهذا كله لابد أن يكون مصحوبا بالخشوع مع الطمأنينة ليكمل الثواب وتقبل الصلاة ، وهى عبادة يومية تتكرر خمس مرات فى الفرائض بخلاف النوافل وفى وقوفه بين يدى ربه يتذكر الثواب والعقاب والحساب يوم القيامة ويفكر فى ذنوبه فيخر ساجدا مستغفرا منها ، ويبدأ

المصلى صلاته بتكبيرة الاحرام «الله أكبر» وعند انتقاله من ركن ينطق معترفا «الله أكبر» وعند الهوى من القيام إلى الركوع والسجود يقول «الله أكبر» ومعنى ذلك أنه يعتبر كل ما سوى الله صغيرا لا يلتفت إليه ، ولا يشغل نفسه به مادام فى صلاته مناجيا الله العلى الكبير.

وأمر آخر : عندما يركع الإنسان يحنى ظهره مسبحا ، وعندما يسجد يلصق جبهته بالأرض مسبحا داعيا ، واقرب ما يكون العبد من ربه عندما يكن ساجدا ، بفعل ذلك مختارا راجيا عفو ربه ـ فكأنه عندما يخر ساجدا أو ينحنى راكعا مكبرا «الله أكبر» يقر بأنه فعل ذلك تعظيما لله الكبير وضع جبهته وهى أعلى مكان فى جسمه على الأرض طائعا لله الأكبر ، واحنى ظهره فى الركوع لله الاكبر ـ ومادام قد فعل ذلك لله الاكبر الذى لا يقبل له شريكا فإن الله تعالى يصون عبده هذا من أن يحنى ظهره ، أو يعفر وجهه لغيره تعالى مادام قد فعل ذلك للكبير فإن الله يغنيه عن فعل ذلك لأى صغير.

فبمواظبة المؤمن على صلواته يكتسب سمة نفسية وروحية هى العزة والترفع عن الدنايا ـ يضع الله له فى قلبه من الغنى والقناعة ما يجعله عزيزا غنيا عن الخلق ، وقد وصف الله تعالى رسوله ﷺ وأصحابه بالقوة والرحمة وهما صفتان لا تجتمعان إلا فى قلب مؤمن عمر قلبه بالإيمان وأشرقت روحه لطاعة الرحمن فقال تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾[1] والله تعالى أثنى على نبيه ﷺ وأخبر عنه بأنه رسول الله حقا ، واثنى على أصحابه فقال : ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وهذه صفة المؤمنين «أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على

(١) سورة الفتح : الآية ٢٩.

الكفار رحيما بالاخيار ، غضوبا عبوسا فى وجه الكافر، ضحوكا بشوشيا فى وجه أخيه المؤمن. . .»[1] وهذه القوة وتلك الرحمة جاءت هؤلاء الصحابة من صلتهم بالله وخشوعهم له تراهم ركعا سجدا ، فاكتسبوا صفة العزة التى أخبر عنها الله بقوله : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[2] وقوله : ﴿من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا﴾[3] . . . ومن حسنت صلته بخالقه منحه موافى النفس وصوابا فى الرأى واغناه عن الخلق ورزقه العفة وصلاح الدنيا ونعيم الآخرة «ومن يستعن يغنه الله» ، وقال رسول الله ﷺ : «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه في النهار»[4].

والصلاة الخاشعة تقوم سلوك صاحبها وتسويه ، حيث يقف الإنسان فى صلاته مناجيا ربه خاشعا ذليلا راجيا ، فلا معنى بعد ذلك لمباشرة المعاصى وإيذاء الخلق واتيان الفواحش ، فما معنى الصلاة إذن ، يقول تعالى : ﴿أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون﴾[5] ، ويقول الرسول ﷺ : «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له»[6] والمعنى أن صلاته لا تقبل منه ما لم يعمل بمقتضاها من ترك الفحشاء والمنكر ، وأخيرا لا تنسى دور الصلاة وأثرها فى ترابط المجتمع المسلم وتماسكه فى الدعوة إلى الجماعات وتفضيل صلاة الجماعة على صلاة الفرد على نحو ما سيأتى إن شاء الله.

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٠٤ ط الحلبى.

(٢) سورة المنافقون : الآية ٨.

(٣) سورة فاطر : الآية ١.

(٤) رواه ابن ماجة عن جابر.

(٥) سورة العنكبوت : الآية ٤٥.

(٦) رواه ابن ماجة.

فالصلاة الكاملة التامة المطمئنة تربية ذاتية للمؤمن توجه عمله نحو خالقه وتخلص قلبه من كل المخاوف ومصادر الازعاج ونزوده بطاقات الشجاعة والاقدام وذلك كله لقوة صلته بالله القوي القدير في صلواته.

٢ ـ والزكاة وهى الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادة والزكاة هى عبادة مالية تعنى البذل والعطاء من المال الذى بلغ نصابا وهى طهرة لصاحبها ولماله من كل الخبائث ، ونظر المؤمن إلى المال بمقتضى أن المال مال الله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وصاحبه مستخلف فيه يعطى من مال الله لعباد الله ومع ذلك يحظى بالثواب العظيم والأجر الكبير ، وقد أمرنا الله تعالى بالانفاق فيه فيقول : ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير﴾[1] يقول ابن كثير : «حث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أى مما هو معكم على سبيل العارية فإنه كان فى أيدى من قبلكم ثم صار إليكم . . . »[2] والزكاة وسائر الصدقات تدرب الإنسان على البذل والعطاء وتعود نفسه على التخلى عن محاب نفسه وشهواتها فى سبيل ارضاء الله ، وهى تطهير من صفة البخل والشح والطمع وتعويد على البذل والعطاء والسخاء ، كما أنها امتحان واختبار للمزكى فى حبه لله ، فإن المال شقيق الروح وحبيب النفس ولا عجب فى هذا فتملك المال مرغوب لأنه غريزة مركبة فى تكوين الإنسان ﴿وتأكلون التراث أكلا لما * وتحبون المال حبا جما﴾[3] فالمال محبوبه ، فإذا تخلى عن حبه للمال وبذل منه واعطى السائل والمحروم حقهما ، وذلك طمعا منه فيما عند الله من الخير والثواب الدائم ـ فهذا أيضا ربط له بربه وخالقه ، مع مرعاته آداب إخراج الصدقة كعدم المن

---

(١) سورة الحديد : الآية ٧.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ط الحلبي.

(٣) سورة الفجر : من الآية ١٩ ـ ٢٠.

والأذى ، والاسرار بها ، ولا يخفى على كل ذى لب ما للزكاة والصدقات من آثار هامة في تكافل المجتمع المسلم وتقوية اقتصاده على نحو ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

٣ - والصوم وهو الركن الرابع من أركان الإسلام وهو ترك لا فعل ، وهو تربية ذاتية للصائم على مكارم الأخلاق من الصبر والشفقة والرحمة والأمانة فى الدين وكف اللسان عن الأذى «الصوم جنة ماذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم...»[1]. وهو امساك عن شهوتى الفرج والبطن فى نهار رمضان بنيه مخصوصة ومن خلال تحمل الجوع والعطش يتعود على الصبر ، والأمانة ومراقبه الله تعالى فلا يقبل أن يخلو إلى النفس ليأكل أو يشرب ثم يتظاهر بالصوم أمام الناس لأنه وقر فى قلبه أن الله معه يراه ومطلع عليه ، وهذا الاحساس عندما يصاحب الإنسان يجعله دائم الحساب لنفسه يؤدى عمله المنوط به على الوجه الأكمل ، صابرا على أداء العمل ، ولا حساسة بآلام الجوع والعطش يحس بآلام الآخرين من الفقراء والمساكين الذين لا يجدون ما يأكلون طوال العام فيثير ذلك شفقته عليهم ورحمته بهم ، كما أن إمساك اللسان عن فضول الكلام مطلوب لنيل أجر الصوم كاملا «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» وصدق رسول الله عندما يقول: «الصوم جنة» أى وقاية وحفظ وستر عن المعاصى والسيئات عن مراعاة آدابه وشروطه على نحو ما ورد فى كتب الفقه ، فالصوم تربية للمؤمن على مكارم الأخلاق ، كالصبر والأمانة والرحمة وهذا جانب هام من جوانب شخصية المسلم.

---

(١) رواه مسلم كتاب الصيام.

٤ ـ والحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام وهو قصد البيت الحرام للنسك ، وقد أوجبه الله تعالى مرة فى العمر على الأقل على كل قادر مستطيع فقال : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[1] وقال كذلك : ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[2] وقد جعل الرسول ﷺ «الحج عرفة» أى الوقوف بعرفة فى اليوم التاسع من ذى الحجة ، وهو مؤتمر عالمى يلتقى فيه المسلمون فى مكان واحد هو عرفة رغم اختلاف اقطارهم ولهجاتهم ....

وهو عبادة تجمع بين كل ما سبق ففيه الصلاة طبعا ، وفيه البذل والسخاء حيث يبذل المسلم للسفر وتجهيز الراحلة ونفقات الإقامة ، وفيه تحمل المشاق والصبر عليها حتى ينال رضا الله تعالى ، وللحج اثر فعال وهام فى ربط المسلمين وجدانيا ، وهذا ما سيأتى بيانه إن شاء الله عند الحديث عن المجتمع المسلم ، وعلى هذا فإن الحج يعتبر ثمرة طيبة لاستقرار كل العبادات والشعائر فى قلب المؤمن فقد جمع فيه الخير كله ﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج﴾[3] فالحج يلتزم فيه المؤمن الحاج بالآداب والأخلاق والالتزام حتى ينال الأجر كاملا .

ثمار التزام المؤمن العقيدة والعبادة :

من خلال الدراسة السابقة نصل إلى حقيقة هامة هى أن الإنسان المسلم استقرت فى قلبه عقيدة التوحيد فقد كسبته قوة ذاتية ووجدانية جعلته متكامل الشخصية ومن خلال ارتباطه بربه شعر بالأمن والأمان ولم يداخله خوف أو

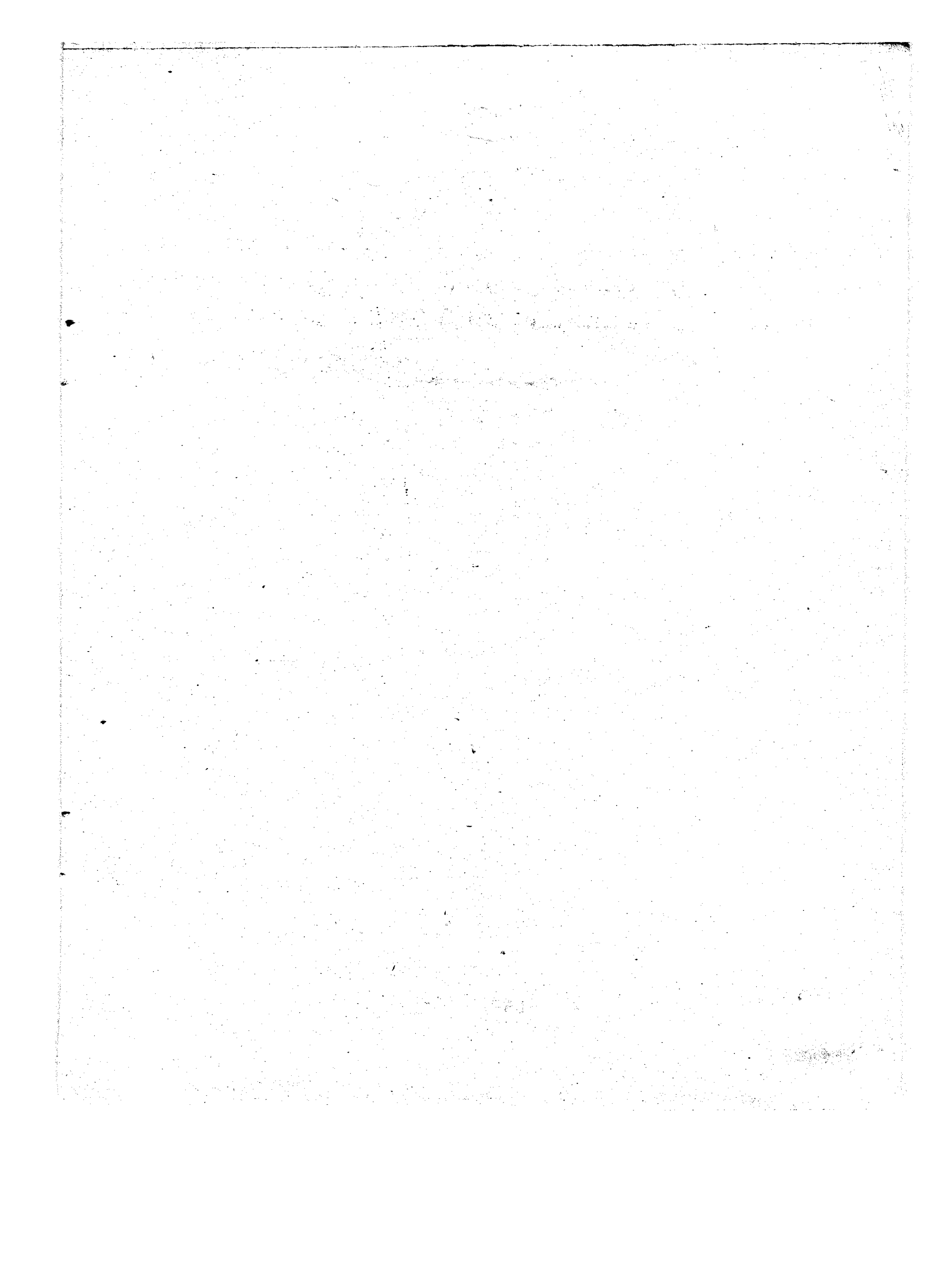
---

(١) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٢) سورة الحج : الآية ٢٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

قلق ، فاستوى سلوكه/وكان عبدا [illegible] ومواطنا صالحا ايجابيا لا يعرف السلبية جادا فى عمله لا يعرف التواكل أو الكسل لأنه استحضر فى قلبه أن الله معه ويحاسبه على عمله ، وعلى علاقاته بالآخرين ، ثم كان دور العبادات والأركان العملية للإسلام التى أكدت فيه ما رسخ فى قلبه من العقيدة وصقلت فيه الأخلاق وربته على القوة والاستقامة وحسن الصلة بالله ، ولذا فأنا نقول أن العقيدة والعبادة بنتا شخصية المسلم ليكون عضوا نافعا فى مجتمعه وأمته، فهو قوى فى ذاته لقوة صلته بربه. »



المبحث الرابع

الإسلام عقيدة وعمل

تلك هى الحقيقة التى اتسم بها الإسلام ، حيث أنه ليس مجرد نظريات ومعان يستحيل تطبيقها وبروزها إلى الواقع الملموس ، وإنما للإسلام جانبان ، جانب مادى وجانب روحى، فالجانب الروحى هو تلك العقيدة المستقرة فى قلب المؤمن من الإيمان بالله والتصديق برسالة سيدنا محمد ﷺ والجانب المادى هو سلوك المؤمن المبنى على العقيدة السلمية فى عبادته لربه ، وتعامله مع إخوانه، وعلاقاته بسائر مجتمعه وأسرته، كل هذا يتضح كواقع ملموس يشعر به الآخرون ، وعلاقة العمل بالعقيدة علاقة احياء وتقوية وانعاش فانعدام العمل والتقصير فيه يعنى ضعف العقيدة ويقول الغزالى فى الاحياء : إن العمل يؤثر فى نماء هذا التصميم - يعنى الاعتقاد - وزيادته كما يؤثر سقى الماء فى نماء الأشجار ، ولذلك قال تعالى : ﴿فزادتهم إيمانا﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ . وقال النبى ﷺ فيما يروى فى بعض الاخبار «الإيمان يزيد وينقص» وذلك بتأثير الطاعات في القلب»[1] والعمل قرين الإيمان تقوى به العقيدة وتتمكن من القلب وتربط بين الإنسان وربه فى سلوكه اليومى، وفى القرآن الكثير من الآيات اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، واتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾[2] وقول تعالى : ﴿إن

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١ ص٢١١ ط الشعب.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم ...﴾(1) .

وقوله تعالى : ﴿من عمل صالحا من ذكرا وانثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(2) .

وقوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت جنات الفردوس نزلا * خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾(3) .

كما يقول الرسول ﷺ : « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل» فهذه أمثله تبين أن الإسلام لا يكمل إلا بالجانبين معا ، العقيدة والعمل ، كما أكدت لنا فى وضوح وجلاء أن كل إيمان صادق معه عمل صالح، لأن العقيدة كأمر قلبى لابد من انعكاسها على أعمال الأعضاء والجوارح فى سائر التصرفات فى الحياة وشئونها المختلفة ، والإسلام دين حياة ومنهج عمل لأمة يصلح من شأنها ويعلى رايتها ويرفع ذكرها بين سائر الأمم ، إذ أن أغلب الأمم والجماعات تحكم على الإسلام ومنهجيته من خلال سلوك المسلمين وتصرفاتهم مع الآخرين لذلك قرن الإيمان بالعمل الذى يبرز معانى فى السلوك الواقعى في المجتمعات ، كما اتضح من خلال الآيات أن الله تعالى ربط بين الجنة وثوابها وما فيها من أنهار ومتاع ، ونعيم ، والحياة الطيبة الراقية وبين الإيمان والعمل الصالح فالجنة والأمن والأمان لمن اتصف بهذين الوصفين امن وعمل عملا صالحا .

والعمل الصالح شامل كل مجالات الحياة حيث تدخل فيه علاقة الإنسان بربه فى العبادة والطاعة ، ويشمل كذلك علاقة الإنسان بمجتمعه من التزام

---

(1) سورة يونس : الآية 9 . (2) سورة النحل : 97 .

(3) سورة الكهف : الآيتان 107 ، 108 .

مكارم الأخلاق وحسن المعاملة ، وكل عمل يعود على المجتمع بالخير عمل صالح يثاب المرء على فعله والقيام به ،

وقد ربط الله تعالى بين العمل الصالح كوجود مادى وبين القيم الروحية المبنية على العقيدة الصحيحة ، فنجد أن كل عمل مادى بالجوارح مقرون بعمل وقيمة معنوية وهو التوجه إلى الله والطمع فى ثوابه ، وكل عمل مقرون بدافعه النفسى الداعى إليه «وإنما لكل امرئ ما نوى » ، وكل عمل يتوجه به الإنسان إلى ربه عبادة ، فعلى سبيل المثال : نجد أن الطعام والشراب كغذاء للجسم يكون بإسم الله «سم الله وكل بيمينك»[1] أى يجعل له قيمة روحية بأن يكون من حلال طيب . . . ويقصد به التقوى على العبادة والطاعة ويكون بذلك متمشيا مع الفطرة السوية ، ولو نظرنا متأملين فى نظرة الإسلام إلى الجنس لوجدنا أنه يبيحه ويكون باسم الله أيضا لا عن طريق الفاحشة والانحراف ، وقد ذكرت السنة أن النبى ﷺ، كان يذكر الله تعالى قبل الجماع ويدعوه : «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا » وإذا قصد بالجماع اعفاف النفس واحصانها تحول إلى عبادة « وفى بضع أحدكم صدقه » قالوا : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له بها أجر ؟ قال أرأيتم ان وضعها فى حرام أكان عليه بها وزر ؟ قالوا نعم قال كذلك أن وضعها فى حلال كان له بها أجر . لأنه قصدا احصان نفسه ، فاقترن هنا الجانب الروحى بالعمل المادى .

وفى العبادات اقترن الجانب العملى المادى مع الجانب الروحى ، فالصلاة أقوال وأفعال ، وحركة جسم متطهرة مقترنة بروح خاشعة تحاول أن تتصل بالله ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم صلاتهم خاشعون﴾[2].

---

(١) رواه الترمذى عن أبى سلمة كتاب الأطعمه باب ماجاء فى التسمية.

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١ ـ ٢.

والصوم امتناع الجسم عن الطعام والشراب وتحمل للجوع والعطش إلى جانب تقوى المشاعر والانطلاقة الروح ، ولا يصح إلا بهما معا ﴿من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعام وشرابة ﴾[1] .

والزكاة أعمال محسوسة تؤدى إلى جانب التطهر الروحى فلا تصح إلا بالنية الطيبة ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾[2] .

والحج أعمال جسدية وحركة روحية ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يأولى الألباب﴾[3] .

من خلال ذلك نخلص إلى أن القيام المادية مرتبطة بالقيمة الروحية ، والنظم الاقتصادية ليست منفصلة هى الأخرى عن القيم المعنوية التى تعلمها : «أن الله يحب إذا يعمل أحدكم عملا أن يتقنه» والمال يجب أن يوزع على الناس «كي لايكون دولة بين الأغنياء منكم» فيزداد الغنى غنى والفقير فقيراً، والأخلاق عنصر مرتبط بكل العمليات الاقتصادية من بيع شراء وتملك وانتاج «رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»، والعمل الصالح هو عمل نافع للمجتمع ومفيد للأمة .

هناك ترابط بين العقيدة والعمل[4] ، والمسلم ليس سلبيا فى حياته كما أنه غير منعزل عن مجتمعه بل هو ايجابي يتفاعل مع من حوله ويتكاتف معهم للعمل لصالح الأمة والسعى لرقيها ، فالمسلم فى بيته ليس كما مهملا تحركه

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور .

(٢) التوبة : الآية ٣ ـ ١.

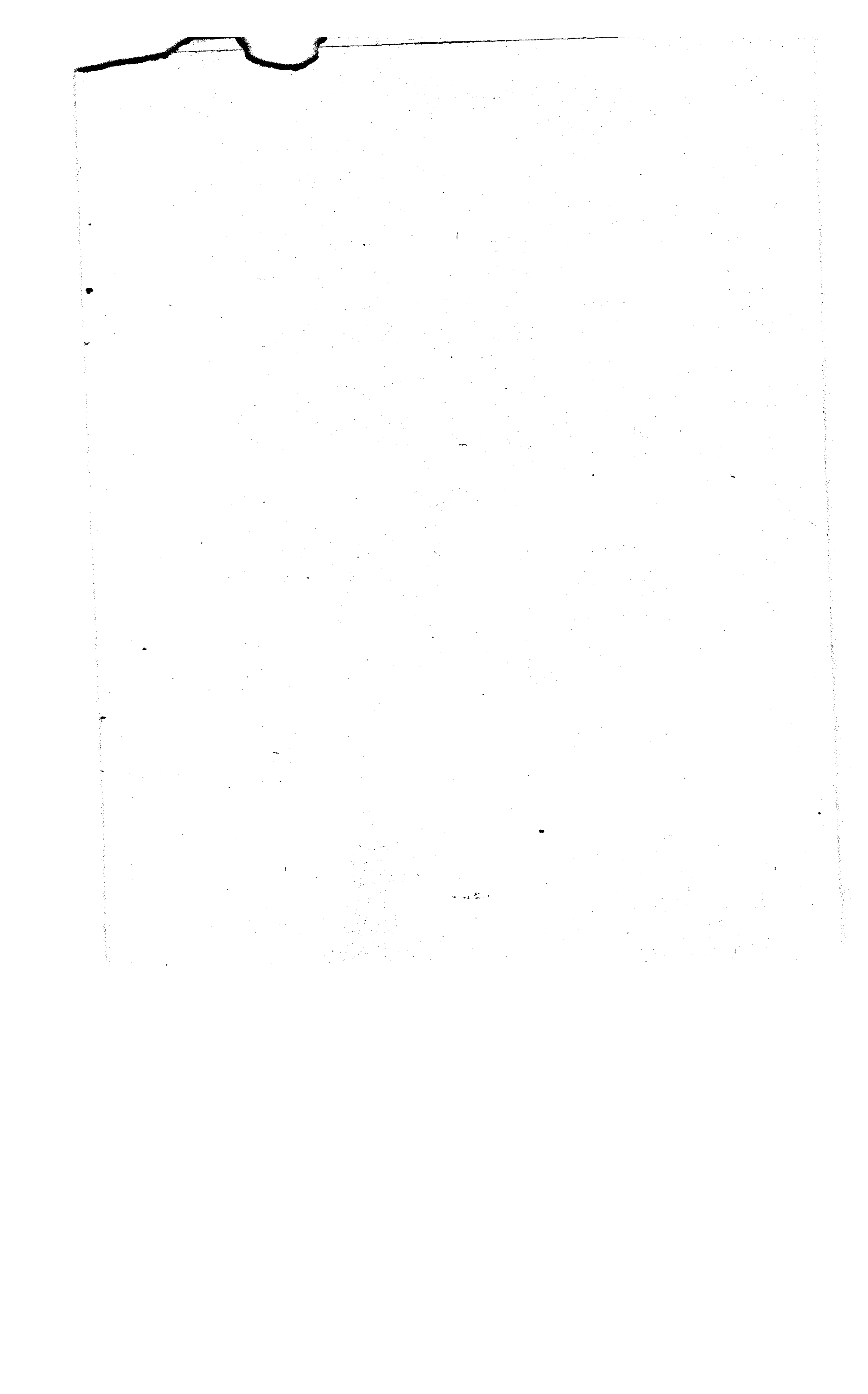
(٣) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٤) انظر دراسات في النفس الإنسانية محمد قطب صفحة ٦٨ ط الشروق.

أهواء الآخرين حسب ارادة أصحابها وليس أمعة يتبع غير بلا تفكير وعقل .

وإنما هو مؤمن قوى وهو أحب إلى الله من المؤمن الضعيف لأنه مؤثر فى مجتمعه أنه لغيره كالبنيان يشد بعضه بعضا ، يشد أزر أخيه ويساعده ويبره طالبا الأجر من الله عز وجل وطامعا فى رضاه وعظيم ثوابة وثواب الله خير وشكرا لله على ما من به عليه من نعم ، وفضل والعمل الصالح قسمان : عبادات ومعاملات ، فالعبادات تشمل الصلاة والزكاة والصيام والحج ، والمعاملات تشمل كل مجالات التعامل البشرى فى اطار العقيدة والأخلاق فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده ، وعلى ذلك فإن العمل الصالح يتناول علاقة الإنسان بربه عن طريق العبادات وعلاقته ببنى جنسه من البشر فى كل أنواع المعاملات. وهذا من تمام التزام الدين وارتباط العقيدة بالعمل .

* * *



خط صغير

الفصل الأول
(عناصر القوة الذاتية)

ثانيا: محاور بناء المجتمع المسلم

تراجع الأخطار المطبعية

الفصل الأول
عناصر القوة الذاتية

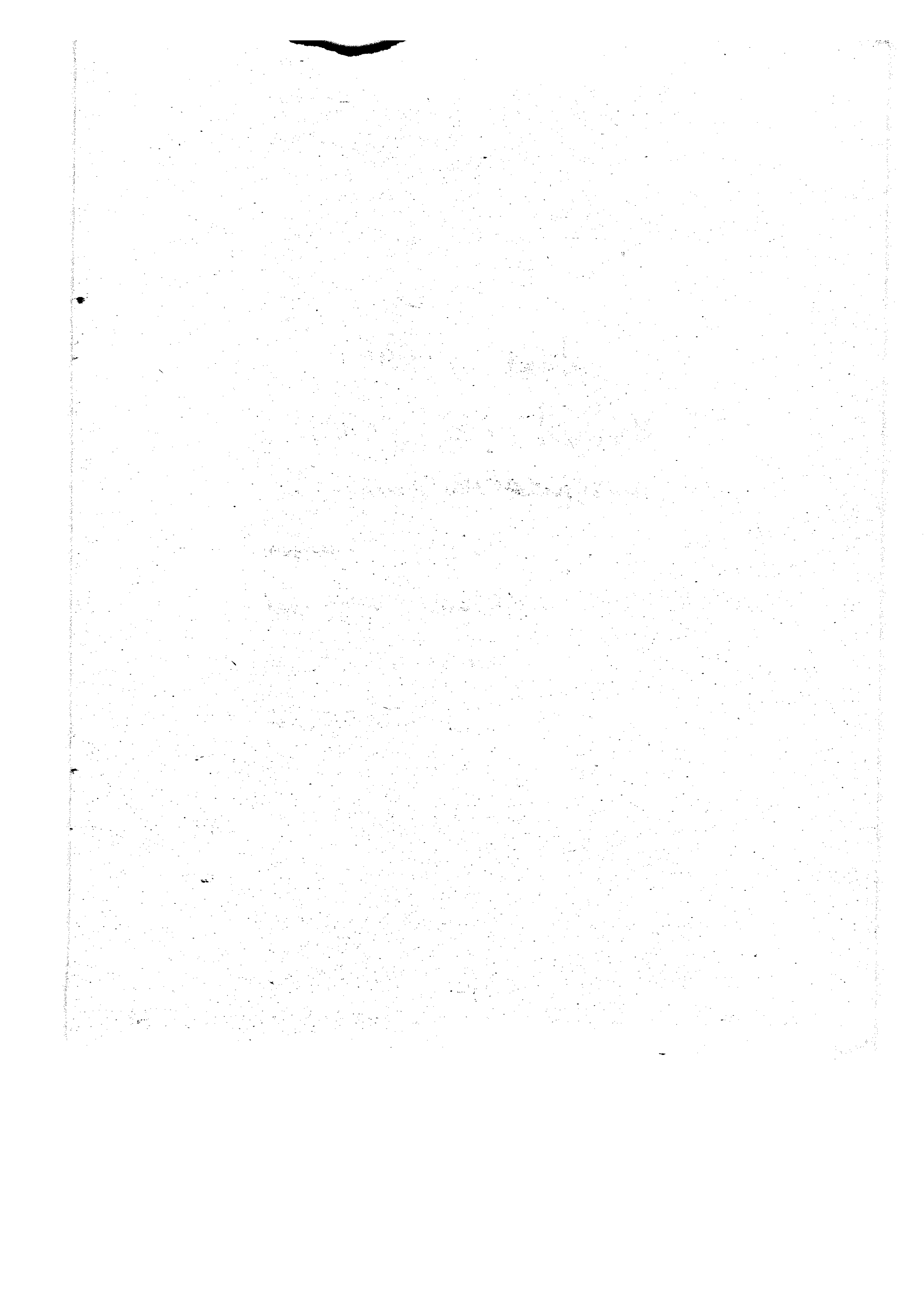
ثانيا : محاور بناء المجتمع المسلم

* تمهيـــد

١ - محور العلاقات الإنسانية .

٢ - محور البناء الاقتصادى.

٣ - محور البناء السياسى.



تمهيد

بناء الكيان الاجتماعى يعنى ما وضعه الإسلام من تشريعات تنظم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات ، وسائر العلاقات الاجتماعية على كافة المستويات والعنصر البشرى فيه هو حاصل جمع الأفراد المسلمين الذين تربوا على أساس العقيدة الصحيحة والإيمان الصادق ، واللبنات التى هى وحدات البناء إذا كانت سليمة وقوية . كان البناء متماسكا لا تؤثر فيه أحداث الزمان وتقلباته بكل أنواعها وأشكالها ومكوناتها ، ومن تتبع تاريخ الأمة الإسلامية على مر الزمان نجد أن حضارة المسلمين كانت قوية متميزة متأصلة ، فقد احتك بها العديد من الحضارات الوافدة فلم تتأثر بها ولم تضع معالمها ولم يتغير الشكل العام للثقافة الإسلامية ، بل إن تلك الحضارات الوافدة هى التى تأثرت بالإسلام وذابت فيه .

والفرد المسلم يمثل لبنة البناء فى الكيان الاجتماعى قد تربى تربية اسلامية خاصة انضجت فكرة ، وسمت بواجدانه ، ونظمت أسلوبة فى الحياة ، فقد نشئ فى أسرته تنشئة اجتماعية سليمة قوامها الثقافة والأخلاق الإسلامية ، حيث قد تربى فى الأسرة على أساس الصلة بالله والاعتصام به واحترام الكبير والعطف على الصغير ، وعلى حب الخير للمجتمع كله ، وعندما ينضج تتسع دائرة تفاعلاته مع المجتمع ، فجاءت تشريعات الإسلام لترسم له الأسلوب الصحيح فى التعامل مع المجتمع على أساس العقيدة والأخلاق . فإذا تربى على الخوف من الله تعالى ، وحرمة أموال الآخرين واعراضهم ودمائهم فإنه ينأى عما يغضب الله تعالى ، ويحرص على ما يرضيه فتنشأ من ذلك ظاهرة مشرقة بنور منهج الإسلام هى الأمان والسلام الاجتماعى، وعندما يحب لأخيه ما يحب لنفسه يظهر الايثار وتختفى الأنانية . . . هكذا يتفاعل الفرد مع

مجتمعه فى كل الأخلاق والسلوكيات كما فهمها وتشبع بها من تعاليم الإسلام، ومن كل ذلك تميز البناء الاجتماعى للمجتمع المسلم بأسس قام عليها فى كل المجالات فاكسبته قوة وترابطا وتماسكا مما جعل وحدة عضوية بين المسلمين صورها لنا الرسول ﷺ بقوله : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد والحمى» وفيما يلى توجيهات الإسلام ومحاور بناء المجتمع المسلم القوى المتماسك.

مصادر بناء المجتمع المسلم

١ ـ محور العلاقات الإنسانية :

تميزت هذه التوجيهات بأنها سدت كل أبواب التفكك والانحلال ، وفتح كل أبواب الترابط والدعوة إلى الوحدة الوجدانية حفاظا علي أن يظل المجتمع متماسكا فى وحدة قوية . . .

١ ـ فقد دعا إلى صلة الرحم وجعل ذلك سببا لرضا الله تعالى ، فيقول الرسول ﷺ : « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسا له فى أثره فليصل رحمه»[(١)] وعن تساؤل حول معنى الزيادة فى الأجل يجيب الامام النووى ، فيقول : «أجاب العلماء ـ عن ذلك ـ بأجوبة منها : أن هذه الزيادة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة ، وصيانتها عن الضياع فى غير ذلك ، والثانى : أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم فى اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن رحمه زيد له أربعون ، والثالث : أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت .. حكاه القاضى »[(٢)] ومعنى ذلك أن العلماء متفقون على أن صلة الرحم واجبة وأن القطيعة حرام ، وأن أقل الصلة الكلام ، وأن الحكم بالوجوب يرجع إلى الحالة والحاجة ، فمن كان له أخ غنى ، وعمه فقير معدم فإن صلة الأخ بالكلام والمجاملات العادية ، أما العم فلا يعتبر واصلا له إلا إذا اعطاه من ماله إن كان قادرا . . . كما تكون الصلة بالمال والزيارة تكون بعبادة لمريض وإجابة الدعوة»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم عن أنس ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ باب صلة الرحم مجلد ٥ ط الشعب ص٤٢٢ .

(٢) انظر شرح النووى على صحيح مسلم ط الشعب جـ٥ .

(٣) انظر السلوك الاجتماعى فى الإسلام ـ حسن أيوب ـ ص٢٦٥ .

ويروى الغزالي عن سيدنا عمر رضى الله عنه : «أنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا . وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم»[1] ولكن للجوار حقا قرره الإسلام . . .

٢ - حق الجوار : وهو بيان للأساس الذي تتعامل به الأسرة مع الأسر المجاورة فى ظل توجيهات الإسلام ، فقد روى الامام مسلم عن رسول الله ﷺ : قال : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2] وقال: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»[3].

ربط رسول الله ﷺ بين الإيمان والإحسان إلى الجار فقال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[4] والإحسان إلى الجار وصلة الرحم وحقوق الوالدين وغير ذلك من المعانى الجميلة التى طمست عليها المدنية وشوهتها إلا أن الإسلام يحفظ لتلك المعانى جلالها «ومن المعانى التى طمست المادية معالمها فى أكثر البلاد حقوق الإنسان الأدبية على الإنسان مثل حقوق الأبوين وحقوق الأرحام وحقوق الجيران . . . ولقد أصابت شرقنا الإسلامى نكسات فكرية عنيفة جعلت أكثر من فيه يضطرب فكريا ويضعف عقائدها وينحل اجتماعيا حتى وجدنا كلمة : حقوق الآخرين الأدبية » صارت غريبة بين المسلمين مثل كل شئ إسلامى»[5] ولكن الإسلام جعل ذلك واجبا عليه نحو

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٦ ط الشعب ص١٠٢٨.

(٢، ٣) رواه مسلم الاول عن ابن عمر ، والثانى عن أبي ذر جـ٥ باب الوصية بالجار والإحسان إليه ص٤٨٢ ط الشعب.

(٤) رواه مسلم عن أبى هريرة جـ١ ط الشب ص٢٢١ كتاب الإيمان - باب تحريم إيذاء الجار.

(٥) السلوك الاجتماعى فى الإسلام ـ٢٧٩.

مجتمعه وذويه ، ميزه عن غيره ، وقد أخبر الرسول عن امراه فى النار مع إنها تصوم النهار وتقوم الليل إلا أنها تؤدى جيرانها ويذكر الامام الغزالى مجمل حقوق الجار فيقول : «وجملة حق الجار : أن يبدأة بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حالة السؤال ، ويعوده فى المرض ، ويعزيه فى المصيبة، ويقوم معه فى العزاء ، ويهنته فى الفرح ، ويظهر الشركة معه فى السرور ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع من السطح على عوراته ، ولا يضايقه بوضع الجذع على جداره ، ولا فى مصب الماء فى ميزابه ولا فى مطرح التراب فى فنائه ، ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ، ويستر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صدعته إذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمته ، ولا يديم النظر إلى خادمته ، ويتلطف بولده فى كلمته ، وشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه . . .»[1] هذه الحقوق مضافة إلى حقوق الأخوة العامة فى الإسلام ويجمعها «الإحسان» فى معاملة كل أفراد المجتمع كوحدة إسلامية متماسكة والتى ذكرها الله فى قوله : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾[2] فالمسلم يحسن معاملة كل المجتمع مؤديا واجبا دينيا وانسانيا مبتغيا بذلك وجه الله تعالى .

٣ ـ ونهى الإسلام ع الهجر والظلم : لأنهما من أسباب التباعد والقطيعة التى تفرق جماعة المسلمين وتوهن صفوفهم فيضيع الحق ويتوه الضعيف فيقول الرسول ﷺ : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض

(١) إحياء علوم الدين ط الشعب جـ٦ ص ١٠٢٤.

(٢) سورة النساء : الآية ٣٦.

هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام»[1] قال العلماء فى هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها فى الثلاث الأول بنص الحديث والثانى بمفهومه قالوا وإنما عفي عنها فى الثلاث لأن الآدمى مجبول على الغضب وسوء الخلق فعفا عن الهجر فى الثلاثه ليذهب ذلك العارض[2] وحرم أيضا ظلم المسلم بالاعتداء عليه أو على ماله أو عرضه حسدا عليه أو بغضه له لأن ذلك كله أسلوب عمل الشيطان لنشر الشقاق بين الناس وتفريق المجتمعات وإضعافها وتوهينها مما يضعف قيم الإسلام - ولكن الإسلام أدب المسلم بتركها والتحلى بالمحبة التعاون ، فيقول الرسول ﷺ ناهيا المسلم عن هذه الأمور السيئة : «لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا.

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا مشيرة إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، «كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وعرضه وماله»[3] وإذا وقع الظلم من أحد فقد أوجب الإسلام رد الظالم عن ظلمه واعتبر ذلك إعانة له ونصرة على الشيطان فقال عليه الصلاة والسلام: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قيل يا رسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجزه وتمنعه من الظلم فذلك نصره»[4] فرده على الظلم إعانة له على التغلب على الشيطان الذى جره

---

(١) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الهجر عن أبى أيوب - جـ٥ ط الشعب ص٤٢٥ .

(٢) شرح النووى على مسلم مجلده ص٤٢٥ .

(٣) رواه مسلم باب تحريم الظلم مجلده ط الشعب ص٤٢٨ عن أبى هريرة.

(٤) رواه البخارى - وروى مثله فى المعنى مسلم جـ٥ باب تحريم نصره الأخ ظالما أو مظلوما ط الشعب ص٤٤٥ .

إلى الظلم ، ونهى عن التعذيب للمسلم جعله حراما على كل مسلم ملتزم تجنبه ولا يجره الشيطان إلى تعذيب أخيه أو إيذائه فقد روى مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا فى الشمس فقال ما شأنهم ؟ قالوا : حبسوا في الجزية ، فقال هشام : أشهد فسمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا»[1] يقول النووى تعليقا على الحديث : «هذا محمول على التعذيب بغير حق فلا يدخل فيه التعذيب بحق القصاص والحدود والتعزير ونحو ذلك» وفى الحديث ملمح طيب هو أن الناس اللذين رآهم هشام من أهل الجزية - منهم غير مسلمين وهم كما ذكر النووى فلاحو العجم ، وهذا يدل على احترام الإنسان وتحريم الاعتداء عليه أو تعذيبه بغير حق مسلما كان أو غير مسلم - فضمن للإنسان حقه ، إذا كان هذا بغير المسلم فهو للمسلم أولي وآكد.

٤ - ولم يقتصر الأمر بعدم الاعتداء فقط ، فقد أمر الإسلام بكف الأذى وازالته عن الطريق العام والمعاونة فى الخير والمساعدة عليه ، وستر عوراته وجعل ذلك مما يثاب عليه المسلم ويحسب صدقة له فقال عليه الصلاة والسلام: «كل سلامى من الناس عليه صدقه، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقه ، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقه ، والكلمة الطيبة صدقه وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقه ، وتميط الأذى عن الطريق صدقه»[2] ويقول : «المسلم أخو لمسلم لا يظلمه ولا يسلمه» ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربه فرج الله

(١) رواه مسلم كتاب البر والصدقة والثواب وباب الوعيد لمن عذب الناس ط الشعب جـ٥ ص٤٧٣ ، وتعليق النووى بنفس المرجع.

(٢) متفق عليه ورواه مسلم كتاب الزكاة باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف جـ٣ ص٤٦.

عنه كربه من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله»[1]، وإذا كان الإسلام يأمر المسلم أن يبعد أذى غيره عن الطريق فإنه من باب أولى يحضه أن يعزل أذى نفسه عنه فلا يلقى فى الطريق ما يضر . . .»[2] كإلقاء القاذورات والفضلات وسائر المعوقات والعراقيل ، والحرص على نظافة الطريق واجب املاه ديننا على أفراده ، وإذا كنا منبهرين بالنظافة فى البلاد الغربية فذلك لأننا نسينا ما علمه لنا ديننا من قيم فى هذا المجال ، ومساعدة المسلم ومعاونته فى كربته فإن ذلك سترا لعورته ، وعدم فضيحته، وهذا التكافل من منطلق الإيمان بالله تعالى وتلك المعاونة لا لشئ ، إلا ابتغاء مرضاة وأداء لواجب الأخوة فى الإسلام فقال تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾[3] يقول ابن كثير : «وتعاونوا على البر والتقوى ـ يأمر الله عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخير وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى ، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم ، قال ابن جرير الاثم ترك ما أمر الله بفعله ، والعدوان مجاوزه ما حد الله فى دينكم ومجاوزه ما فرض عليكم فى أنفسكم وفى غيركم»[4] ومع وجوب التعاون معه فقد حرم الله التجسس عليه وإساءة الظن به ، لأنه تتبع للعورات وظلم له فالظن تهمة من غير دليل فقال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا**﴾[5] يقول ابن كثير : « يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله لأن ذلك يكون اثما محضا فليجتنب كثيرا منه

---

(١) متفق عليه ، رواه مسلم كتاب البر والصلة ـ تحريم الظلم ص٤٤٢ جـ٥ .

(٢) السلوك الاجتماعى فى الإسلام ص٤٣٥ .

(٣) سورة المائدة : من الآية ٢ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٦ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

احتياطا ، وروينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : «ولا تظن بكلمه خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها فى الخير محملا»[1] فالظن إذن تهمة من غير دليل فهو ظلم محرم ، كما حرم الاعتداء عليه بالقول فى غيبته فحرم الغيبة ، وحرم التجسس ونهى عنه لأنه محاولة معرفة ماخفى من سر أخيه وفرق ابن كثير بين «التجسس» بالجيم، والتحسس بالحاء ، بأن التجسس يطلق غالبا فى الشر ، بينما التحسس فيكون غالبا فى الخير كما قال الله اخبارا عن يعقوب : «يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه» وقال الأوزاعى التجسس : البحث عن الشئ ، والتحسس : الاستماع إلى حديث القوم له كارهون»[2] وذلك كله نهى عنه الإسلام وكل بحث وكشف ضار بالفرد أو بالأمة فهو مذموم ومبغوض شرعا وعقلا وعرفا» أما ستر المسلم فهو واجب فقال رسول الله ﷺ « لا يستر عبد عبدا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[3] «قال القاضى يحتمل - ستر الله له - وجهين أحدهما أن يستر معاصيه وعيوبه عن اذاعتها فى أهل الموقف ، الثانى : ترك محاسبته عليها وترك ذكرها ، قال والأول اظهر»[4] وهذا الستر يتبع العفو عن المسئ وكظم الغيظ والاحسان إليه ، فالعفو يزيد صاحبه عزا ، قال ﷺ : «ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الأعزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[5] ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة وقدرة صالحة ومثل أعلى فقد

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢١٢.

(٢) المرجع نفسه ص٢١٣.

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة كتاب السيرة والصدقة من الآداب باب من ستر الله تعالى علن فى الدنيا مجلده ط الشعبص ٤٥.

(٤) شرح النووى على مسلم مجلد ٥ ص ٤٥.

(٥) رواه مسلم عن أبى هريرة - كتاب البر والصدقة - باب استحباب العفو والتواضع مجلد ٥ ص ٤٤٨ ط الشعب.

وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾[1].

٥ ـ وسد الإسلام جميع الأبواب المؤدية لانتشار الفتن والفرقة الاجتماعية :

أ ـ جعل للطريق حقا واجبا على من لا يجد بدا من الجلوس فيه ، وإن كان الأولى الانتهاء عن ذلك فقد حذر النبى ﷺ منه فروى الامام مسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : «أياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها ، قال : قال رسول الله ﷺ: فإذا أبيتم ألا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حقه ؟ قال : «غض البصر، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[2] يقول النووى : «وهو ـ أى الحديث ـ من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهره ، وينبغى أن يجتنب الجلوس فى الطريق لهذا الحديث، ويدخل فى كف الأذى : اجتناب الغيبة ، ظن السوء ، احقار بعض المارين ، تضيق الطريق ، وكذا إذا كان القاعدون يهابهم المارون»[3] والأصل فى الجلوس على الطريق أنه غير مرغوب فيه شرعا بسبب ما يترتب عليه من مضايقة المارين والمارات ، وتعرض للوقوع في الممنوع شرعا مثل النظر إلى النساء وشغل القلب بالناس وجر ذلك إلى الوقوع فى الغيبة وسوء الظن . . . وقد سمح النبى ﷺ لهم بالجلوس لأن دورهم كانت ضيقة فى الغالب وليس فيها أماكن تصلح لمثل هذه الجلسات

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٩.

(٢) رواه مسلم عن أبى سعيد كتاب اللباس والزينة باب النهى عن الجلوس فى الطرقات مجلد٤ ص٨٣٢ ط الشعب.

(٣) شرح النووى على مسلم مجلد٤ ص٨٣٣.

الدائمة أو شبه الدائمة . . . وآداب الطريق ذكرت فى عدة أحاديث فوصل عددها إلى ثلاثة عشر أدبا وهى غض البصر ـ كف الأذى عن المارين بقول أو فعل ـ ورد السلام على من يلقيه ـ الأمر بالمعروف ـ النهى عن المنكر ـ تشميت العاطس ـ مساعدة من يحمل متاعه على سيارة أو دابه ـ إغاثة الملهوف ـ إرشاد ابن السبيل ـ إعانة المظلوم ومساعدته على ظالمه ـ وذكر الله تعالى ـ حسن الكلام ـ افشاء السلام وقد نظمها شيخ الإسلام ابن حجر فى أربعة أبيات فقال :

جمعت آداب من رام الجلـوس على

الطريـق من قول خيـر الخلق إنسانا

افش السـلام ، وأحســن فى الكـلام

وشمت عاطسـا ، وسـلاما رد إحسـانا

فى الحمل عاون ومظـلوما أعـن واغث

لهفـان إهد سبيـــلا ، واهد حيـــرانا

بالعـرف ، وانه عـن نكـر وكـف أذى

وغـض طـرفا ، وأكثر ذكـر مـولانا

وهذه الآداب ذكرت فى العديد من أحاديث الرسول ﷺ»[1].

ب ـ حرم على النساء التبرج والتزين من أجل الفتنة وجذب الأنظار إليهن، لأنهن عندئذ يكن قد تعدين على حقوق الآخرين فى العفة وغض البصر ، وحفظا لكرامتهن من الامتهان ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

---

(١) السلوك الاجتماعى فى الإسلام ص ٤٢ .

قال رسول الله ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس ، ونساء كاسيات ، عاريات مميلات، مائلات رؤسهم كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[١] يقول النووى تعليقا على الحديث : «قيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه اظهارا بحالها ونحوه وقيل : معناه تليس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها ، وأما (مائلات) فقيل معناه عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، (مميلات) أى يعلمن غيرهن فعلهن المذموم ، وقيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن وقيل مائلات يمشطن المشطة المائلة ، وهى مشطه البغايا ، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة ، ومعنى رؤسهن كأسنمة البخت ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها . .»[٢] والزينه الممنوعة ما كان فيها تغيير لخلق الله أو كانت لمن يحرم عليها ، وذلك كله لسد باب الفتنة والفساد الاجتماعى ، وما فساد المجتمعات غير الإسلامية إلا نتيجة لإطلاق سعار الجنس والتفنن فى الإغراء به وتيسير السبل إليه .

وفى هذا المضمار أيضا حرم الخلوة بالأجانب من النساء ، لأنه يفتح باب الفتنة والخطيئة فقال عليه الصلاة والسلام : « لا يخلون أحدكم بإمرأة إلا مع ذى محرم»[٣] وأن الشيطان يدخل بينهما ليوقعهما فى الخطيئة، ولذا حرم الإسلام كل أبوابها من النظر واللمس وما قبل الجريمة ذاتها لأنه طريق محقق إليها ، وتميز بذلك المجتمع الإسلامى دون غيره فكل من فيه «لفروجهم حافظون» «يحفظن فروجهن».

---

(١) رواه مسلم - كتاب اللباس والزينه وباب النساء الكاسيات العاريات جـ٤ ص٠ ٨٤ عن أبى هريرة.

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى.

(٣) متفق عليه - ورواه مسلم بمعناه عن جابر - باب تحريم الخلوة بالأجنبية ص١٦ جـ٥ ط الشعب.

جـ - وحفظا للعورات أيضا وسدا لأبواب الفتنة كذلك أوجب الشرع على كل مسلم أن يستأذن فى الدخول إلى غير داره ، فقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلك خير لكم لعلكم تذكرون * فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم * ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون﴾[1] ويقول الرسول ﷺ : « الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع»[2] ويبين علة الاستئذان بقوله : «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»[3] وتعليقا على آيات الاستئذان السابقة يقول ابن كثير : «ثم ليعلم أنه ينبغى للمستأذن على أهل المنزل ألا يقف تلقاء الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لفعل الرسول ذلك ، ويقول السلام عليكم »[4]، وقال قائل للرسول ﷺ : استأذن على إخواتى ايتام فى حجرى معى فى بيت واحد ؟ قال : نعم ، فرد عليه ليرخص له فأبى ، فقال : اتحب أن تراها عريانة ؟ قال (السائل) لا ، قال : فاستأذن ، فراجعه أيضا فقال : اتحب أن تطيع الله ؟ قال نعم قال فاستأذن »[5] ويقول عن معنى ﴿حتى تستأنسوا﴾ : هو الاستئذان ثلاثا فمن لم يؤذن منهم فليرجع ، أما الأولى فليسمع الحى ، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم ، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا إن شاءوا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم فإن للناس حاجات ولهم اشغال والله أولى بالعذر ، وقال مقاتل : كان أحدهم ينطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يقتحم ويقول قد

(١) سورة النور : الآيات ٢٦ - ٢٩.

(٢) رواه مسلم - باب الاستئذان به حديث أبى سعيد الخدرى - جـ٤ ص٨٦.

(٣) انظر النووى على صحيح مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٢٨.

دخلت ونحو ذلك فيشق ذلك ، ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك فى ستر وعفة وجعله نقيا نزها من الدنس والقذر والدرن»[١] وذلك مما يحفظ للبيوت حرمتها وللمسلم عفته وكرامته ، وهذا أيضا مما تميز به الإسلام فكم من الحرمات يعتدى عليها تحت نبد الحرية!؟

د ـ وكما حرم الإسلام سوء الظن بالمسلمين كما سبقت الاشارة ، إلا أنه أيضا نهى عن كل ما يوقع الآخرين فى سوء الظن وظلم الناس من غير دليل ، فنهى عن أن يتناجى اثنان دون الثالث فذلك بالاضافة إلى إحزانه وإيلامه نفسيا فإنه يفتح بابا للشيطان ليلقى فى قلبه أنهما ربما يتآمران عليه فيسئ الظن بهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد»[٢] ويقول : « إذا كنتم ثلاثة فلا تتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه»[٣] أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان دون اثنين فلا باس. كذلك أمر أن يعرف من خلا بأمره محرم له أو زوجته أن يقول هذه فلانه لمن رآه حتى لا يوقعه فى سوء الظن به فقد روى مسلم عن صفيه بنت حيى قالت : «كان النبى ﷺ معتكفا فاتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معى ليقلبنى وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى قال : ﷺ على رسلكما إنها صفية بنت جيى ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله !! قال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا أو قال شيئا»[٤] وفى الحديث استحباب التحرز من

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٢٨.

(٢) رواه مسلم ـ كتاب السلام مجلده تحريم مناجاة الاثنين ص٢٨ ط الشعب.

(٣) رواه مسلم ـ كتاب السلام مجلد ٥ تحريم مناجاة الاثنين ص٢٩ ط الشعب.

(٤) رواه مسلم باب مسحب من نودى خاليا بإمرأة ـ كتاب السلام مجلد ٥ ص١٨ ط الشعب.

التعرض لسوء الظن من الناس فى الإنسان ، وطلب السلامه والاعتذار والأعذار الصحيحة وأنه متى مثل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى عليه أن يبين حاله ليدفع ظن السوء»[1] ونقل الامام الغزالى عن عمر رضى الله عنه: أنه قال : من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء الظن به ، ومر يوما برجل يكلم مرأة على ظهر الطريق ، فعلاه بالدره فقال يا أمير المؤمنين أنها امرأتى ، فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس» ويقول : إذا رآه الناس ـ وعصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا»[2] لأنه لم يحترز من موضع التهم.

كما حرم النميمة وهى نقل الكلام على جهة الاضرار فيها فتنة وفرقة بين أفراد المجتمع فهى «تلك الكلمة التى من شأنها أن تثير فتنة وتشعل بين طرفين نارا وتورث عداوة ، وتملأ القلوب غضبا وحقدا وسخطا ، وتحريم مثل هذا النوع من الافساد أمر يتفق مع أهداف الإسلام الاجتماعية الداعية إلى الحب والتعاون الأخوى بين الناس عامة ، وبين المسلمين خاصة ...»[3] وكذا الكذب فهو عدم مطابقة الخبر للواقع وتغيير للحقيقة وقلب لها وتقطيع لأواصر المجتمع «وكم من قتيل أردته كلمة مزورة ، وكم من يتيم اضاعته نفس ماكرة، وكم من دور اشعلت النار فيها وفى أهلها حملة خبيثة ملفقة ، وما من حق ضائع ولا فقير جائع ولا ظلم باطش ، ولا اعتداء ماحق الا وله ثوب من الكذب يلفلف به حتى يخيل للناس من شدة احكام الكذب أن الضياع رحمة ، وأن الجوع تخمة ، وأن ظلم الباطش عدالة وأن الاعتداء الماحق بر وعطف وكرامة ، وهكذا شأن الكذب يقلب الموازين ، ويمسخ الحقائق ويشوه وجه

---

(١) النووى على مسلم جـ٥ ط الشعب ص١٩.

(٢) إحياء علوم الدين ط الشعب جـ٦ ص٢٠٠١.

(٣) السلوك الاجتماعى فى الإسلام ص١٥.

الجمال فى شئ يدأخله»[1] والكذب عادة يصحب النميمة ولذا ربط رسول الله ﷺ فى قوله : «ألا أنبئكم ما الغصة ؟ هى النميمة القاله بين الناس ، وأن رسول الله محمداً ﷺ قال : «إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقا ، ويكذب حتى يكتب كذابا»[2] ويعلق الاستاذ عبد الله أحمد أبو زينه محقق صحيح مسلم بشرح النووى ط الشعب ـ قائلا : « بعض النسخ (حتى يكتب عند الله) فى الموضعين» يعنى : حتي يكتب صديقا ، وحتى يكتب كذابا ، ويبين الرسول ﷺ سوء عاقبة النمام فى حديث البخارى عن ابن عباس عن النبى ﷺ « أنه مر بقبرين يعذبان فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، ثم أخذ جريده رطبة فشقها نصفين ثم غرز فى كل قبر واحده فقالوا : يا رسول الله لم صنعت هذا فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييسا»[3] وبالاضافة إلى ما نهى عنه الإسلام من أمور تجلب الفتن والفرقة وتشعل نار الفساد فقد شرع الإسلام من العبادات ما يوحد المسلمين قلبا وقالبا روحا وجسدا ، فعلى سبيل المثال صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد لما فيها من لقاء روحى بين المسلمين خلف قائد واحد هو الإمام الذى يجب اتباع أفعاله وحركاته ، يقفون فى صف واحد متساوى المناكب والأعقاب لا انحناء فيه ولا إعوجاج، ويقول الرسول ﷺ عنها : « الذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم ، والذى

---

(١) السلوك الاجتماعى ص١٥٤.

(٢) رواه مسلم ـ عن ابن مسعود كتاب البر والصدقة والآداب جـ٥ ص٤٦٤ باب بحر النميمة ط الشعب.

(٣) رواه البخارى كتاب الجنائز باب الجريدة على القبر جـ٢ ص١٩ ط الشعب.

نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء»[1]، و «ذهب الجمهور إلى أنها سنة أو سنة أو فرض كفاية ، وذهب الظاهرية إلى أن صلاة الجماعة فرض متعين على كل مكلف . .»[2] والجمعة «لا تصح إلا بالجماعة حيث اتفق الكل على أن من شرطها الجماعة واختلفوا فى مقدار الجماعة فمنهم من قال واحد مع الامام ، وهو الطبرى ، ومنهم من قال : اثنان سوى الامام ، ومنهم من قال ثلاثة دون الامام وهو قول أبى حنيفة، ومنهم من اشترط اربعين وهو قول الشافعى وأحمد»[3] يلتقى المسلمون يستمعون فكراً واحداً فيلتقون فكرياً كما يلتقون جسدياً فى خطبة الجمعة التى تقوم مقام ركعتين ، وإذا كانت الجمعة التقاء أوسع على مستوى الأمصار والبلاد ، فإن هناك اللقاء العالمى الذى تتلاقى فيه القلوب والأجساد والألسنة ملبية مهللة فى الوقوف بعرفة فى الحج وللتأكيد على هذا اللقاء فقد جعل رسول الله ﷺ الحج عرفة وأجمع الفقهاء على أنه ركن من أركان الحج، ومن فاته فعليه الحج في عام قابل - فالمجتمع الإسلامى يقيم إخوة واسعة الدائرة هى أخوة الإيمان والمؤمنون أخوة فى كل مكان.

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة كتاب الصلاة باب فضل صلاة الجمعة جـ١ ص١٦٥ ط الشعب.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصر جـ١ ص١٧٨ ط دار الكتب الجديدة سنة ١٩٧٥ .

(٣) المرجع السابق ص١٩٨ .

٢ ـ محور البناء الاقتصادى

تميز المجتمع المسلم فى بنائه الاقتصادى بميزات وخصائص، فكان للإسلام منهج فريد للمحافظة على الميزان الاقتصادى ، حيث حدد مصادر الكسب الحلال ، وهو كل طريق فيه نفع للناس ، «فقد أمر بتحصيل الأموال من طرق فيها الخير للناس، فيها النشاط والعمل ، فيها عمارة الكون والتقلب فى الأرض، فيها الاختلاط والتعارف والتعاون؛ أمر بتحصيلها عن طريق التجارة وبالرحلة اليمنية والشامية اللتين يسرهما الله لقريش فى تجارتها، يمن بها عليهم، ويذكرهم بنعمته عليهم فيها فيقول : ﴿لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[1]، وكما دعا إلى تحصيلها عن طريق الزراعة التى بها حياة الأرض واستثمارها ، وقد لفت انظار عبادة إلى نعمه الله تعالى وإعداد الأرض للزراعة فيقول : ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا * متاعا لكم ولأنعامكم﴾[2] .. ويقول كذلك ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾[3] كما أمر بتحصيلها عن طريق الصناعة وهى أقوى العمد التى تقوم عليها الحضارات وفى القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى جملة من الصناعات التى لابد منها فى الحياة ، فيه الإشارة إلى صناعات الحديد ﴿وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس﴾[4] والإشارة إلى صناعة الملابس ﴿قد

---

(١) سورة قريش كاملة.

(٢) سورة عبس : من الآية ٢٤ ـ ٣٢.

(٣) سورة الواقعة : من الآية ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) سورة الحديد : الآية ٢٥.

أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا﴾[1] امر القرآن بتحصيل الأموال عن هذه الطرق الثلاثة»[2].

وعلى الاجمال فسبيل تحصيل المال يجب أن يكون من طريق حلال فيه النفع للناس وعدم الاضرار بهم ، ومن هنا كان الخداع فى البيع حراما فقد روى مسلم عن ابن عمران قال : «ذكر رجل لرسول ﷺ أنه يخدع فى البيوع فقال رسول الله ﷺ من بايعت فقل : لاخلابه، فكان إذا بايع يقول لا خيانة»[3] يقول النووى : «هو بياء - لا خيانة - مثناه تحت بدل اللام هكذا هو فى جميع النسخ قال القاضى ورواه بعضهم (لا خيانة) بالنون وهو تصحيف، قال ووقع فى بعض الروايات فى غير مسلم (خذابة) بالذال المعجمة والصواب الأول ، وكان الرجل الثغ فكان يقولها هكذا ، ولا يمكن ان يقول (لا خلابة) ومعنى لا خلابة : لا خديعة ، أى لا يحل لك خديعتى أو لا يلزمنى خديعتك»[4].

والمسلم لا ينتهز فرصة اعسار أخيه فيستولى على ماله ، بل دعاه الإسلام إلى انظاره إلى ميسرة والتجاوز عند الاقتضاء فعن ربيعى بن حراش قال : «اجتمع حذيفة وأبو مسعود فقال حذيفة رجل لقى ربه فقال ما عملت ؟ قال ما عملت من الخير إلا أنى كنت رجلا ذا مال أطالب به الناس أقبل الميسور واتجاوز عن المعسور فقال تجاوزوا عن عبدى ، قال أبو مسعود هكذا سمعت

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٦.

(٢) من كتاب منهج القرآن فى بناء المجتمع - الشيخ شلتوت - سلسلة كتاب الهلال العدد ٣٧ أكتوبر ١٩٨١.

(٣) رواه مسلم عن عبد الله بن دينار - كتاب البيوع باب من يخدع في البيع جـ٤ ص٢٤ ط الشعب.

(٤) النووى على مسلم جـ٤ ص٢٤.

رسول الله ﷺ يقول(١) «والإسلام يقر الملكية ويحترمها ، ولكنه لم يقرها مطلقة فى آثارها ، بل أقرها مقيدة بقيود عديدة ، أريد تخليصها من شرورها فهو يختلف عن الرأسمالية فى عدة أمور :

١ ـ يحارب تكديس الثروة وجمعها فى يد فئة قليلة ، بل يجنح إلى جعلها رأسماليات متوسطة أو صغيرة.

٢ ـ ما أتى به من تشريع يحفظ أموال الأمة والأفراد.

٣ ـ ما دعا إليه الإسلام من البر بالطبقات الفقيرة وجعل ذلك من صلب العبادات»(٢)، ولما كان رأس المال له طغيان فقد كان للإسلام أسلوب أخاذ فى التخيف من ذلك يتمثل فى :

أ ـ الزكاة : وهى من أركان الإسلام التى أوجب فيها على الأغنياء أن يتزلوا عن حصة من ثرواتهم لصالح الطبقة الفقيرة ، ويخرجها عن كل ما يملكه من أموال عينية أو نقدية كالزراعة والتجارة الماشية بشرط أن يحول عليها حول وتبلغ النصاب ، وهى مطهرة للمؤمنين قال تعالى : ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾(٣) ، « تشمل أفراد المؤمنين وجماعتهم فهى تطهر نفوس الأفراد من الذنوب ومن أرجاس البخل والدناءة ، والقسوة وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التى هي مثار الفتن والحروب والتحاسد ، وقد ثبت أن الفقراء في الطبقة السفلى من المجتمعات هم شر أدواء المجتمع ، فالفقر يحمل الواقعين تحت سلطانه على اتيان جميع ضروب الشرور للحصول على أخص

---

(١) رواه مسلم عن ربعى بن حراش ـ كتاب البيوع ـ باب فضل انظار المعسر ـ جـ٤ ص٠٧ ط الشعب.

(٢) روح الدين الإسلام ـ عفيف طبارة ص٣١٩.

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٣.

حاجات الحياة وهو القوت ، فالبطون إذا جاعت دفعت أصحابها لاستساغة جميع صنوف الجرائم»[1] وقد حدد الله مصارفها فقال تعالى : ﴿إنما الصدقات للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب، والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾[2] «وقد ذهب مالك وأبو حنيفة إلى أنه يجوز للإمام أن يصرفها فى صنف واحد أو أكثر من صنف واحد إذا رأى ذلك بحسب الحاجة ، وقال الشافعى : لا يجوز ذلك بل تقسم على الأصناف الثمانية كما سمى الله تعالى . . .»[3] فصاحب الثروة يؤدى حق الله بإخراج الزكاة عبادة له ـ بعد مراعاة شروطها المفصلة فى كتب الفقه ـ فيسهم فى بناء مجتمعه اقتصاديا وأمنيا.

ب ـ **الميراث:** «فقانون التوريث الإسلامى ساعد على توزيع الثروة على أكبر عدد ممكن من الذرية ووسع دائرة الانتفاع بها فكل أبناء المتوفى من ذكور وإناث لهم الحق فى الميراث»[4] وهذا النظام من شأنه تفتيت الملكيات تفتيتا شديدا أنه يجزئ التركة أرباعة وأثمانا، أثلاثا، وأسداسا، الأمر الذى لا نجده فى أى نظام توريث آخر»[5] ويقول «جو ستاف لوبون» الفرنسى فى كتابه حضارة العرب «ومبادئ المواريث التى نص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والانصاف والشريعة الإسلامية منحت الزوجات اللواتى يزعم أن المسلمين لا يعاشرونهن بالمعروف ـ حقوقا فى المواريث لا نجد مثلها فى قوانينها»[6] وما يجب الاشارة إليه أن نظام التوريث إعادة توزيع للثروة التى

(١) روح الدين الإسلامى ص٣٤٣.

(٢) سورة التوبة : الآية ٦٠.

(٣) بداية المجتهد ـ ابن رشد ـ جـ١ ص٣٣٨.

(٤) روح الدين الإسلامى ص٣٤٣.

(٥) كيف بنى الإسلام مجتمعا سليما ؟ ـ د/ عبد العزيز أحمد ص١٧.

(٦) روح الدين الإسلامى ص٣٢١.

كان يملكها فرد واحد على عدد من الأفراد يرتفع ـ بالميراث ـ مستوى كل منهم ـ وبالتالى يرتفع مستوى المجتمع اقتصاديا.

جـ ـ **الوصية**: ويجوز لصاحب المال أن يوصى لغير وارث بثلث أو بأقل من ذلك، وجعل ذلك من الصدقات، فقد روى مسلم عن مصعب بن سعد عن أبيه، قال: «عادنى النبى ﷺ فقلت أوصى بمالى كله، قال: لا قلت: فالنصف، قال: لا، قلت: أبالثلث؟ فقال نعم والثلث كثير»[1] وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال: «جاء النبى ﷺ يعودنى وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التى هاجر منها، قال يرحم الله ابن عفراء قلت يا رسول الله أوصى بمالى كله؟ قال لا، قلت فالشطر، قال لا، قلت الثلث، قال فالثلث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من تدعهم عالة يتكففون الناس فى أيديهم وأنك مهما أنفقت من نفقة فأنها صدقة حتى اللقمة التى ترفعها إلى فى امرأتك وعسى الله أن يرفعك فينفع بك ناس ويضربك آخرون، ولم يكن له يومئذ إلا ابنة ...»[2] ويجوز أن يوصى للنهوض بالمشروعات الخيرة التى تعود على المجتمع بالنفع والخير وجعلها تنفذ فى المال قبل توزيع التركة على الورثة، وعندما يتحدث القرآن عن أنصبة الوارثين يقول: «من بعد وصية يوصى بها أو دين»، «من بعد وصية يوصى أو دين غير مضار»، «وقد أجمع العلماء على أن الدين مقدم على الوصية»[3]، ولا وصية لوارث لأنه سيحصل على نصيبه من الميراث، والأولى أن يستغنى بالوصية غيره ـ ليضاف رأسمال جديد إلى المجتمع.

---

(1) رواه مسلم ـ عن مصعب بن سعد ـ كتاب الوصية ـ ص١٦٣ ط الشعب.

(2) رواه البخارى ـ كتاب الوصايا ـ باب أن ترك ورثته أغنياء.

(3) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٥٩.

د - دعا إلى الانفاق وحرم كنز الأموال : لأن ذلك منع لها من التبادل الاقتصادى الذى لابد منه لحاجة المجتمع لأجل استخدامها فى الانتاج الاقتصادى ، واستغلالها فى استثمار الموارد الاقتصادية المختلفة لزيادة الدخل الوطنى وتنمية الثروة القومية ، لكل هذا حرم الإسلام كنز الأموال فقال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقون فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[1] ، والتحريم المقصود فى الآية هو تخزين الأموال وعدم إخراج زكاتها ، فالكانز إذا علم أنه يجب عليه إخراج ربع العشر عن كل سنة فإنه فى هذه الحالة سيعمد إلى استثمارها كى لا تفنيها الزكاة على طول الزمن »[2] وقد روى مسلم أن اباذر مر بالنبى وهو يقول : بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم ، وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم قال ثم تنحى فقعد . . »[3] ويجمل البعض[4] وسائل الإسلام للقضاء أو التخفيف من الطغيان رأس المال فى عدة أمور هى :

١ - الزكاة .

٢ - مساعدة الدولة .

٣ - مساعدة الفقير المحتاج .

---

(١) سورة التوبة : الآيات ٣٤، ٣٥.

(٢) روح الدين الإسلامى ص٣٢٤.

(٣) من حديث رواه مسلم عن أبى الاشهد - باب الكنازون للأموال جـ٣ ص٣١.

(٤) د/ عبد العزيز أحمد - مذكرة فى علم الاجتماع بنى الإسلام مجتمعا سليما ص١٦ وما بعدها.

٤ ـ التوسعة على الفقير.

٥ ـ البذل والعطاء.

٦ ـ نظام التوريث الإسلامي.

٧ ـ المال مال الله (بمعنى أنه لا يبخل به).

٨ ـ إعادة توزيع الثروة.

وكل هذا من منطلق أن المال مال الله ولا يبخل به على عباد الله ، وكما جعل الإسلام من وسائل لتخفيف طغيان رأس المال ـ فقد وضع الأسلوب الأمثل في حفظ الأموال من الضياع متمثلا فيما يأتي:

أ ـ الحجر على السفهاء وهم المسرفون المبذرون أموالهم في غير الوجوه الصحيحة ، إما لفساد أخلاقهم عقولهم لسوء تدبيرهم قال تعالى : ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل لكم قياما ، وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾[1] ،يقول ابن كثير «ومن هنا يؤخذ الحجر على السفهاء ، وهم أقسام فتارة يكون الحجر للصغر فإن الصغير مسلوب العبارة ، وتارة يكون الحجر للجنون ، وتارة لسوء التصرف لنقص العقل أو الدين ، وتارة للفلس وهو إذا ما أحاطت الديون برجل وضاق ماله عن وفائها فإذا سأل الغرماء الحاكم الحجر عليه حجر عليه»[2] وذلك أيضا لحفظ المال العام.

ب ـ اختبار اليتامى قبل تسليمهم الأموال : أي اختبار مدى رشدهم وتمام عقولهم حتى إذا تسلموا أموالهم من أوليائهم لا يبددونها أو يبعثرونها في غير منفعة يقول تعالى : ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم

---

(١) سورة النساء : الآية ٥.

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٥٢.

رشدا فادفعوا إليهم أمولهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا﴾[1] ومعنى الابتلاء الاختبار - أى اختبارهم قبل تسليم المال إليهم.

جـ - كتابة العقود : لما فيها من حفظ المال من الإنكار «وقد أظهر العصر الحديث فائدة كتابة العقود المالية ، وذلك حتى يعلم طرفا التعاقد أو ورثتهما حقوقه وواجباته لأن مرور الزمن مدعاه للنسيان ، وموت الشهداء مدعاة للإنكار وما إلى ذلك من أكل أموال الناس بالباطل ، وإذا كان القرآن قد تحدث عن كتابة الدين ، فيقاس عليها كل العقود المالية ، قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق ، وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان من ترضون من الشهداء أن تضل أحدهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى إلا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضره تديرونها بينكم فليس عليكم جناح إلا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق لكم واتقوا الله ويعلمكم الله بكل شئ عليم﴾[2] ولا يخفى ما فى ذلك كله من حفظ للحقوق وصيانة للأموال.

و - تحريم الربا : وقد حرم الإسلام الربا « لأنه يقتل كل مشاعر الشفقة فى الإنسان ، فالمرابى لا يتردد فى تجريد المدين من أمواله إذا كان فى ذلك

(١) سورة النساء : الآية ٦. (٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٢.

اضافة ليره إلى الوفه ، فالمال فى نظر الإسلام وديعة فى يد صاحبه وهو موظف لخير الجماعة ، فليس له أن يتحين ساعة احتياجهم فيأخذ منهم أكثر مما أعطاهم»[1] والربا الذى حرمه القرآن هو ربا النسيئة أى التأخير فى الدفع مقابل زيادة فى الدين»[2] ويقول رسول الله ﷺ : « لا تبيعوا الدينار بالدينارين ، ولا الدرهم بالدرهمين»[3] وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذورا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله * وأن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وأن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾[4] يقول ابن كثير «وذورا ما بقى من الربا» أى اتركوا مالكم على الناس من الزيادة على رؤوس الأموال بعد هذا الانذار »[5] «وهو كسب لا يقابله جهد وفيه استغلال لحاجة الناس وهو مصدر كبير من مصادر تضخم الثروات»[6] «ويسبب العداوة بين الأفراد ويمنع التعاون بينهم ، والمرابى بدلا من أن يعمل عملا مجديا ـ يعود على المجتمع بالخير ـ يصبح كالطفيلى يعيش من كد غيره . .»[7] كما أنه وسيلة للاستعمار وشقائه فقد ثبت أن الغزو الاقتصادى القائم على المعاملات الربويه كان التمهيد الفعال للاحتلال العسكرى : «فقد اقترضت الحكومات الشرقية بالربا وفتحت أبواب البلاد للمرابين الأجانب حتى إذا أفاقت الحكومات

(١ ، ٢) روح الدين الإسلامى ص٣٣١.

(٣) رواه مسلم عن عثمان بن عفان ـ باب الصرف ودفع الذهب بالورق ـ كتاب البيوع جـ٤ ص٩٦.

(٤) سورة البقرة : من الآية ٢٧٨ ـ ٢٨١.

(٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٣.

(٦) كيف بنى الإسلام مجتمعا سليما ص١٦.

(٧) روح الدين الإسلام ص٣٣١.

وأرادت الذود عن نفسها وأموالها استعدى هؤلاء الأجانب عليها دولهم قد فدخلت باسم حماية رعاياها ثم تغلغلت هى كذلك فوضعت يدها مستثمرة مرافق البلاد»[1] ... ولذا حرم الإسلام الربا بينما شجع على القرض الحسن، ومساعدة المسلم فى كربته وإعانته بالمال ، وحط بعض الدين عنه وجعل ذلك صدقة وقربة إلى الله تعالى.

وفى اطار حفظ المال، حرم أكل أموال الناس بالباطل بأية صورة من الصور ﴿**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون**﴾[2]،كما نهى عن الاسراف فى الانفاق والتقتير فيه والحق المبذرين بالشياطين فقال تعالى: ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذروا تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**﴾[3] ولأن تبذير الأموال يؤدى فى النهاية إلى الإفلاس ويكون ولات ساعة مندم ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**﴾[4] وقال فى صفات المؤمنين ﴿**والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**﴾[5] فالصورة فى مجموعها تهدف إلى حفظ المجتمع الإسلامى اقتصاديا وبالتالى سياسيا. والمحافظة على الأموال منها أيضا: تحريم كل طرق الحرام فى جلب المال ، فما كان من طريق حرام لا يرضاه الشرع فهو حرام خبيث «فالقرآن كما طلب السعى فى تحصيل الأموال، وطلب الاعتدال فى صرفها نهى عن تحصيلها بالطرق التى لا خير للناس فيها، وفيها الشر والفساد فنهى عن تحصيلها بطريق الربا الذى يؤخذ استغلالا لحاجة

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) سورة البقرة : الآية ١٨٨ .

(٣،٤) سورة الاسراء : الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ .

(٥) سورة الفرقان : الآية ٦٧ .

الضعيف ، وبطريق السرقة والانتهاب والتسول التى تزعزع الأمن الاستقرار ، وبطريق التجارة فيما يفسد العقل كالخمر والخنزير وبطريق الميسر والرقص ، وبيع الأعراض ، ومن كل ما يفسد الأخلاق ويبعث بالإنسانية ، وبطريق الرشوة التى تذهب بالحقوق والكفايات . .»[1] كذلك حرم النقص من الكيل والميزان والتطفيف فيهما والتلاعب بهما لأنه هضم للحق فقال تعالى : ﴿**ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون إلا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾[2] يقول ابن كثير : «المراد بالتطفيف هنا البخس فى الكيل والميزان أما بالازدياد أن اقتضى من الناس وأما النقصان أن قضاهم»[3] يقول الغزالى : «تحريم ذلك فى المكيل ليس لكونه مكيلا بل لكونه امرا مقصودا ترك العدل والنصفه فيه فهو جار فى جميع الأعمال ، فصاحب الميزان فى خطر الويل . . .»[4].

فالأمانة فى كل شئ وخاصة فى البيع والشراء ، والأموال عموما من الميزات المشرقة فى البناء الاجتماعى الإسلامى لارتباط ذلك بنور الإيمان والتوحيد الخالص.

---

(١) منهج القرآن فى بناء المجتمع ـ شلتوت ـ ص٧٩.

(٢) سورة المطففين : من الآية ١ ـ ٥.

(٣) ابن كثير جـ٤ ص٤٨٣.

(٤) الاحياء جـ٤ ط الشعب ص٧٨٥.

٣ - محور البناء السياسى

يلخص

فى مجال السياسة والحروب أرسى الإسلام قواعد ميزته عن غيره من المجتمعات المعاصرة ، حيث تميز تعاليم الإسلام فى هذا المجال المجتمع المسلم عما سواه «وليس هناك مجال الشك فى أن النظام الذى أقامه الرسول ﷺ وتابعه فى تطبيقه والالتزام بمبادئه المسلمون من بعده هو نظام دينى وسياسى معا، هو نظام العقيدة والشريعة ، أو هو نظام الدين والدولة معا، ذلك أن حقيقة الإسلام شاملة تجمع بين الناحيتين الروحية والمادية وتتناول أعمال الإنسان التعبدية منها والدنيوية وتؤلف أحكام الإسلام من الأمرين معا وحدة منسقة وكلا لا يتجزأ وكما يقول أحد العلماء : وهذه الحقيقة عن طبيعة الإسلام قد أصبحت من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى كثير من العناء لاقامة البرهان ، وهى مؤيدة من حقائق التاريخ ، وكانت عقيدة المسلمين فى كل العصور السالفة »[١].

وقد ساق المستشار عمر الشريف[٢] عدة أدلة على الإسلام دين ودولة هى :

١ - من الحقائق التاريخية المسلمة أنه على أثر قيام الدعوة الإسلامية تكون مجتمع جديد له ذاتية مستقلة يعترف بقانون ويخضع له ، وتوفرت له كل مقومات الدولة بمفهومها القانونى ، وهى الأقليم والشعب والحاكم.

٢ - أن الجماعة الإسلامية بدأت بممارسة كل الوظائف السياسية منذ عهد الرسول ﷺ من أعداد الأداة لتنفيذ العدالة وتنظيم الدفاع والقيام بالتعليم ،

(١) مذكرات فى نظام الحكم والادارة في الدولة الإسلامية - المستشار عمر الشريف - ط معهد الدراسات الإسلامية ص١٧.
(٢) المرجع السابق ص١٨ ومابعدها.

وحماية المال وعقد المعاهدات ، وغير ذلك من المهام التي اضطلعت بها ، وهى مهام أى دولة من الدول.

٣ ـ يؤكد أغلب المستشرقين ممن درسوا النظام الإسلامى على هذا المعنى وهو أن الإسلام دين ودولة ، من أمثلة ذلك يقول «دكتور فتزجرالد» : «ليس دينا فحسب ، ولكنه نظام سياسى أيضا ، وعلى الرغم من أنه قد ظهر فى العهد الأخير بعض أفراد من المسلمين يصفون انفسهم بأنهم «عصريون» يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين» .

ويقول الاستاذ نالينوا : « لقد أسس محمد ﷺ ـ فى وقت واحد دينا ودولة ، وكانت حدودها متطابقة طوال حياته» ويقول الاستاذ «ستروثمان» : «الإسلام ظاهرة دينية سياسية، إذ أن مؤسسه كان نبيا ، وكان سياسيا حكيما أى (رجل دولة) » .

وتنقل لنا كتب التاريخ (العصر الإسلامي) أسلوب الخلافة وتولية الخليفة ومبايعته بأسلوب الشورى والرأى بما يتفق مع مصلحة الجماعة ككل ، ويرسم الصديق أبو بكر رضى الله عنه أسلوب حكمه ومكانته فى الدولة فى أول خطبة له في خلافته : «أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينتونى ، وإن أسأت فقومونى الصدق أمانة ، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء ، اطيعونى ما أطعت الله والرسول ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله»، ولم يجعل أبو بكر لنفسه ميزة اكتسبها من المنصب الجديد ولم يأخذ من جلال الخلافة ما يجعله شخصا بعيدا عن النقد والمؤاخذة ، بل جعل نفسه

مسؤلا عن تطبيق العدل بين المسلمين ، وجعل من المسلمين مشرفين على الخليفة ووضع أعماله تحت رقابتهم حتى يمدوه بالارشاد . .» [1]. هذا هو خط الخليفة أبي بكر الصديق أول خليفة لرسول الله ﷺ .

وفى خطاب الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى أحد ولاته «الاشتر النخعى» وصايا غالية فى السياسة منها :[2]«. . . لا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة الأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل» «ثم أن للوالى خاصة وبطانه فيهم استئثار وتطاول وقلة أنصاف فى معاملة فاهم مادة هؤلاء بقطع أسباب تلك الأحوال ، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك قطيعة ، ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقده تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك يحملون مئونته على غيرهم فيكون منها ذلك لهم دونك وعين فى الدنيا والآخرة وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد».

وحاكم الدولة فى الإسلام ليس فوق النقد والنصح كما وضح من خطاب أبى بكر الأول فى الخلافة «فرئاسة الدولة فى النظام الإسلامى لا تمنح صاحبها حقا غير عادى فوق حقوق الجماهير - إنى وليت عليكم ولست بخيركم، كما يجب التضامن معه فى المسؤلية (فإن أحسنت فأعينونى)، وحق النقد والتوجيه للشعب (وإن أسأت فقومونى) ، تمركز المسؤلية عند إقامة الحق

---

(1) تاريخ العالم الإسلامى - ط/ محمود زيادة - دار الطباعة المحمدية - العدد ١٩٧ ص٣٤٥.

(2) دراسات فى السياسيات الإسلامية والنظرية السياسية فى الإسلام - دار أحمد سويلم العمرى ط دار نافع.

وإشاعة العدل (الضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح الحق عليه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله) ، تحمل أمانة الدعوة والدفاع عنها (لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل) بيان حدود طاعة رئيس الدولة ومخالفته وأطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم»[1] فطاعة رئيس الدولة مقيدة بعدم معصية الله ورسوله ، وإلا انتشر الفساد وعمت الفوضى وشعرت الرعية بالضياع. . . .

وقد تميز النظام فى الإسلام مما يأتى :

أ ـ المساواة : «فكل الناس سواء أمام القانون لا فرق بينهم في إجراء شرع الله أو تطبيق حدوده ، وهذا المبدأ لم يسبق الإسلام إلى تطبيقه ، فبينما تقسم بعض الأنظمة كالديانة البراهمية الأمة إلى طوائف أربع وتجعل أعلى هذه الطبقات البراهمه أو الكهنة» وأدناها السفلة أو الأنجاس ، وبينما يدعى اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وفرقوا فى تشريعاتهم بين اليهود وغيرهم ، وبينما يفرق فى بعض الدول التي تدعى بأن العالم مدين لها بالمساواه ـ يفرق بين سكانها بسبب الجنسية واللون ، نجد أن الإسلام يساوى بين أفراد فى الحقوق السياسية وغيرها، فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ـ لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود ، ولا لغنى على فقير ولا لوجيه على صعلوك وبذلك قضى الإسلام نظام على الطوائف وأساليب التفرقة ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[2] ويقول الرسول ﷺ فى حجة الوداع : « يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا لا فضل لعربى على عجمي ، ولا لعجمى على عربى

---

(١) تقويم الفرد وتنظيم المجتمع فى الإسلام ـ محمد موسى عثمان ص١٤٦.

(٢) سورة الحجرات : من الآية ١٣.

ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى » والرسول ﷺ «كان لا يفرق فى الحقوق والمعاملات بين أبيض وأسود ولا بين حر ومولى فقد ولى «بلالا» على المدينة المنورة وفيها كبار الصحابة»[1] . . . فالفرد ينال حقوقه فى ظل المجتمع الإسلامى كاملة .

ب ـ **الشورى** : وقد أمر الله بها رسوله ﷺ ـ مع أنه يوحى إليه ـ لتقرير هذا المبدأ ـ فقال تعالى **﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾** فالشورى الفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب ، وكان الصحابة يتشاورون فى الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة ، وتشاوروا فى قتال مانعى الزكاة . . . وطبيعة الشورى فى الإسلام تبدو معها ظاهرتا الملاءمة والمشروعية ، فالملاءمة هى سؤال أهل الخبرة فيما هم خبراء فيه ، والمشروعية هى عرض رأى أهل الخبرة على مقاييس الشريعة . . . والإسلام لا يعرف سلطة انفرادية تنطلق بلا ضوابط حيث الانفراد بالأمر استبداد والإسلام لا يعرف الاستبداد ، بل العلية فيه للصواب»[2] والشورى قاعدة من قواعد الشريعة وكان الرسول ﷺ يستشير أصحابه ويأخذ بآرائهم إن رآها صوابا حتى ولو كانت مخالفة لرأيه «وأوجب الله الشورى على المسلمين ولم يبين كيفيتها لأن تفصيل النظم الشورية والطرق التى تكون بها لما يختلف باختلاف أحوال الأمة الاجتماعية ، فمن العدل أن تقرر الشورى وأن يترك لكل أمة تضع نظمها التفصيلية بما يلائم حالها ويتوافق مع مصلحتها»[3] وهذا ويجب التأكد على أن المشاورة تكون فى الأمور التى لم ينزل فيها وحى أوامر من الله ، أما كان الأمر مقطوع بالوحى فلا مجال للرأى

---

(١) روح الدين الإسلامى ص٢٩٨ .

(٢) تقويم الفرد والمجتمع ص١٤٨ .

البشرى فيه ـ فلا تجوز المشاورة فى أهل أطبق شريعة الله أولا ؟ لأن أمر الاتباع قد صدر قاطعا من الله تعالى ولا مجال للاختيار بين القبول أو الرفض. . .

جـ ـ **العدالة** : وهى تابعة للمساواة ـ فالمساواة تقتضى العدالة فى الحكم بين جميع الأفراد «والمقصود هو العدالة المثالية التى لا تتأثر بالميل أو بالهوى ، ويجب أن يتمتع بها كل أفراد الأمة ويتساوون أمامها ، فالمسلمون سواسية لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، بل يجب أن يتمتع بها غير المسلمين ماداموا موجودين فى دار الإسلام فالإسلام فى خصوص هذا المبدأ لا يميز بين الناس»[1] يقول تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾**[2] وقد أوصى الله تعالى فى غير آية بأن يكون الحكم والقضاء فى الأمور على أساس ما شرع الله **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون﴾**[3] «أى واحذر أعداءك اليهود وإن يدلسوا عليك الحق فيما ينهوك إليك من الأمور فلا تغتر بهم»[4] وقال مخاطبا نبيه داود عليه السلام : **﴿يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾**[5]

---

(١) مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الإسلامية ـ المستشار عمر الشريف ص٢٨.

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٥.

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٦٧.

(٥) سورة ص : الآية ٢٦.

فالهوى ميل نحو شئ ما ، ولذلك كان من محاسن الفقه الإسلامى عند الحديث عن القضاء أنه يجب على القاضى أن يسوى بين الخصمين فى المجلس، والسماع ، والخطاب فلا يفضل أحدهما على الآخر ، وذكروا مواضع يجتنب القاضى فيها الحكم : «وضابط المواضع التى يكره القاضى القضاء فيها كل حال يتغير فيها خلقه وكمال عقله هى : عند الغضب ، لخبر الصحيحين لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان ، وعند الجوع والعطش المفرطين ، وكذلك الشبع المفرط وعند شدة الشهوة أى التوقان للنكاح وعند الحزن المفرط فى مصيبة أو غيرها ، وعند الفرح وعند المرض المؤلم ، وعند مدافعة أحد الاخبثين أى البول والغائط وعند النعاس أى غلبته ، وعند شدة الحر وشدة البرد ، وعند الخوف المزعج ، وعند الملل ، وأنما كره القضاء فى هذه الأحوال لتغيير العقل والخلق فيها . . .»[1] وهذه الأمور يكون الإنسان إما مشغولا بمقاومة دافع كالجوع والعطش والنكاح ، أو منفعلا انفعال ضيق كالمرض والبرد والحزن ، ومدافعه الاخبثين ،وانفعال الخوف . . . وكل هذه قد تجره إلى العجلة والتسرع فى الحكم فيجانب الحق فلا تتحقق العدالة ، وفى ظل الإسلام ينال كل ذى حق حقه بلا نقص . . . أو إهدار كرامة مع الحفاظ على إنسانيته.

د ـ الحرية : ومعناها هذا ابداء الرأى فى شئون السياسية والحكم التى تتسع لمعيار التقويم للوقائع والأشخاص مع ضرورة الالتزام بمقررات الشريعة ، فكل مسلم حر فى رأية يعبر عنه فى ظل الحكم الإسلامى الذى لا ظلم فيه ولا اضطهاد ولا مصادرة لرأى ، ولا ردع لصاحب حق يقول رأيه ناصحا أو مستوضحا دون خوف على نفسه أو ماله أو عرضه ، لأن الحاكم فى ظل

(١) كتاب الاقناع فى حل الفاظ أبى شجاع جـ٢ ص٣٠٣ ط دار أصار الكتب العربية بدون سنة طبع ـ مذهب شافعى.

الإسلام ليس فى عصمة قدسية من الخطأ يقول ويفعل دون نقد أو تعليق ، وبعد وفاة الرسول ﷺ كان كل مسلم حرا فى ابداء رأيه فى خليفة الرسول ﷺ من هو ؟ ولم يكن هناك خوف من بطش أو اضطهاد بل عبر كل «عن رأيه بلا خوف أو فزع وفى النهاية اتفق الجميع على رأى واحد هو أن تكون خلافة الرسول ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه ، هذه واحدة ، وواحدة أخرى تتصل بابداء الرأى فى أمر كان من رئيس الدولة بدأ فيه لأحد المواطنين أنه استغل مركزه حين قال سلمان لعمر بن الخطاب ... ميزت نفسك علينا فى الدنيا إذ أعطيت كلا منا ثوبا : بردا واحدا وأخذت أنت بردين ، فأجال أمير المؤمنين بصره فى صفوف الحاضرين ثم قال : أين عبد الله بن عمر ، فنهض ابنه عبد الله قال هأنذا يا أمير المؤمنين فسأله عمر على مشهد من الحاضرين من صاحب البرد الثانى ؟ فأجاب : أنا يا أمير المؤمنين ، ثم اتجه عمر إلى سلمان والجميع يلقون السمع . وقال : إنى كما تعلمون رجل طوال ولقد جاءت بردتى قصيرة فاعطانى عبد الله بردته ، فاطلت بردتى ببردته ، وهنا يتألق وجه سلمان وفى عينيه دموع الغبطة والثقة فى رئيس الدولة ...»[1] ومما تجدر الاشارة إليه أن سلمان قال رأيه وهو آمن على نفسه ، وعندما قال لم يتعرض بعد لأى نوع من الانتقام أو الحبس ... وهذه هى الحرية كما علمها الإسلام لأفراده ليست تابعة لأنانية أو لمنفعة ذاتية .

وفى اطار الحرية فتح الإسلام باب تحرير العبيد وعتق الرقاب وجعل ذلك صدقة وقربة ، كما جعلها كفارة لبعض الذنوب فكفارة الذى أفطر عمدا فى نهار رمضان بالوطء منها ، عتق رقبة مؤمنة ، وكفارة الحنث فى اليمين منها : تحرير رقبة مؤمنة قال تعالى : ﴿لا يؤاخذكم باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان فكفارته عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو

(١) تقديم الفرد والمجتمع ص١٥١ .

كسوتهم ، أو تحر رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة إيمانكم إذا حلفتم واحفظوا إيمانكم كذلك يبين لكم آياته لعلكم تشكرون﴾[1] يقول ابن كثير : «قال الشافعى وآخرون لابد أن تكون مؤمنة وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل لاتحاد الموجب وإن اختلف السبب ، وقال أبو حنيفة تجزئ المؤمنة»[2] وكذا كفارة الظهار منها عتق مؤمنة ، وكفارة الخطاء منها تحرير رقبة مؤمنة ، قال تعالى : ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة مؤمنة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾[3] وقال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ فتحرير رقبه مؤمنة ودية مسلمة إلا أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما﴾[4] وكان الإسلام قد ورث الرق من المجتمع العربى قبل أن يسلم، ومن المجتمعات غير العربية التى كانت معاصرة ولم يكن من الممكن عمليا تصفية الرق دفعة واحدة وإلا حدثت هزات اقتصادية عنيفة لأن الرقيق كانوا اليد العاملة فى المجتمع ولذا كان لابد من التدرج، والإسلام وهو يصفى الرق قد سد كل الأبواب تقريبا فى وجه زيادته ، وفتح كل المنافذ لتصفيته وها هو المجتمع الإسلامى اليوم مجتمع بغير رقيق ، وقد نعم الرقيق اثناء التصفية فى ظل الإسلام بالمساواة مع الأحرار فكان ممنوعا على المسلم أن يقول «عبدى أو أمتى» بل يقول «فتاى وفتاتى» ويطعمه مما يطعم ويلبس مما يلبس»[5] والحاصل الآن لايوجد رق اطلاقا فى المجتمع الإسلامى ، والحرية من حق كل إنسان لا يمن بها أحد على أحد وإنما هى حق جعله الله للإنسان تكريما له .

(١) سورة المائدة : الآية ٨٩. (٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٩.
(٣) سورة المجادلة : الآية ٣. (٤) سورة النساء : الآية ٩٢.
(٥) كيف بنى الإسلام مجتمعا سليما ـ مذكرة ـ د/ عبد العزيز أحمد ، ص١٢.

وبهذا نرى المجتمع المسلم ترتبط بين أفراده الشريعة
الإسلامية التي توضح العلاقات الإنسانية وتضع
حدودها لضمان سلامة المجتمع وتحقيق أمنه واستقراره
وإحساسنا بين كل أفراد [illegible] الآخرين ، والشعور
بالاطمئنان على نفسه وعرضه وماله ، وتنتشر الثقة
بين أفراد المجتمع مما يكسبه صلابة وقوة تقف حاجزا
وسدا منيعا أمام الغزو الفكري الغربي وتقي المجتمع
المسلم شر بوائقه . ولا تتحقق هذه القوة وتلك
الصلابة إلا بالمحافظة على أسس الإسلام وأخلاقه
التي تعصم المسلم فردا ومجتمعا من كل دخيل
غريب على أخلاقنا الإسلامية وعقيدتنا
الصحيحة . . .

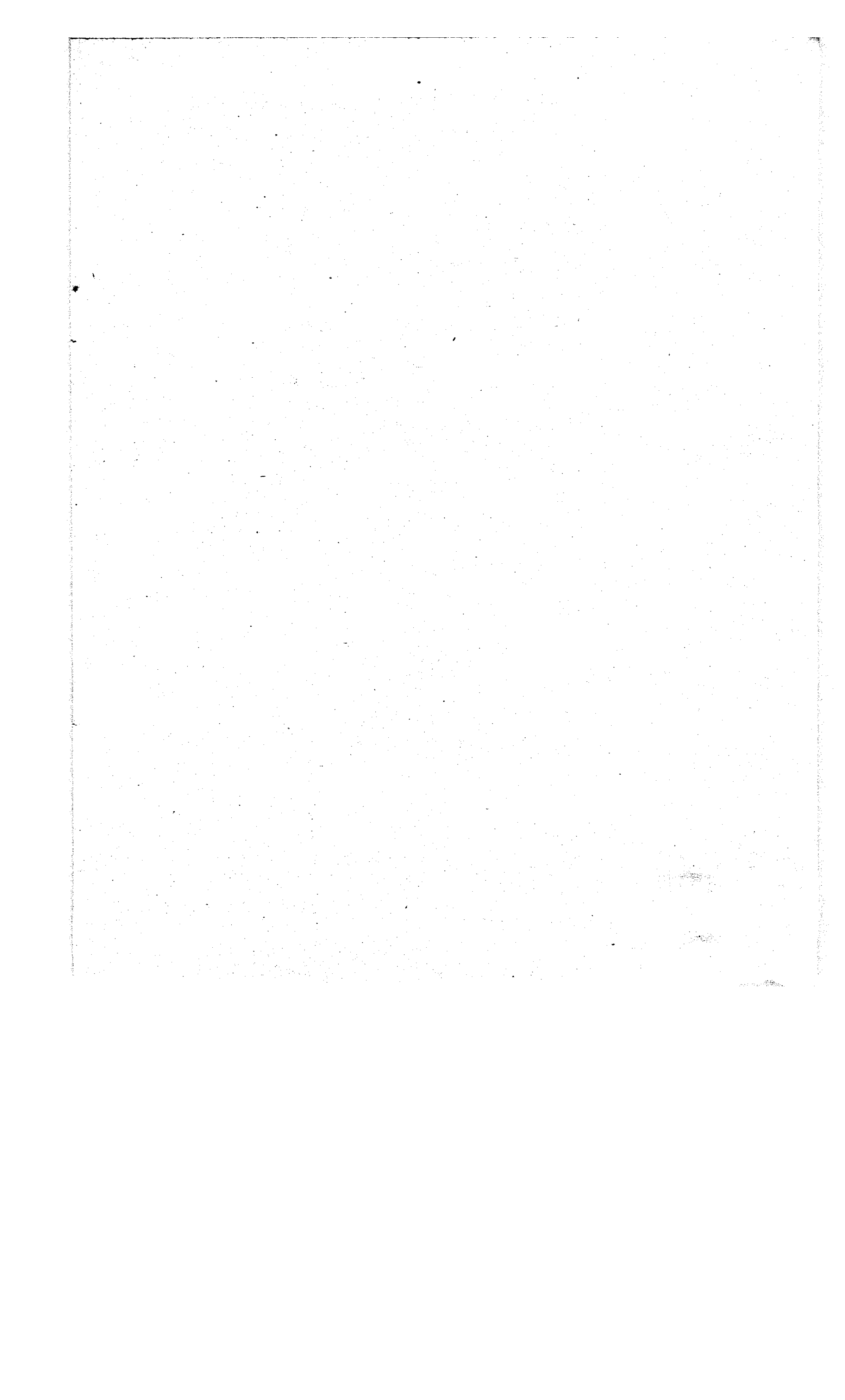
إعداد / هدى [illegible]

الفصل الثاني

(عناصر القوة الخارجية)

هبات الله للعالم الاسلامى

"الثروات الطبيعية"



الفصل الثاني

العالم الاسلامى اقتصاديا

أ ـ العالم الاسلامى جغرافيا :

ب ـ مبحث تمهيدى : مصادر الثروة فى القرآن .

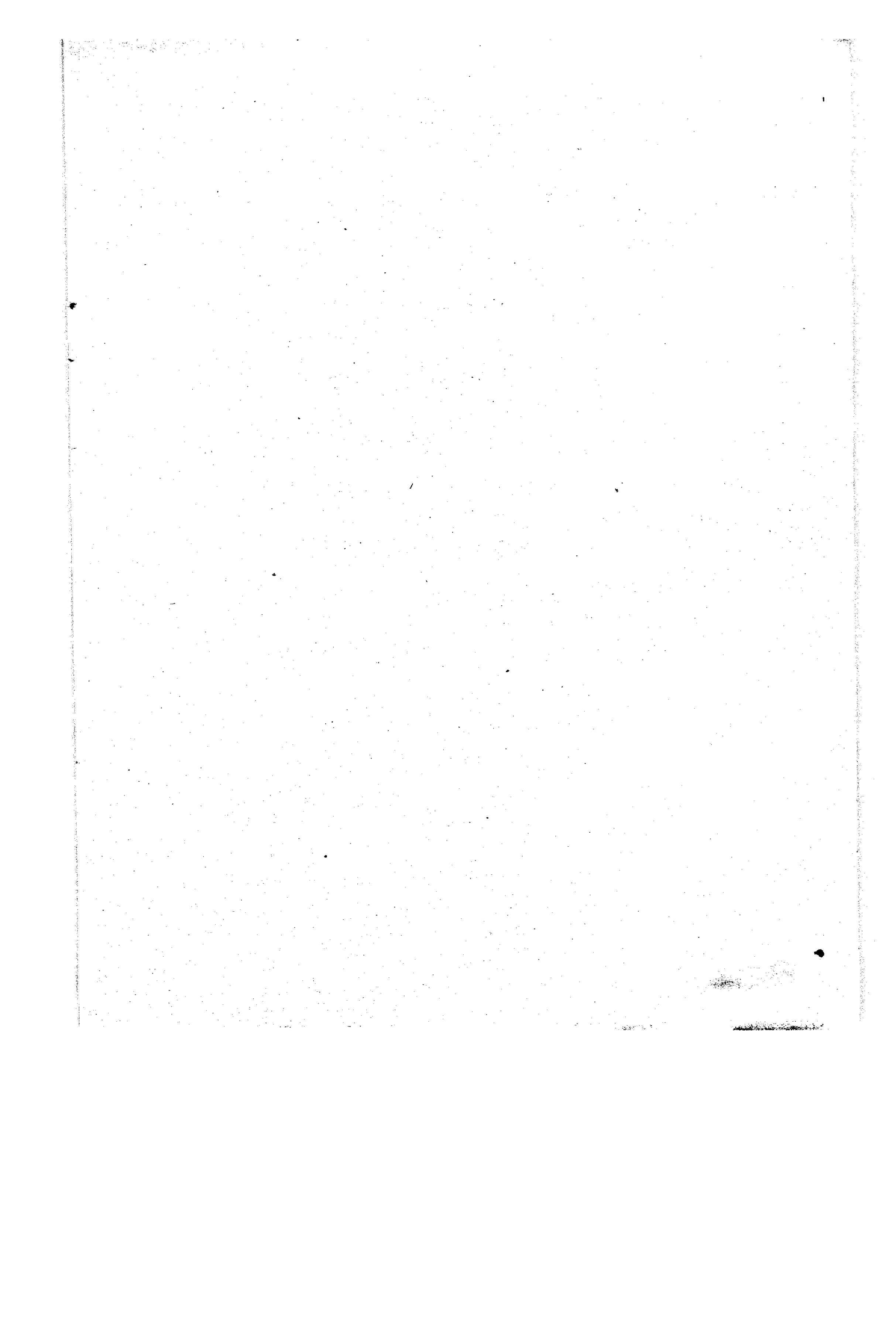
المبحث الأول : الثروة الحيوانية

المبحث الثانى : الثروة الزراعية .

المبحث الثالث : مصادر الطاقة والثروة المعدنية.

المبحث الرابع : الصناعات فى العالم الإسلامي

المبحث الخامس : التجارة الخارجية «التبادل التجارى»



(مدخل)

(أ) العالم الإسلامى جغرافياً

ترامى اطراف العالم الإسلامى شرقاً وغرباً وينتشر نور الإسلام ويغمر القلوب فى العديد من الأماكن والبقاع ، ولا عجب فى هذا الانسياب النورانى إلى القلوب والنفوس فإنه دين الفطرة والعقل تنفتح له القلوب الغلف والآذان الصم ، فتحيا به النفوس وتقوم به الأمم وينتصر الحق وتعلو رايته ، ولذا فإنه يوجد مسلمون يؤمنون بالله ورسوله وكتابه ويعبدونه فى كل البقاع ، وآيات الله تتردد فى كل الأمصار والاقطار على الأرض ، إلا أن صور تواجد المسلمين تتباين فقد يكون المسلمون فى دول اسلامية مستقلة يشكلون كل سكانها ، أو اغلبهم ـ ويشكل غير المسلمين فى تلك البلاد أقليات ، وقد يكونون ضمن دول غير إسلامية ويشكل غير المسلمين فى تلك الدول الأكثرية، وعندئذ يشكل المسلمون اقلية مسلمة فى دولة غير مسلمة ، كما توجد بعض دول المسلمين لكنها غير تامة الاستقلال فتخضع لسيطرة غيرها .

وعلى أساس هذا يتوزع المسلمون فى العالم على النحو التالى الذى سيتضح من خلال الإشارة إلى موقع العالم الإسلامى وتوزيع بقاعه :[1]

١ ـ تكون الغالبية العظمى من أقطار العالم الإسلامى : كتلة متصلة البنيان فى النصف الشمالى من افريقيا ، والربع الجنوبى من آسيا ، وهذه الكتلة تمتد من خط طول ١٨° غرباً ، إلى خط طول ٩٠° شرقاً حيث اقليم سنكيانج الصينى ، واقليم كشمير وباكستان ، وتمتد أيضاً بالنسبة لخطوط

(١) انظر جغرافية العالم الإسلامى ـ د/ محمد صبحى عبد الحكيم ـ ط معهد الدراسات الإسلامية.

العرض: من خط الإستواء جنوباً (عند الصومال) إلى خط عرض ٥٥ شمالاً حيث الحدود الشمالية لجمهورية كازخستان الإسلامية السوفيتية وتبلغ مساحة هذه الكتلة ٢٨ مليون كليو متراً وهو ما يعادل ٢١٪ من مساحة العالم .

٢ ـ الكتلة الثانية : وهى عبارة عن جزر وأشباه جزر فى جنوب شرقى آسيا ، وتتكون من دولتى اندونسيا ، وماليزيا ـ وتمتد هذه الكتلة طولاً من خط طول ٩٩° شرقاً ، ومن خطى عرض ١٠° جنوب خط الاستواء ، ٥٨° شمال خط الاستواء وتصل مساحة هذه الكتلة ١١٨ مليون كيلو متراً مربعاً .

٣ ـ الكتلة الوسطى : وهى بين الكتلتين السابقتين .

وهى منطقة صغيرة المساحة حوالى ...ر١٤٣ كيلو متراً مربعاً الا أن كثافتها السكانية عظيمة ـ وهى تتمثل فى باكستان الشرقية ، وهذا بالإضافة إلى عدة جيوب إسلامية تقع فى الدول الهندية والأراضى الصينية ، والمسلمون فى هذه الجيوب وتلك المناطق يمثلون اقليات إسلامية .

ويوجد فى اوربا دولة إسلامية واحدة هى البانيا ، كما ينتشر عدد من المسلمين فى دول البلقان ، دول شرق أوربا وغربها ، ويوجد المسلمون فى الأمريكتين واستراليا ، إلا أنهم فى كل هذه الدول اقليات .

ويتضح من هذا أن العالم الإسلامى يقع فى كتل ونطاقات عظيمة وهى وإن كانت غير متصلة فى بعض أجزائها ، الا أنها تمتد من ساحل أفريقية الشمالية المطل على المحيط الأطلسى غرباً ، إلى أقصى الجزر الأندونيسية المطلة على المحيط الهادى شرقاً ، ومن خط طول ١٠° جنوب خط الاستواء إلى خط طول ٥٥° عرض شمالاً كما انه يمتد بالنسبة لخطوط العرض اكثر من ٦٥° درجة عرضية .

ويترتب على هذا الامتداد نتيجة هامة : وهى اشتمال العالم الإسلامى على عدد كبير من الأقاليم المناخية والنباتية ، من الإقليم الاستوائى إلى الإقليم المدارى ، والإقليم الصحراوى ، وإقليم البحر المتوسط ، حتى الإقليم المعتدل البارد .

وهذا ايضاً يعنى تنوع وتعدد مصادر الثروة النباتية ، والحيوانية والزراعية فى أجزاء العالم الإسلامى المختلفة - والتى مساحته حوالى ٠٠٠ر٥٠٠ر٣٠ كيلو متراً - وهى تقرب من مساحة الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة مجتمعة، والتى تبلغ ٧ر٣١ مليون ك.م، أو تقارب مساحة قارة أفريقيا والتى تبلغ ٢ر٣٠ مليون ك.م.

وعلى الرغم من اتساع المساحة يعانى العالم الاسلامى ككل من انخفاض نسبة الأرض القابلة للزراعة عن المستوى العالمى إذ نجد عجزاً فى الإنتاجية الزراعية مما أدى إلى الإعتماد على استيراد الغذاء من الخارج ، وإذا كانت هناك بعض إضافات إلى الأرض الزراعية فإنها معدلات ضعيفة .

مع وجود المراعى إلا أن عالمنا يستورد اللحوم وذلك لعدم الاستغلال السليم للمراعى واتباع الأساليب الحديثة فى ذلك .

ويتميز موقع العالم الإسلامى بأنه يطل على منافذ بحرية عديدة ومع أنه قد توجد بعض الدول الإسلامية داخلية الموقع ولا تطل على أى بحار مثل : افغانستان فى آسيا، تشاد والنيجر فى أفريقيا ، الا أنه لا توجد منطقة فى العالم تطل على كل هذه المنافذ البحرية والتى تمثل أهم طرق المواصلات المائية[1].

---

(١) انظر اقتصاديات العالم الإسلامى - محمود شاكر - بيروت ١٩٨٣ ، وانظر تقويم العالم الإسلامى جمعية الدراسات الإسلامية - القاهرة ١٩٧٠.

وعلى هذا فإن العالم الإسلامى جغرافياً يتسم بترامى الأطراف وتنوع المناخ وبالتالى الإنتاج الحيوانى والزراعى ، والصناعى مما ينعشه اقتصادياً ويغنيه عن العالم الغربى ، لكنه - بكل أسف - التفرق والشتات وعدم وحدة الكلمة واتفاق الرأى - وهذا ما تسعى إليه الدول الأجنبية والاستعمار ، التى تعلم جوانب القوة والعظمة فى اتحاد المسلمين وحسن استغلال الخيرات التى منحها الله لهم . . . ولذا فإن العالم الغربى بدوله لا يهنأ له بال ولا يغمض لهم جفن إذا اتحد المسلمون وتوحدت جهودهم للعمل الجاد للإنتفاع بثرواتهم - ومن هنا تكثر الفتن والمؤامرات لشغل المسلمين بها ليتفرغ الغرب لاستغلال ثروات العالم الإسلامى ونهبها ، ثم توجيهها إلى العالم الإسلامى لتعويق مسيرة التقدم والازدهار ولإيقاع المسلمين فى التبعية لهم .

(ب) مبحث تمهيدى

ب - مصادر الثروة فى القرآن

هيأ الله تعالى لخلقه النعم العديدة التي لا تحصى، وقد من الله على العالم الإسلامى بصفة خاصة بالمزيد من خيراته وآلائه ، ووفر له أسباب الحياة الكريمة الآمنة التى يستغنى بها عن الخلق ويرتبط بالخالق . وقد ربط الله تعالى بين طاعته وعبادته وبين سعة الرزق ورغد العيش وحصول البركة، فقال تعالى: **﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾**[1] وقال جل ذكره: **﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾**[2] فهو سبحانه: المطعم الحقيقى والساقى **﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾**[3] فمصدر الرزق والغنى هو الله عز وجل ، وقد نبهنا الله تعالي أنه مَنَّ علينا بما خلق فى الأرض حيث خلقه لمنفعتنا ولإغنائنا عن غيره، فقال : **﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا﴾**[4] وقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى مصادر الرزق والثروة وحثنا على طلبها والانتفاع بها، حيث أن ذلك من الزينة والرزق الذى لقه الله لعباده **﴿قل من حرم زينه الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾**[5]؟ وتلك المصادر التى نبهنا إليها :

١ ـ الثروة النباتية (الزراعة).

٢ ـ الثروة الحيوانية (الأنعام) .

---

(١) سورة الأعراف : من الآية ٩٦.

(٢) سورة قريش : من الآية ٣ ـ ٤ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٧٩.

(٤) سورة البقرة : من الآية ٢٩.

(٥) سورة الأعراف : من الآية ٣٢.

٣ ـ الثروة المعدنية ، وما تقوم به الصناعات.

أ ـ فقال موجهاً أنظارنا إلى الزراعة وما تنبته الأرض : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنباً وقضباً * وزيتوناً ونخلاً * وحدائق غلباً * وفاكهة وأبا * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾(١).

والمراد هنا نظر التأمل والتدبر والانتفاع بما تخرجه الأرض بفضل الله تعالى وشكره عليها ، ويقول أيضاً : ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامكم وأنفسكم أفلا يبصرون ﴾(٢) وقد امتن الله على قوم هود بما أعطاهم من جنات وزروع فقال تعالى : ﴿ واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون ﴾(٣) كما قال عن قوم صالح : ﴿ أتتركون فيما ههنا آمنين * فى جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم ﴾(٤) كما حكى القرآن خطة نبى الله يوسف عليه السلام للخروج من الأزمة الغذائية عن طريق التخطيط الزراعى بعد أن فسر للملك رؤياه ـ فقال الله تعالى : ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه فى سنبلة إلا قليلاً مما تأكلون * ثم يأتى بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون * ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴾(٥) لقد رسم الخطة السبعية للخروج من الأزمة المنتظرة وهذه لمحة تدعونا إلى أهمية التخطيط لاجتياز الأزمات والصعاب . وترغيباً للمسلم فى الزراعة والغرس

---

(١) سورة عبس : من الآية ٢٤ ـ ٣٢.

(٢) سورة السجدة : الآية ٢٧.

(٣) سورة الشعراء : الآيات ١٣٢ ـ ١٣٤.

(٤) سورة الشعراء : الآيات ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٥) سورة يوسف : الآيات ٤٧ ـ ٤٩.

والإثمار اعتبر الرسول ﷺ الزرع الذى يغرسه المسلم ويأكل منه طير أو حيوان أو إنسان صدقة فقد روى الإمام مسلم قال : دخل النبى ﷺ على أم معبد حائطاً فقال : «يا أم معبد من غرس هذا النخل ؟ أمسلم أم كافر ؟ فقالت : بل مسلم ، قال : فلا يغرس المسلم غرساً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة»(١) فالزراعة إذن هى السبيل والسبب الذى خلقه الله لينال الإنسان من رزق ربه ولينال من بركات الأرض وما ينزله الله من السماء من رزق .

ب ـ وقال مبيناً لنا الثروة الحيوانية : ﴿ أوَلم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾(٢) فالأنعام هى ما خلقه الله من حيوانات لنفع الإنسان فى الركوب والتنقلات ، واللحوم ، والألبان ، وهذا كله تذليل الله لها نعمة منه تعالى ، وفى موضع آخر قال تعالى : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾(٣) ، كما تحدث القرآن عن الثروة السمكية ومنافع البحار فقال : ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾(٤) فهى أيضاً مع الإشارة إلى الثروة السمكية تلفت النظر إلى ما فى البحار من ثروات أخرى ﴿ حلية تلبسونها ﴾ ،

---

(١) رواه مسلم كتاب المساقاة والمزارعة ـ باب فضل الغرس جـ٤ ص٦٠ ط الشعب .

(٢) سورة يس : الآيات ٧١ ـ ٧٣ .

(٣) سورة النحل : من الآية ٥ ـ ٨ .

(٤) سورة النحل : الآية ١٤ .

كما قال : ﴿ مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾[1] فالخيرات كثيرة والمنح عديدة والنعم متوالية والمطلوب فقط هو الأخذ بالأسباب التى جعلها الله للحصول عليها وتطوير أساليب تربية الحيوان ، ووسائل إستخراج اللآلئ وصيد الأسماك.

جـ - وقال جل ذكره موجهاً أنظارنا إلى المزيد من نعمه وبعض الصناعات: حيث قال فى معرض المن على العباد : ﴿ والله جعل من بيوتكم سكناً ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم أقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين * والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾[2] وللمفسرين كلام طيب فى هذه الايات : « يمتن الله على عبيده بإتمام النعمة عليهم بما جعل لهم من البيوت التى هى سكن لهم يأوون إليها ويستترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الإنتفاع ، وأنه تعالى جعل لهم من الجبال أكناناً أى حصوناً ومعاقل ، كما جعل لهم السرابيل الواقية من الحر والبرد وهى الثياب من القطن والكتان والصوف » ~~والسرابيل الواقية~~[3] فهذه تذكرة ببعض نعم الله تعالى على الإنسان، وفيها إشارات إلى التشييد والبناء وإتخاذ الحصون والمعاقل لمواجهة المعتدين، وصناعة المنسوجات الصوفية والوبرية وسائر المنسوجات، وكذا الصناعات الحديدية للدروع الواقية من البأس، وإذا أضفنا إلى ذلك الإشارة إلى استخراج المعادن فى قوله: ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾

(١) سورة الرحمن : من الآية ١٩ - ٢٢.
(٢) سورة النحل : من الآية ٨٠ - ٨١.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٥٨٠ ط الحلبى.

حيث أن الإنسان يجب عليه البحث عما فيه منفعة له وما فيه حمايته وتدرعه ، إذا أضفنا إلى ذلك تبين لنا أن القرآن يلفت أنظارنا إلى مصادر الغنى والثروة والرقى الاقتصادى كما أنه ضمن للإنسان المأكل والمسكن والملبس وهذه الضروورات منّ الله بها على العباد رأفة بهم ورحمة، وعلى الإنسان السعى لمباشرة الأسباب المشروعة للحصول عليها، وهذا كله بجانب العقيدة والعبادة لتلبية حاجة الإنسان إلى الأمن والاطمئنان ﴿الذين امنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾(١)

فالزراعة وما يقوم عليها من منتجات ، والانتاج الحيوانى وما يقوم عليه من صناعات وما يترتب على ذلك من تبادل تجارى وتصدير للمنتجات واستيراد أخرى ، يعتبر أساس الاقتصاد الإسلامى ، ودستور الرقى والتقدم للأمة الإسلامية .. فإلى أى مدى فى مجال الزراعة والانتاج الحيوانى وصل العالم الإسلامى ؟ وأين مكانة أقطاره فى مجال الصناعات المختلفة ؟ وهل يكتفى العالم الإسلامى اقتصادياً أو يضطر إلى الاعتماد على العالم الغربى ؟

ذلك إن شاء الله ما سيتضح من خلال المباحث التالية ..

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٨٢.

١ ـ الثروة الحيوانية

﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾(١)

رغم أن العالم الإسلامى يملك ثروة هائلة من الإنتاج الحيوانى إلا أنه لم يمكنه الإستفادة منها ، وذلك يرجع إلى عدم الإستفاده من الأساليب الحديثة وعدم إتباعها ، فى إستثمار تلك الثروة التى منحه الله إياها ليستغنى بها عن غير المسلمين .

وتكثر المراعى وتتنوع فى أقطار العالم الإسلامى ، حيث تكثر الأبقار فى مناطق السفانا ، والأغنام فى مناطق الإستبس ، بينما تعيش الجواميس فى المناطق الاستوائية ، وتكثر الجمال فى الصحراء ، وتعيش الماعز فى سفوح الجبال(٢).

إلا أن الحيوانات عموماً تقل فى المناطق المدارية بسبب وجود ذبابة (التسى سى) ، وتقل أيضاً فى المناطق الجافة ، والمرتفعات الشاهقة .. وفيما يلى إيضاح موجز لذلك :

١ ـ **البقر** : ينتجه من دول العالم الإسلامى : السودان ، وباكستان ، وبنجلاديش ، وتركيا ، وقازقستان ، ويبلغ إجمالى الإنتاج ٠٠٠ر٥٤٠ر٦٦ رأساً ، وقد يصل إلى ٥ر٦ ٪ من الإنتاج العالمى الذى يصل إلى مليار تقريباً وترتيب العالم الإسلامى فى هذا الإنتاج الثانى وتتقدم عليه الهند التى تنتج حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤٣ إذ أن الكثير من سكانها لا يذبحون البقر لإعتبارها حيواناً مقدساً له صبغة دينية وتنتج الولايات المتحدة منه ٠٠٠ر٠٠٠ر١١١ ،

---

(١) سورة يس : الآية ٧١ .

(٢) انظر : اقتصاديات العالم الإسلامى ـ محمود شاكر

والبرازيل ٩٣ مليون فيصل مجموع ما تنتجه هذه الدول - وهى دول ليست من العالم الإسلامى ولا يوجد بها سوى أقليات مسلمة - يصل إلى ٤٤٧ مليون رأس .

وفي دول العالم الإسلامى نلاحظ تقدم إنتاج دول اسيا على إنتاج دول افريقيا ، حيث يبلغ إنتاج تركيا وباكستان وبنجلاديش وقازقستان حوالى ٥٠ ٪ من انتاج العالم الإسلامى .

٢ - **الغنم:** وينتجه من دول العالم الإسلامى : تركيا ، قازقستان ، وإيران ، وأفغانستان ، والمغرب ، والعراق ، والسودان وتتقدم تركيا هذه الدول حيث تنتج ٣٣ مليون رأس ، وآخرها السودان يصل إنتاجها إلى ١٤ مليون رأس ، وإجمالى ما تنتجه هذه الدول ٠٠٠ر٥٠٠ر١٥٣ رأس تمثل ٢٠ ٪ من الإنتاج العالمى .

٣ - **الماعز :** وينتجه من دول العالم الإسلامى : تركيا ، وإيران ، والسودان ، والمغرب ، ويبلغ الإنتاج ٥٠ مليون رأس ، منها ٦ مليون رأس من نوع (انجورا) الذى يشتهر بصوفه .

وتتفوق دول آسيا على افريقيا فى هذا الإنتاج حيث تنتج تركيا وإيران ما يساوى ٣٣ ٪ من إنتاج العالم الإسلامى ، وتتقدم تركيا العالم الإسلامى حيث تنتج ٢١ مليون رأس ، وآخر هذه الدول المغرب حيث تنتج ٩ مليون رأس .

٤ - **صيد السمك :** وهو لا يزال ضعيفاً فى العالم الإسلامى ومع ذلك فإن هذه الحرفة تقوم فى عدة أقطار منه هى : اندونسيا وباكستان ، والمغرب ، وماليزيا ، ومصر ، وتركيا ، ومالى ويبلغ اجمالى الانتاج منه ٠٠٠ر٦٣٧ر١ طن سنوياً ، وتتقدم العالم الإسلامى فى هذا الإنتاج دولة

اندونسيا التى تنتج ٧٦٠ ألف طن سنوياً ، وآخرها دولة مالى التى تنتج ١٠٠ الف طن سنوياً ويمثل اجمالى انتاج العالم الإسلامى ٦٪ من الإنتاج العالمى .

ويبلغ انتاج الدول الأسيوية فى العالم الإسلامى حوالى ٧٣٪ من إنتاجه الذى يذهب كله تقريباً إلى الإستهلاك المحلى وقد يستورد فى أغلب الأحيان بإستثناء التوغو وإيران حيث تصدران حوالى ٥٢٥ طن سنوياً .

وبصفة عامة فإن الإنتاج الحيوانى فى العالم الإسلامى لم يتم إستثماره أو الإستفادة منه الفائدة المرجوة ، وذلك يرجع إلى أن الحيوانات تحتاج إلى الرعاية بإقامة الحظائر النظيفة ، والمياه النظيفة وتأمينها من التلوث ، واختيار الأجناس وهذا كله لا يزال بعيداً عن الأساليب المستخدمة فى كثير من دول العالم الإسلامى .

وفيما يلى بيان احصائى عام للإنتاج الحيوانى فى العالم الإسلامى :

بيان احصائى بالانتاج الحيوانى فى العالم الإسلامى

الدول المنتجة	نوع الانتاج			
	أبقار	أغنام	ماعز	صيد سمك
	عدد الرءوس المنتجة سنويا	عدد الرءوس المنتجة سنويا	عدد الرءوس المنتجة سنويا	المنتج بالطن سنويا
السودان	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠	١٤ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠	٠
باكستان + بنجلاديش	٣١ر٠٠٠ر٠٠٠	٠	٠	٠
تركيا	١٤ر٥٤٠ر٠٠٠	٣٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٢١ر٠٠٠ر٠٠٠	١١٥ر٠٠٠
قازقستان	٦ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠	٠	٠
إيران	٠	٢٢ر٠٠٠ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠	٠
أفغانستان	٠	٢١ر٠٠٠ر٠٠٠	٠	٠
المغرب	٠	١٧ر٥٠٠ر٠٠٠	٩ر٠٠٠ر٠٠٠	١٨٢ر٠٠٠
العراق	٠	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠	٠	٠
باكستان	٠	٠	٠	٢١٠ر٠٠٠
أندونيسيا	٠	٠	٠	٧٦٠ر٠٠٠
ماليزيا	٠	٠	٠	١٥٠ر٠٠٠
مصر	٠	٠	٠	١٢٠ر٠٠٠
مالى	٠	٠	٠	١٠٠ر٠٠٠
اجمالى المنتج فى العالم الإسلامى	٦٦ر٥٤٠ر٠٠٠	١٥٢ر٥٠٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠	١ر٦٣٧ر٠٠٠
فى العالم عموما	١ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ مليار	٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠	١٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠	٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠

وبتأمل هذا الجدول نرى بعض الدول فيها الأبقار والأغنام والماعز ، والبعض ينتج الأبقار فقط كباكستان وبنجلاديش ، ودولة كتركيا تنتج الأبقار والأغنام والماعز وصيد السمك ، كما أن البعض فيه صيد الأسماك ، ولا يوجد فيه رعي أبقار أو أغنام أو ماعز - ولا يعنى عدم وجود منتج انعدامه تماما ، بل قد ينتج بكميات قليلة لا تكفى الانتاج المحلى بها - ويمكن عن طريق التبادل التجارى التكامل بين هذه الدول.

٢ - الثروة الزراعية

﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسبحون ﴾

توجد فى العالم الإسلامى العديد من الموارد الزراعية ، وهى عبارة عما ينتجه من محاصيل زراعية غذائية ، وتقوم عليها بعض الصناعات فى الموارد الغذائية - ومن هذه المحاصيل الهامة :

أ - الحاصلات الغذائية :

١ - القمح : وهو غذاء رئيسى وأساسى للكثير من سكان الأرض وبالذات العالم الإسلامى الذى ينتج منه حوالى ٤٨ مليون طن تمثل ١٣٪ من الإنتاج العالمى، إلا أن هذا المنتج لا يكفى الإستهلاك المحلى مما يضطر المسلمين إلى استيراده بعد أن كانوا يصدرونه وهذا يرجع إلى زيادة الإستهلاك لتحسن الأوضاع المعيشية وإتجاه السكان إلى أكل القمح بدل الشعير والذرة، ومناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى قازقستان، وتركيا، وباكستان، وإيران، وأفغانستان، وتتقدم قازقستان فتنتج ٠٠٠ر٥٠٠ر١٢ طن سنوياً، وأقل المناطق انتاجاً افغانستان حيث تنتج ٠٠٠ر٣٣ر٣ طن سنوياً، وتتقدم فى الإنتاج على العالم الإسلامى روسيا حيث يبلغ إنتاجها ٦٠ مليون، بينما يقوم العالم الإسلامى باستيراد ما نقص من هذا المحصول من استرليا وكندا والولايات المتحدة .

٢ - الشعير : وهو من الحبوب الغذائية الهامة التى يعتمد عليها البعض فى غذائهم ، ويزرع فى المناطق الأقل خصوبة من مناطق القمح .

والدول المنتجه له : تركيا ، والمغرب ، والعراق ، وسورية ، ويبلغ إجمالى الإنتاج منه ٠٠ر٧٨٥ر٦٥ر٥ وتمثل نسبة ٦ ٪ من الإنتاج العالمى .

٣ - **الأرز** : وهو من الحبوب الغذائية حيث إنه غذاء ما يقارب ثلث البشر على سطح الأرض ويزرع فى المناطق الحارة ذات الأمطارالغزيرة والمياه الوفيره ، ولذا فإن أهم مناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى : اندونسيا ، وبنجلاديش ، وباكستان ، ومصر ، وماليزياوتصدر اندونسيا بإنتاج ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠ طن ، وآخرها ماليزيا التى يبلغ انتاجها ١ر٠٥٠ر٠٠٠ مليون طن ، واجمالى الإنتاج ٣٦ر٣٥٢ر٠٠٠ طن تمثل ١٣٪ من الإنتاج العالمى .

٤ - **الذرة** : وهو غذاء رئيسى فى بعض المناطق ، وكانت افريقيا غنية به وأهم الأقطار المنتجة له هى : اندونسيا ، ومصر ، ونيجيريا وإجمالى المنتج منه ٦ر٣١٣ر٠٠٠ وتمثل نسبة ٢ر٥٪ من الإنتاج العالمى ، ويأتى ترتيب العالم الإسلامى فى المرتبة الخامسة بعد الولايات المتحدة ، وروسيا ، والبرازيل ، والمكسيك ويبلغ اجمالى الإنتاج من هذه الدول ١٢٧ر٥ مليون طن من الذرة بأنواعها الصفراء ، والبيضاء ، والرفيعة .

٥ - **قصب السكر**: وتقوم عليه عدة صناعات مثل السكر، والأدوية، ومناطق انتاجه فى العالم الإسلامى : بنجلاديش ، واندونسيا ، ومصر ، وافغانستان ويبلغ إجمالى الإنتاج ٤٦ر٧٨٤ر٠٠٠ ويمثل ١٠٪ من الإنتاج العالمى ، ويأتى العالم الإسلامى فى المرتبة الثالثة بعد الهند والبرازيل حيث يبلغ إنتاج هذه الدول منه ١٧٠ مليون طن .

٦ - **الشوندر السكرى** : ومناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى : تركيا، وقازقستان ، وفيرغينيا ، ويبلغ إجمالى الإنتاج ٧ر٩٨٢ر٠٠٠ تمثل ٨٪ من الإنتاج العالمى كما يزرع بكميات قليلة فى كل من سورية وألبانيا .

٧ ـ **التمور** : وهو من الحاصلات التى يمثل العالم الإسلامى فيها مكانة مرموقة من حيث الإنتاج والتحسين حيث توجد أشجار النخيل فى المناطق الصحراوية حيث الواحات ، وأهم مناطق إنتاجه : العراق التى تمثل الصدارة ، تليها السعودية ، ثم إيران ، ثم مصر ، وآخرها الجزائر ويبلغ عدد الأشجار ٧٥٫٠٠٠٫٠٠٠ شجرة تنتج ٩٧٩٫٠٠٠ طن سنوياً تمثل ٩٩ ٪ من الإنتاج العالمى . ويكاد العالم الإسلامى أن يكون الوحيد فى إنتاج التمر .

٨ ـ **الكاكاو** : وأهم مناطق إنتاجه : نيجيريا ، وساحل العاج ، واندونسيا ، ويبلغ إجمالى الإنتاج ٦١٧٫٠٠٠ طن تمثل ٤٦ ٪ من الإنتاج العالمى ، هذا بالإضافة إلى الكاميرون ، والتوغو ، وسيريالون ، وغينيا وجميع الدول الواقعة على خليج غينيا ، كما تنتجه تنزانيا ، ويتفوق الجناح الأفريقى على الجناح الأسيوى وتحتل العالم الإسلامى المرتبة الأولى فى الإنتاج .

٩ ـ **النخيل الزيتى** : وهو من نباتات البلاد الحارة الرطبة ، ومناطق انتاجه فى العالم الإسلامى هى : نيجيريا ، وأندونسيا ، والداهومى ، وماليزيا ، وسيراليون ويبلغ اجمالى الإنتاج ١٫٠٤٠٫٠٠٠ طن سنوياً تمثل ٨٠ ٪ من الإنتاج العالمى يحتل العالم الإسلامى المرتبة الأولى فى إنتاجه .

١٠ ـ **جوز الهند (النارجيل)** : وينمو فى البلاد الحارة الرطبة ومناطق انتاجه فى العالم الإسلامى هى : اندونسيا ، وماليزيا ـ ويبلغ إجمالى الإنتاج ٩٤٠٫٠٠٠ طن تمثل ٣٣ ٪ من الإنتاج العالمى ـ يحتل العالم الإسلامى المرتبة الثانية فى إنتاجه بعد الفلبين .

١١ ـ **الشاى** : وينتج فى بعض أمصار العالم الإسلامى مثل : اندونسيا ، وبنجلاديش ، ويبلغ إجمالى الإنتاج ٨٤٫٠٠٠ طن سنوياً ، تمثل

نسبة ٦ ٪ من الإنتاج العالمى - ويأتى العالم الرسلامى فى المرتبة الرابعة فى انتاجه بعد الصين ، والهند ، وسيلان ، حيث يبلغ إجمالى انتاجها له ١٫٣٢٥٫٠٠٠ .

١٢ - **البن** : ويوجد فى العالم الإسلامى بعض مناطق الإنتاج أهمها: ساحل العاج ، وأندونسيا ، والحبشة ، وتنزانيا ، واليمن ، ويبلغ إجمالى الإنتاج ٣٩٤٫٤٠٠ طن سنوياً تمثل حوالى ١٠ ٪ من الإنتاج العالمى . ويقدم ساحل العاج نصف إنتاج العالم الإسلامى من البن ، تقريباً ، بينما يقدم الجناح الأفريقى حوالى ٦١ ٪ منه.

١٣ - **الزيتون** : وهو من نباتات البحر الأبيض وأهم مناطق انتاجه فى العالم الإسلامى : تركيا ، وتونس ، والجزائر ، وسورية ، والمغرب ، وإجمالى عدد أشجاره ١٠٦ مليون شجرة تنتج سنوياً ٣٢٠٫٠٠٠ طن تمثل ٣٠ ٪ من الإنتاج العالمى، ويمثل العالمى الإسلامى فى إنتاجه المرتبة الثانية بعد إيطاليا .

١٤ - **الفول السودانى** : وأهم مناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى ك نيجيريا ، والسنغال ، والسودان ، واندونسيا ، ويبلغ اجمالى الإنتاج ٣٫٢٥٧٫٠٠٠ طن سنوياً تمثل حوالى ٢٥ ٪ من الإنتاج العالمى له .

ب - الحاصلات غير الغذائية :

١ - **القطن** : وهو ما يتميز به العالم الرسلامى ومن أهم منجاته ، حيث إن منسوجاته من أكثر المنسوجات انتشاراً فى العالم ، ومع انه ليس مادة غذائية إلا أن تجارته تعادل مع تجارة القمح ، ولا عجب فى هذا فإن القمح

غذاء، والقطن كساء ، وأهم مناطق انتاجه فى العالم الإسلامى : أوزباكستان، تركمانستان ، ومصر ، طادجكستان ، باكستان ، وتركيا ويبلغ اجمالى الإنتاج منه ٥٫٢٩٤٫٠٠٠ طن سنوياً تمثل حوالى ٤٢ ٪ من الإنتاج العالمى .ويتفوق الجناح الأسيوى على الجناح الافريقى فى إنتاج القطن ، ويحتل العالم الإسلامى المرتبة الأولى فى إنتاج القطن ، وتمثل الدول الإسلامية التى كانت تخضع للسيطرة الشيوعية ٧٠٪ من انتاج العالم الإسلامى.

٢ ـ الجوت : ويمثل العالم الإسلامى فيه مكانة مرموقة حيث ينتج ما يعادل ٧٥٪ من الإنتاج العالمى ، ولا تنتجه من العالم الإسلامى إلا بنجلاديش وتنتج الهند الباقى أى ٢٥ ٪ .

٣ ـ المطاط : ونقلت زراعته من الغابه الإستوائية إلى اندونسيا والملايو فنجحت أيما نجاح ، وأهم مناطق انتاجه فى العالم الإسلامى : ماليزيا ، واندونسيا ، ونيجيريا ، ويبلغ اجمالى الإنتاج ١٫٦٣١٫٠٠٠ طن سنوياً تمثل ٦٥٪ من الإنتاج العالمى ، وتعتبر تجارة المطاط بيد العالم الإسلامى حيث يحتل المرتبة الأولى فى إنتاجه .

وهناك منتجات زراعية أخرى ينتجها العالم الإسلامى منها:

أ ـ الفواكه المتنوعة : واشهرها العنب ، والمشمش ، والحمضيات والأناناس ، والمانجو ، والتفاح ، والتين ، والتوت .

ب ـ التوابل : كالفلفل ، والقرنفل ، والقرفة ، وجوزة الطيب ، والكينا من زنجبار واندونيسيا ، وماليزيا ، وتنزانيا .

ومن الثروات الزراعية :

الغابات : وهى تلك الحدائق مصدر الثروة الخشبية اللازمة للصناعة ﴿وحدائق غلبا﴾ وهى قوام الصناعات وأهم تلك الغابات الموجودة فى العالم الإسلامى :

أ - الغابة الإستوائية : ومن أشجارها الأبنوس ، والماهوجنى .

ب - الغابة المدارية : ومن أشجارها الياؤباب .

جـ - الغابة المعتدلة الدفيئة : ومن أشجارها الأرز ، والصنوبر ، والبلوط ، والسنديان الفلبينى ، والصنوبر الحلبى .

وأهم المناطق المستفيدة من الغابات اندونيسيا ، وماليزيا ، والسودان ، وتنزانيا .

وبعد هذا البيان الموجز لأهم الموارد الزراعية نفرض بياناً إحصائياً لإنتاج أهم الثروات والمنتجات التى تعكس صورة واضحة لإنتاج العالم الإسلامى .

احصائية المحاصيل اهم انتاج العالم الاسلامى

أولا : بيان إحصائى لأهم المنتجات الزراعية غير الغذائية مقارنة بالانتاج العالمى :

الدول المنتجة	المنتج بالطـن سنويا		
	القطن	الجوت	المطاط
أوزبكستان	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	.	.
تركمانستان	٠ر٥٤٠ر٠٠٠	.	.
مصر	٠ر٥٠٤ر٠٠٠	.	.
طادجستان	٠ر٥٠٠ر٠٠٠	.	.
باكستان	٠ر٤٥٠ر٠٠٠	.	.
تركيا	٠ر٣٠٠ر٠٠٠	.	.
بنجلاديش	.	١ر٥٦٣ر٠٠٠	.
ماليزيا	.	.	٠ر٩٠٠ر٠٠٠
أندونيسيا	.	.	٠ر٦٥٨ر٠٠٠
نيجيريا	.	.	٠ر٠٧٣ر٠٠٠
الانتاج العالمى الإسلامى	٥ر٣٣٤ر٠٠٠ نسبة ٤٢ ٪	١ر٥٦٣ر٠٠٠ نسبة ٧٥ ٪	١ر٦٣١ر٠٠٠ نسبة ٦٥ ٪
الانتاج العالمى	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠	٢ر١٣٣ر٠٠٠	٢ر٦٨٨ر٠٠٠

ثانيا : بيان إحصائى بمنتجات العالم الإسلامى من الحاصلات الزراعية الغذائية مقارنة بالانتاج العالمى:

الدول المنتجة	متوسط المنتج بالطن سنويا				
	القمح	الشعير	الأرز	الذرة	قصب السكر
قازقستان	١٢,٥٠٠,٠٠٠				
تركيا	١٠,٠٠٠,٠٠٠	٣,٢٠٠,٠٠٠			
إيران	١٠,٠٠٠,٠٠٠				
أفغانستان	٢,٠٣٣,٠٠٠				٠,٠٤٥,٠٠٠
المغرب		١,٠٠٠,٠٠٠			
العراق		٠,٨٠٦,٠٠٠			
سورية		٠,٨٧٥,٠٠٠			
أندونيسيا			١٥,٠٠٠,٠٠٠	٢,٨٨٨,٠٠٠	١١,٠٠٠,٠٠٠
بنجلاديش			١٤,٠٠٠,٠٠٠		٣١,٠٠٠,٠٠٠
باكستان	٢,٨٦١,٠٠٠		٤,٠٠٠,٠٠٠		
مصر			٢,٣٠٢,٠٠٠	٢,٣٥٨,٠٠٠	٤,٧٣٩,٠٠٠
ماليزيا			١,٠٥٠,٠٠٠	١,٠٦٧,٠٠٠	
نيجيريا					
قيرغيريا					
السعودية					
الجزائر					
ساحل العاج					
الداهومى					
سيراليون					
الحبشة					
تانزانيا					
اليمن					
تونس					
السنغال					
السودان					
أوزبكستان					
تركمانستان					
طادجستان					
انتاج العالم الإسلامي	٣٩,٢٩٤,٠٠٠	٥,٨٨١,٠٠٠	٣٦,٣٥٢,٠٠٠	٦,٣١٣,٠٠٠	٤٧,٢٧٩,٠٠٠
انتاج العالم	٣٦٠,٠٠٠,٠٠٠	١٦٥,٠٠٠,٠٠٠	٣٦٥,٠٠٠,٠٠٠	٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٤٤٠,٠٠٠,٠٠٠

ثانيا : بيان إحصائى بمنتجات العالم الإسلامى من الحاصلات الزراعية الغذائية مقارنة بالانتاج العالمى:

الدول المنتجة	متوسط المنتج بالطن سنويا				
	الشوندر السكرى	التمور	الكاكاو	النخيل الزيتى	جوز الهندى
قازقستان	١,٧٠٠,٠٠٠				
تركيا	٤,٦٧٨,٠٠٠				
إيران		١٢٥,٠٠٠			
أفغانستان					
المغرب					
العراق		٣٥٠,٠٠٠			
سورية					
أندونيسيا			١٤٥,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٦٦٠,٠٠٠
بنجلاديش					
باكستان					
مصر		٣٠٠,٠٠٠			
ماليزيا			٣٢٠,٠٠٠	١٤٠,٠٠٠	٢٨٠,٠٠٠
نيجيريا				٣٢٥,٠٠٠	
قيرغيريا	١,٦٠٤,٠٠٠				
السعودية		١٦٩,٠٠٠			
الجزائر		٣٥,٠٠٠			
ساحل العاج			١٥٢,٠٠٠		
الداهومى				١٥٠,٠٠٠	
سيراليون				١٢٥,٠٠٠	
الحبشة					
تانزانيا					
اليمن					
تونس					
السنغال					
السودان					
أوزبكستان					
تركمانستان					
طادجستان					
انتاج العالم الإسلامي	٧,٩٨٢,٠٠٠	٩٧٩,٠٠٠	٦١٧,٠٠٠	١,٠٤٠,٠٠٠	٩٤٠,٠٠٠
انتاج العالم	٢٢٠,٠٠٠,٠٠٠	٩٩٠,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٦٦,٠٠٠	١,٢٥٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠

ثانيا : بيان إحصائى بمنتجات العالم الإسلامى من الحاصلات الزراعية الغذائية مقارنة بالانتاج العالمى:

الدول المنتجة	متوسط إلمنتج بالطن سنويا				
	الشاى	البن	الزيتون	الفول السودانى	
قازقستان					
تركيا			١٢٥,٠٠٠		
إيران					
أفغانستان					
المغرب			١٥,٠٠٠		
العراق					
سورية			٢٠,٠٠٠		
أندونيسيا	٥٢,٠٠٠	١١٤,٠٠٠		٢٧٥,٠٠٠	
بنجلاديش	٣٢,٠٠٠				
باكستان					
مصر					
ماليزيا					
نيجيريا				١;٧٠٠,٠٠٠	
قيرغيريا					
السعودية					
الجزائر			٣٠,٠٠٠		
ساحل العاج		٢١٠,٠٠٠			
الداهومى					
سيراليون					
الحبشة		١٤٠,٠٠٠			
تانزانيا		٢٥,٠٠٠			
اليمن		٥,٤٠٠			
تونس			١٣٠,٠٠٠		
السنغال				١,٠٠٠,٠٠٠	
السودان				٢٨٢,٠٠٠	
أوزبكستان					
تركمانستان					
طاجستان					
انتاج العالم الإسلامي	٨٤,٠٠٠	٣٩٤,٤٠٠	٣٢٠,٠٠٠	٣,٢٥٧	
انتاج العالم	١,٦٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	١٤,٠٠٠,٠٠٠	

ثالثا : انتاج الجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى سابقا (أعضاء كومنولث) الدول المستقلة : تعد هذه الجمهوريات من أغنى الأراضى بالثروات الطبيعية ، فقد من الله عليها بالخير الكثير والفضل العميم.

موارد غير غذائية ومعادن		موارد زراعية	
المادة المنتجة	نسبة انتاج الجمهوريات إلى انتاج الاتحاد السوفيتى	الجمهورية	انتاجها
البترول	٥٠٪ من الانتاج	أذربيجان	القمح وانتاجه يكفيها
الفوسفات	٩٥٪ من الانتاج	أوزبكستان	القطن ـ والأرز
اليورانيوم	٩٠٪ من الانتاج	قيرغيزيا	القطن ـ قطعان من الماشية والخيول
النحاس	٧٦٪ من الانتاج	كازخستان	ليس فيها انتاج زراعى ملحوظ لكن بها الفحم ـ البترول ـ الحديد ـ النحاس
الزئبق	١٠٠٪ من الانتاج		
الرصاص والقصدير	٨٦٪ من الانتاج	تركمانيا	بها صناعات فقط
معدن الكروم	٩٠٪ من الانتاج	طاجيكستان	القطن والحبوب والأرز
الحديد	٣٧٪ من الانتاج		
الفحم	٢٧٪ من الانتاج		
القطن	٩٦٪ من الانتاج		
الصوف	٧٨٪ من الانتاج		
الحرير	٩٦٪ من الانتاج		

وبنظرة عامة إلى البيانات الاحصائية للانتاج الحيوانى والزراعى فى العالم الإسلامى نجد أن جميع الحاصلات الزراعية ، وأنواع الحيوانات المختلفة متواجدة في العالم الإسلامى بصورة متكاملة أى أن كل دولة تكمل الناقص فى الأخرى وماهو منعدم فى مناخ معين يكثر فى مناخ آخر ـ وهذا التنوع والتكامل الاقتصادى إنما كان ثمرة لترامى اطراف العالم الإسلامى وتنوع مناخه من وجود الأقاليم المناخية المختلفة من استوائى إلي مدارى إلى صحراوى وإقليم البحر المتوسط حتى الإقليم المعتدل البارد ، فالمناخ فيه الحار ، والمعتدل والبارد والحاصلات متنوعة بتنوع الأقاليم.

امكانية التكامل بين اقطار العالم الاسلامى

٣ ـ مصادر الطاقة والثروة المعدنية

﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾[1]

بعد أن تبين ما من الله به على العالم الإسلامى من هبات فى الحاصلات الزراعية والحيوانية ، نورد هنا نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على العالم الإسلامى والتى تضاف إلى نعم الله التى لا تحصى ، وهى الثروة الباطنة وما يحويه باطن الأرض من معادن ومصادر طاقة تقيم صناعات وتدور بها محركات فآلات . وحوت أرض المسلمين عديداً من المعادن وصنوفاً من الخامات ، تعتبر أعمدة فى عالم الصناعات ، وكما كانت القشرة الظاهرة للأرض مصدراً للرزق والطعام فى عالم الزراعة فإن باطن الأرض عامر بالمعادن والطاقة وهذا رزق فى عالم الصناعة ، وهذا يمكن أن يستغنى به المسلمون ويتقدموا لو أحسنوا استغلاله . وأحسنوا المشى فى الأرض والأكل من رزق الله .

ولكن رغم ما تحتوى عليه أرض المسلمين من خيرات ظاهرة وباطنة إلا أن تلك الأرض لم تدرس بعدُ الدراسة الدقيقة ، ولم تمسح جيولوجياً وإذا درست فإن الدارسين لها من غير أهلها .

وقد زود الله العالم الإسلامى بمصادر الطاقة اللازمة للصناعة والحركة ، بجانب الخامات التى هى أساس أية صناعة من الصناعات .. وفيما يلى عرض موجز لذلك لتكون على بصيرة من أمرنا فيما نهدف إليه ..

أ ـ من مصادر الطاقة التى فى العالم الإسلامى :

من تلك المصادر :

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٥.

١ ـ **الفحم** : وينتج العالم الإسلامى منه حوالى ٣٪ من إنتاج العالم حيث يبلغ الإنتاج حوالى ٦٥ مليون طن ، وأهم البلاد المنتجة له فى العالم الإسلامى :

الدول المنتجة	القيمة بالجنيه	النسبة إلى الانتاج العالمى
قازقستان	٣٨ مليون	٣٪
تركيــا	٧٫٥ مليون	
أوزبكستان	٦ مليون	
قيرغيزيا	٥ مليون	
بايشكيريا	٣ مليون	
الجملــة	٥٩٫٥	

ويقدم الجناح الأسيوى ٩٢٪ من إنتاج المسلمين ، وتقدم بلاد التركستان الخاضعة للسيطرة الروسية ٨٠٪ ، والجناح الأفريقى حوالى ٢ مليون طن .

٢ـ النفط (بترول المسلمين) :

وله عدة مناطق لإنتاجه وإستخراجه :

أ ـ نفط منطقة الخليج العربى[١] :

(١) بترول الخليج رغم أنه يشكل نسبة لا بأس بها من الانتاج الإسلامى، ولكن الحرب الدائرة فى الخليج بسبب احتلال النظام العراقى لدولة الكويت أدت إلى توقف الانتاج والأستفادة منه، ومما يؤسف له قيام رئيس العراق «صدام حسين» بضخ البترول الكويتى إلى مياه الخليج ـ وهذا هدر لتلك الثروة وكفر بهذه النعمة ـ وهذا أيضا يضعف أو يقتل اقتصاد العالم الإسلامى، ولاتزال المشكلة تطلب حلا كغيرها من مشكلات العالم الإسلامى .

وتشمل عدة دول هي : إيران ـ السعودية ـ العراق ـ الكويت ـ قطر ـ البحرين ـ اتحاد الإمارات العربية ـ وعمان، ويبلغ إجمالى إنتاجها حوالى ٦٨ ٪ من الإنتاج العالمى .

ب ـ منطقة بحر الخزر : حيث توجد أحواض : باكو ـ فى أزربيجان ، وغروزنى ـ فى بلاد الشاسان ، وحوض نهر مايكوب ، وكوبان ـ فى شمال القفقاس ، وحوض نهر الكاما ـ فى جمهورية تاتاريا ، وحوض نهر إمبا ـ فى جمهورية قازقستان ، وحوض بنيت داغ فى جمهورية تركمانستان ويبلغ إنتاج هذه المنطقة ما يعادل ٩ ٪ من الإنتاج العالمى .

جـ ـ منطقة الشرق الأقصى : حيث تقدم أندومنسيا ما يعادل ٥ر٢ ٪ من إنتاج العالم الإسلامى.

د ـ بترول أفريقيا : وتوجد أحواض بترولية فى ليبيا ، والجزائر ، ومصر وأحواض فى نيجيريا ـ ويبلغ إجمالى ما تنتجه هذه المنطقة ما يعادل ٢٠ ٪ من إنتاج العالم الإسلامى . ويصدر معظم بترول آسيا ، ولكن بترول منطقة بحر الخزر إلى روسيا التى تستعمر هذه البلاد .

وفيما يلى بيان جدولى للدول المنتجة للبترول فى العالم الإسلامى ، وهذا هو البيان :

الدولة المنتجة	المنتج بالطن	النسبة إلى الانتاج العالمى
السعودية	٤٠٨ مليون	
إيران	٢٧٠ مليون	٦٠٪
الكويت	١٥٧ مليون	
العراق	٨٠ مليون	
ليبيا	١١٦ مليون	
الجزائر	٥٥ مليون	
مصر	١١ر٧ مليون	
نيجيريا	٩٤ مليون	٨١٪ من الاحتياطى العالمى
أذربيجان	٢٦ مليون	
ققاسيا	٣٢ مليون	
تاريا	٣٠ مليون	
قازقستان	٢٨ مليون	
أندونيسيا	٢٩ مليون	
قطر	٢٤ مليون	
البحرين	٣ر٧ مليون	
الامارات العربية	٦٢ مليون	
عمان	١٥ مليون	
الجملـة	١ر٨٤٩ر٤	

ويحتل العالم الإسلامى فى إنتاج البترول المرتبة الأولى حيث ينتج حوالى ١٣٥٠ مليون طن وتعادل ٦٠٪ من الإنتاج العالمى ، ويبلغ الإحتياطى فى العالم الإسلامى ما يعادل ٨١٪ من الإحتياطى العالمى .

موقف الغرب من بترول المسلمين :

رغم أن البترول يمثل ثروة هائلة للعالم الإسلامى وكان من المفروض أن تنعكس آثار هذه الثروة على اقتصاديات المسلمين إلا أن الدول الغربية لا يسعدها ذلك حيث تعمل بصورة أو بأخرى على تبديد ثروته وتجميد عائده . .

فإن المستخرج للبترول هو دول الغرب وليس أهل البلاد ، وإذا عرفنا أن مجهودات مضنية من المفاوضات والإلحاح والضغط أدت إلى أن تصل الدول المنتجة إلى إتفاق مع الشركات تحصل بمقتضاه الدول العربية صاحبة الأرض على تقسيم الربح مناصفة عرفنا أن كل تخفيض فى السعر المعلن يعنى تخفيضاً ضخماً فى إيراد الدول صاحبة البترول ، مع العلم بأن طريقة حساب نصيب الشركة والدولة خصم كل تكاليف البحث والإنتاج ثم توزيع الربح مناصفة بين الإثنين بعد ذلك ، وبمقتضى ذلك كانت أرباح الشركة المنتجة أضعاف أرباح الدولة صاحبة الحقول .

وكثيراً ما تتخذ إجراءات للحد من منافسة البترول العربى للبترول الأمريكى فتوضع القيود المتنوعة فعلى سبيل المثال عندما انخفضت أسعار بترول الخليج إلى درجة كبيرة فرضت الولايات المتحدة رسوم استيراد على البترول ، ثم قيوداً على استيراد البترول أى تحديد حصة لمن يستورد من البترول ، والسبب فى كل هذه القيود والإجراءات أن البترول العربى أرخص فى تكاليف الإنتاج مما يؤدى إلى زيادة صادرات الولايات المتحدة فينافس بترولها ويتغلب عليه برغم نفقات الشحن .

ثم ماذا عن أموال البترول ؟

ومع أن هذه الأرباح التى تجنيها الدول الإسلامية المنتجة للبترول قليلة

وضئيلة - هل تدخل خزائن تلك الدول فتعمل على رفع مستوى الإقتصاد عموماً ؟

إن المعروف عالمياً أن تلك الأموال المستحقة للدول الإسلامية لا تصل إلى أصحابها بل هي مودعة في بنوك الخارج في العالم الغربي ، ولا تتحكم الدول الإسلامية في تلك الأموال إلا بما يوافق ميول وسياست الدول الغربية التي بها البنوك .

وهنا يثور سؤال يفرض نفسه : هل ترتاح الولايات المتحدة إلى صدور قانون في أي بلد من البلاد المنتجة للبترول يحرم إيداع أمواله خارج أرضه .. ؟ إن الواقع يجيب عن ذلك عندما تردد مثل هذا التساؤل كأمنية بعد حرب رمضان - حيث ثار الثائرون وقامت الدنيا ولم تقعد بدعوى أن العرب يريدون تدمير الاقتصاد الغربي كله - إذن الاقتصاد الغربي يقوم على ودائع البترول الاسلامية بينما لا يعود عليها بشئ يذكر ينتعش به إقتصادها ، وإن الاستراتيجيات الثابتة للسياسة الدولية تتلخص في العمل على صرف العرب والمسلمين عن كل عمل جاد داخل أرضهم ، وشغلهم دوماً بإطفاء نار الفتن والحروب التي تنشأ بينهم ويستنزف مواردهم في شراء الأسلحة ، وتلك الأسلحة مهما كانت فلن تكون فعالة ، لأن السلاح لا يعمل وحده - فما دامت جيوش الإسلام متفرقة هنا وهناك متناحرة فيما بينها - فلن تنفع الأسلحة التي استنزفت أموال بترولهم في شئ فلا بد من الرابطة الجامعة لشتات الجيوش والمؤاخية لكل النفوس التي أكدت أن المسلم أخو المسلم ونعني بذلك رابطة الدين والعقيدة .

ثم نأتي إلى الأسلحة التي تصدر إلى العالم الإسلامي فهي تأتي على إعتبار أرض الإسلام ميادين للتجارب للأسلحة الجديدة التي تم صنعها ولم

يتمكن صانعوها من تجربتها ، وإما المراد إخلاء مخازن الأسلحة من النماذج التى صنعت وتكشف ما فيها من عيوب وقصور فيتسع المجال لإدخال المزيد من التطوير والتحسينات فى أسلحة الهجوم والدفاع .

أضف إلى ذلك ما يقوم به شباب الدول المنتجة من الذهاب إلى أوربا وقضاء الليالى الحمراءوتبديد أموال العرب وإيصالها إلى خزائن تلك الدول .

وعموماً فإن أحد الكتاب الغربيين عبر بإيجاز عن نظرة الغرب إلى بترول العرب حيث يرى أن البترول ظهر خطأ فى أرض العرب(١).

ولابد إلى العودة إلى الدين والتمسك بالعقيدة مع ضرورة الربط بين العمل النافع المتقن وبين ثواب الله ـ وعدم تبذير تلك النعمة التى أعطاها لنا ليغنينا عن خلقه .

٣ ـ ومن مصادر الطاقة ، الغاز الطبيعى:

وهويوجد فى كافة الدول المنتجة للبترول .

٤ ـ الكهرباء:

وقد أصبح توليد الكهرباء بواسطة الطاقة بعد أن كان معتمداً على مساقط المياه ، ومن الأمصار المستفيدة من الطاقة الكهربية: قازقستان ـ أوزبكستان ـ أذربيجان ـ مصر ـ فيرغيزيا ـ وباكستان .

وبالإضافة إلى مصادر الطاقة التى هيأها الله للعالم الرسلامى ، فإنه قد أودع باطن أرض المسلمين بالثروة المعدنية والخامات المختلفة على النحو التالى:

---

(١) انظر كتاب منهج الإسلام فى علاج حاضر المسلمين ـ د/ كمال مصطفى محمد من ص٥١ إلى ٥٥ بتصرف شديد.

١ ـ الحديد :

ذلك المعدن الأرضى النافع للناس ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ وينتج العالم الإسلامى منه كميات قليلة حيث يبلغ المنتج منه ما يعادل حوالى ١٥ ٪ من الإنتاج العالمى وهذا بيان بالأمصار الإسلامية المنتجة للحديد:

الدول المنتجة	المنتج بالطن	النسبة إلى الانتاج العالمى
قازقستان	١٣ر٤٠٠ر٠٠٠	١٥ ٪
موريتانيا	٩ر٣٠٠ر٠٠٠	
ماليزيا	٥ر٨٠٠ر٠٠٠	
الجزائر	٣ر٥٠٠ر٠٠٠	
مصر	٣ر٥٠٠ر٠٠٠	
المغرب	١ر٥٠٠ر٠٠٠	
الجملـة	٣٧ر٠٠٠ر٠٠٠	

ويأتى حديد الجناح الأسيوى من تركستان التى تخضع للسيطرة الروسية.

٢ ـ النحاس:

وهو من أكثر المعادن استخداماً بعد الحديد وينتج العالم منه حوالى٤ مليون طن يقدم العالم الإسلامى منه مليون طن أى ما يعادل ٢٥ ٪ من الإنتاج العالمى.

وأهم مناطق إنتاجه : قازقستان وتنتج ٥٠٠ر٠٠٠ طن ، وأوزبكستان وموريتانيا .

٣ - المنجنيز: ويدخل فى صناعة الحديد ومستهلك هذه الصناعة حوالى ٩٠٪ وينتج العالم ٨ مليون طن يقدم منها العالم الإسلامى ٩ر١ مليون أى حوالى ٢٤٪ من الإنتاج العالمى .

وأهم مناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى هذا بيانها :

الدول المنتجة	المنتج بالطن	النسبة إلى الانتاج العالمى
المغرب مصر قفقاسيا	٥٩٣ر٦٠٠ ٢٢٠ر٠٠٠ ١ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٤٪
الجملة		

ويمثل العالم الإسلامى المرتبة الأولى.

٤ - الكروم: وهو معدن من مجموعة الحديد ويدخل فى الصلب ليكسبه مقاومة شديدة للحرارة وقوة كبيرة ، كما يحول دون الصدأ ويبلغ إنتاج العالم منه ٥ر٢ مليون طن ، يقدم العالم الإسلامى منها مليون طن ، وأهم مناطق إنتاجه بيانها كالآتى :

الدول المنتجة	المنتج بالطن	النسبة إلى الانتاج العالمى
تركيا ألبانيا قازاقستان تتاريا	٤١١ر٠٠٠ ٢٣٠ر٠٠٠ ٢٠٠ر٠٠٠ ٢٠٠ر٠٠٠	٤٠٪
الجملة		

ونلاحظ أن معظم الانتاج الأسيوى من البلاد الخاضعة للسيطرة الروسية، وتركيا .

٥ ـ الألومنيوم : وهو من أكثر المعادن انتشاراً حيث تبلغ نسبته فى صخور الأرض ٨٪ ومع ذلك لم يدخل فى الصناعة إلا حديثاً وهذا يرجع إلى صعوبة فصله عن الأوكسجين ولدخوله فى الصناعات الكهربية ، ويبلغ إنتاج العالم منه حوالى٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠طن ، يقدم العالم الإسلامى منها حوالى ٧مليون طن أى حوالى ٢٣٪ ، وأهم مناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى بيانها كالآتى :

الدول المنتجة	المنتج بالطن	النسبة إلي الانتاج العالمى
أذربيجان	٠٠٠ر٠٠٠ر٤	
غينيا	٠٠٠ر٧٧٨ر١	٢٣٪
قازاقستان	٠٠٠ر٠٠٠ر١	
اندونيسيا	٠٠٠ر٥٠٠ر٠	
الجملـة		

ويلاحظ أن المناطق الخاضعة للسيطرة الروسية تقدم حوالى ٧٠٪ من الإنتاج ، بينما يقدم غربى أفريقية ٢٨٪ وأندونيسيا حوالى٢٪ من الإنتاج.

٦ ـ القصدير :

وهو معدن يستعمل غالباً فى صناعة المعلبات كما أنه يخلط مع النحاس لصناعة البرونز ، ويبلغ الإنتاج العالمى منه ٠٠٠ر١٨٠ طن يقدم العالم الإسلامى ٠٠٠ر١٠٠ طن وهو ما يعادل ٥٦٪ فيحتل بذلك المرتبة الأولى فى إنتاجه ، وأهم الأمصار الإسلامية المنتجة له بيانها كالآتى:

النسبة إلى الانتاج العالمى	المنتج بالطن	الدول المنتجة
٥٦ ٪	٧٣٫٣٢٥ر٠ ١٦٫٥٤٢ر٠ ٨٫٧٤١ر٠	ماليزيا أندونيسيا نيجيريا
		الجملـة

ويلاحظ أن ماليزيا تقدم٧٤٪ من إنتاج العالم الإسلامى ، وتقدم اندونيسيا ٩٠ ٪ من الإنتاج الإسلامى .

٧ ـ الرصاص : وينتج العالم الإسلامى منه حوالى ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ طن يقدم العالم الإسلامى منها ٠٠٠ر٢٠٠ طن أى ما يعادل ١٠ ٪ ، وأهم مناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى بيانها كالآتى :

النسبة إلى الانتاج العالمى	المنتج بالطن	الدول المنتجة
١٠ ٪	٠٠٠ر١٠٠ر٠ ٠٠٠ر٣١ر٠ ٠٠٠ر٣٥ر٠	المغرب الجزائر تونس
		الجملـة

مع العلم أنه يوجد الرصاص فى كل من السعودية وإيران وأفغانستان وطادجسكتان إلا أنه لم يستثمر بعد .

٨ ـ الفوسفات : وينتج العالم الإسلامى منه ما يقارب ٨٥ مليون طن ، يقدم منها العالم الإسلامى حوالى ٢٥ ٪ وهو ما يساوى ٢١ مليون طن ويأتى إنتاجه من حيث الترتيب فى المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة .

وأهم مناطق إنتاجه فى العالم الإسلامى بيانها الآتى :

الدول المنتجة	المنتج بالطن	النسبة إلى الانتاج العالمى
المغرب	١١ر٠٠٠ر٠٠٠	٢٥ ٪
تونس	٢ر٦٠٠ر٠٠٠	
التوغو	١ر٥٠٠ر٠٠٠	
الأردن	١ر٠٠٠ر٠٠٠	
السنغال	١ر٠٠٠ر٠٠٠	
مصر	٠ر٦٦٠ر٠٠٠	
الجزائر	٠ر٤٢٠ر٠٠٠	
الجملة		

معادن أخرى فى العالم الإسلامى:

وبالإضافة إلى ما سبق بيانه من المعادن المنتجة فى دول العالم الإسلامى ـ هناك بعض المعادن الأخرى تحتويها بطن الأراضى الإسلامية ، لكنها لم تستغل ولم يستفد بها ، من هذه المعادن : الذهب ـ الكوبالت ـ النيكل ـ التنجستين ـ الكولومبيت ، وتنتج منه نيجيريا حوالى ٩٠ ٪ من إنتاج العالم ، ويدخل فى صناعة الطيران ، كما يوجد اليورانيوم فى تشاد والنيجر وطادجكستان.

العالم الغربى وثروات المسلمين:

نظر الغرب إلى ثروات المسلمين على أنها مغنم يمسحون الأرض ويأخذون ما يحتاجونه ويتركون ما لا يحتاجونه ولا يفكرون فى مسحه ـ وما الإستعمار والسيطرة فى العديد من دول العالم الإسلامى إلا لأجل ذلك

الغرض وتلك الغاية «والأمر الذى يلفت الإنتباه أن الثروة المعدنية فى العالم الإسلامى موزعة على أطرافه أما المناطق الداخلية فتعد فقيرة فيها، وهذا يعلل أنه قد استثمر من العالم الإسلامى ما كان سهل النقل، أما المناطق التى يصعب نقل ثرواتها فلم تمسح بعد إلى حين الحاجة لأن المستفيد من هذه الثروة ليس أصحاب البلاد، وإنما الدول التى كانت قد استعمرت البلاد والتى استثمرت خيراتها ، وهى لا تريد أن تقوم بمشروعات نقل واسعة ومد المواصلات لأن هذه المشروعات إنما يعود بالفائدة على أهل البلاد - وهم لا يريدون ذلك ،وإنما يريدونه أن يبقى المسلمون فى حالة من التأخر حتى يتمكن أعداؤهم من سرقة خيرات البلاد . أما البلاد التى فى وسط آسيا فإنها مستثمرة وهذا يرجع إلى أن الروس المسيطرين عليها هم الذين يستفيدون منها وينقلونها إلى أراضيهم حتى تعامل هناك وتقيم الصناعات عليها، فالأمر واحد النقل لمصلحة الغير. .»(١) فالمسألة ليست لخدمة العالم الإسلامى وإنما لنهب ثرواته والسيطرة على مقدراته.

وبعد هذا العرض الموجز لهبات الله تعالى للعالم الإسلامى من الحاصلات الزراعية ومصادر الطاقة وما احتوته الأرض من معادن وخامات يجب الإشارة إلى أن هذه المواد تعتبر خامات لازمة للصناعات المختلفة - ولقد قامت بالفعل صناعات فى العالم الإسلامى على النحو الذى سيأتى بيانه حالاً وبإيجاز . .

---

(١) انظر كتاب العالم الإسلامى - محمود شاكر - ص١٣٥ ط المكتب الإسلامى طبعة ثانية عام ١٤٠٣هـ.

٤ ـ الصناعات فى العالم الإسلامى

تبين لنا فى موضوع سابق أن الزراعة فى العالم الإسلامى عنصر أساسى فى الغذاء ، ولأن هذه الزراعة لا تعتمد على الاساليب المتطورة ولم تدخل الآلة تلك الأساليب إلا فى مناطق محدودة ، وهذا الذى أصاب الزراعة يرجع إلى أسباب مخطط لها من الخارج حتى تظل الدول الإسلامية فقيرة ومتخلفة حيث أن الزراعة تعطى أرباحاً أقل من الصناعة .

ولكن هل تم الإعتناء بالصناعة ـ مع إهمال الزراعة ـ للتعويض ؟

بكل أسف الإجابة بالنفى حيث لم تعتن بالصناعة ، لأن الفرض والغاية لدى العالم الغربى أن تظل الدول فى العالم الإسلامى فى حاجة إليها حيث أنها لعدم تقدمها ستظل تطلب المساعدة المطلوبةوتحت إلحاح الحاجة يمكن التحكم فيها وجرها إلى حيث يراد والطريق المرسوم لها وهذا كما قلنا يرجع الحاجةإلى الغذاء .

وإذا اعتنت الدول الإسلامية فإنها تستثمر خيراتها وتطور صناعاتها فتعود الحيوية والنشاط إلى ربوع العالم الإسلامى فتنطلق الدعوة بحرية وبقوة لأنه كما قيل « لا آخذ القرار من رأسى حيث آكل الخبز من فأسى »[١] لأنى لا حاجة لى إلى من يتحكم فى قراراتى . وهذا الانطلاق وتلك الحرية لا تعجب دول الغرب جميعاً فتعمل تلك الدول بكل صور الجد والإصرار على أن تبقى بلاد المسلمين متخلفة وبعيدة عن التطور والأسلوب التجريبى .

ولهذا كله فإن الصناعات فى العالم الإسلامى بسيطة جداً وتعتمد على

---

(١) فضيلة الشيخ متولى الشعرواى فى بيان السادة العلماء بالجامع الأزهر فى أول يناير ١٩٨٩م.

الموارد الخام الزراعية في أقاليمه المختلفة وتستهلك تلك الصناعات - غالباً - محلياً ولا يصدر منها إلا القليل - وهذا التصدير لا يشكل أمراً خطيراً على الدول الأجنبية كما أنه ليس مصدر غنى للدولة المصدرة . وفيما يلي عرض موجز لأهم الصناعات التي تقوم في العالم الإسلامي :

١ - صناعة السكر : وتقوم هذه الصناعة في أندونيسيا ومصر وباكستان وهي تصنع السكر من القصب ، بينما تصنعه سوريا من الشوندر السكري .

٢ - صناعة الزيت : وتنتجه أغلب دول البحر المتوسط حيث تقوم باستخراجه من الزيوت ، والدول المنتجة له هي : تركيا ، تونس ، سورية ، والمغرب ، كما أنه يوجد بعض الدول التي تنتجه من بذرة القطن - وهي بالطبع - الدول المشتهرة بزراعة القطن مثل مصر والسودان وسوريةوتركيا وباكستان - وتوجد بعض الدول تستخرجه من الفول السوداني .

٣ - صناعة المعلبات : وكل قطر أو دولة يشتهر بنوع من الزراعة يمكن تعليبها تقوم فيها تلك الصناعة ، مثل : ماليزيا التي تقوم بتعليب الأناناس ، ومصر: التي تقوم بتعليب الفول ، والمانجو ، ولبنان : التي تقوم بتعليب سائر الفواكه .

ومما يؤسف له من صور الإستغلال نلاحظ معلبات أو صناعات غذائية مستوردة من الخارج - مصدرة إلينا من بلاد أجنبية لا توجد فيها مواد الخامة اللازمة لها ، ولكنها تشتريها من دول العالم الإسلامي المنتجة لها بأسعار بخسة وزهيدة ثم تعيد تصديرها إلينا بأسعار باهظة .

٤ - الصناعات النسيجية : ومع أن هذه الصناعة كالصوف تعتمد على المواد الخام الزراعية كالقطن والكتان والحرير، أو المواد الخام الحيوانية كالصوف

والوبر والجلود . . لكن الأمم الغربية تتحكم أيضاً فى إنتاجها عندنا عن طريق الآلات اللازمة لها ولإنتاجها - فيمكن التوقف عن تصدير تلك الآلات إن رأى الغرب ذلك إذا رأى خطراً على بلاده من تلك الصناعة . . . وفى هذه الحالة إما تتوقف الصناعة ثم تموت بعد فترة لعدم وجود الآلات ، وإما أن تظهر آلات حديثة تتفوق على الآلات القديمة ، ومن مواطن الإنتاج لتلك الصناعات فى العالم الإسلامى :

تركستان الغربية - وأذربيجان - وتركيا - وسورية - ومصر - وباكستان وتشتهر بالنسيج القطنى .

كما تشتهر أفغانستان وسورية ومصر بالمنسوجات الصوفية ، ويعد السجاد من المنتجات الصوفية وتشتهر بصناعته إيران وأفغانستان كما تقوم صناعات له فى مصر وسورية وتركيا والعراق وتركمانيا .

واشتهرت مصر بصناعة الحرير حيث ينسج فى دمياط والقاهرة والإسكندرية وكفر الدوار والمحلةالكبرى ، كما اشتهرت سورية كذلك بصناعته حيث ينتج فى دمشق ، وأفغانستان ، وأوزبكستان ، وفيرغينيا ، وتركمانيا وسمرقند . وتشتهر باكستان وبنجلاديش ومصر بصناعة الجوت ، كما تقوم صناعة الحبال فى سورية وباكستان .

٥- الصناعات الحديثة : فى تلك الصناعات نرى سياسة عجيبة حيث لا تقوم صناعة منها كاملة فى العالم الإسلامى ، وإنما يتم فى العالم الإسلامى وورشه هو تجميع الأجزاء التى تم تصنيعها فى دول الغرب ، ولا تقوم مصانع العالم الإسلامى بتصنيع تلك الأجزاء - فتقوم الدول الأخرى بصناعة المحركات والأجزاء المختلفة وتصدر إلينا مصنعة وتقوم مصانع العالم الإسلامى بتجميع تلك الأجزاء فقط .

وعلى أساس ذلك فإن الدول المنتجة يمكنها التحكم فى تلك الصناعات عن طريق وقف التصدير وقطع الإمداد بالمحركات والأجهزة .

ومن هذه الصناعات : صناعة الثلاجات فى مصر ، حيث شركة إيديال وفى سورية حيث شركة برادات بردى، وبلودان فى دمشق، وصناعة الغسالات ومعامل تجميع أجهزة المذياع فى اندونيسيا ، وتجميع السيارات فى مصر، وسيارات الجيب فى تركيا .

٦ ـ صناعة الصلب : يوجد فى العالم الإسلامى بعض معامل الصلب الذى يستفاد منه على نطاق واسع فى البناء والآلات الزراعية والأدوات العامة، وتوجد مصانع الصلب فى عدد من الأمصار الإسلامية مثل : معمل الصلب فى مصر فى مدينة حلوان ، ويبلغ إنتاجه حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ طن حديد سنويا، ومعمل الصلب فى الجزائر فى كولومب بيشار جنوب وهران ويبلغ إنتاجه حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ طن ومعمل القضبان فى سوريا فى حماة، كما توجد معامل فى تركيا في كارابول ، ودكا فى بنجلاديش ، وفيها أيضا فى سيتا جونج، وفى غينيا فى مربا شملا شرقى العاصمة كونا كرى وتوجد معامل لصاعة السفن فى كراتشى وباكستان . . . ومع أن هذه الصناعات كبيرة إلا أنها تعتبر ثانوية جداً أمام صناعة الآلات والمنتجات الحربية والمجاهر . . . ومما لم تعمل الأمصار الإسلامية على إنتاجها.

٧ ـ الصناعات الكيماوية: وهى من الصناعات المختلفة فى العالم الإسلامى كما أنها لا تقارن بما فى البلاد الأخرى، ومن أشهر تلك الصناعات صناعة الصابون فى البلاد المنتجة للزيوت، وصناعة الزجاج فى أندونيسيا وسورية، وصناعة الورق فى باكستان وبنجلاديش وتونس وأندونيسيا، وصناعة المطاط، وتقوم صناعة الاطارات المطاطية فى مصر وأذربيجان، وصناعة

الأسمدة حيث توجد صناعة السوبر فوسفات فى قازاقستان ومصر فى كفر الزيات ، وفى الجزائر فى عنابة ، والمغرب فى الدار البيضاء ، وحمض الكبريت فى كل من مصر وتركيا وباكستان ، وتوجد الصودا فى وادى النطرون فى مصر ، كما توجد مواد البناء ، وتوجد معامل للمساكن الجاهزة فى قازقستان ، ومصانع للأخشاب فى قيرغيزيا.

٨ ـ الصناعات النفطية : وهذا يدخل ضمن الصناعات الكيماوية إلا أن لها وضعاً خاصاً لأهميتها ، فإضافة إلى صناعة تكرير البترول توجد بعض الصناعات كصناعة الأسمدة ، والإسفنج الصناعى وتقوم هذه الصناعة فى المناطق الغنية بحقول البترول أو التى يكرر فيها البترول للإستهلاك المحلى أو التصدير .

نظرة العالم الغربى إلى الصناعة

فى العالم الإسلامى

ينظر الغرب بصفة عامة إلى العالم الإسلامى نظرة حذرة فلا يريدون له تقدماً ولا استغناء ويبذلون فى سبيل ذلك جهوداً شتى على كل المستويات ، وذلك حتى تظل الدول الغربية متحكمة فى الصناعاتالمختلفة ويظل المسلمون دائماً فى حاجة إلى العالم الغربى الذى يسهل ـ بالتالى ـ أن يتحكم فى العالم الإسلامى اقتصادياً وسياسياً ، وقد يقول قائل : إن الصناعات متطورة فى التركستان وتسبق بقية بلدان العالم الإسلامى وهذا يرجع إلى التطور المادى القائم فى الإمبراطورية الروسية وهى ـ أى التركستان ـ من الأمصار الخاضعة للسيطرة الروسية وعندئذ نقول : إن منهج الاستعمار واحد لا يختلف ، والواقع الأليم واحد فالسوء والتنكيل والتدمير هو والإستعمار الروسى لا يختلف عن أى استعمار بل أسوأ من كل المستعمرين ولا يقل حقداً وتخطيطاً للسيطرة على المسلمين ، إلا أن قيام الروس بصناعات إسلامية يرجع إلى عدة أسباب أهمها :

١ ـ من الأسباب العسكرية أن تجميع المعامل كلها فى بلاد الروس يجعلها هدفاً ثميناً لتوجيه الضربات إليها فى الأزمات والحروب.

٢ ـ الجانب الدعائى فى تطور المستعمرات الروسية وهذا مخالف للحقيقة حيث أن أهل البلاد المستعمرة لا ينتفعون بشئ من هذا التطور إنما المستفيد هم الروس وحدهم ـ الذين تدار بهم تلك المعامل ويشرفون عليها كما فى التركستان. أما أهل البلاد وبكل أسف فإنهم يكابدون الاستعمار ويعانون منه ويعيشون حياة بئيسة، إن سايروه يأكلون ويشربون ويلبسون ما يعرض عليهم

بالشكل الذى يؤمن لهم أقل مستوى من الحياة بينما ينعم الروس بخيرات سكان البلاد.

وبعد فهذه أهم الصناعات فى العالم الإسلامى وبنظرة عامة نجد أنها غير متقدمة مما يجعل العالم الإسلامى فى حاجة دائمة إلى مساعدات الغرب الذى يتحكم فيه عن طريق ذلك.

٥ ـ التجارة الخارجية والتبادل التجارى للعالم الإسلامى

بالنسبة لهذا المجال تنقسم الدول الإسلامية إلى خمس مراتب بالنظر إلى صادراتها الخارجية ، وهذه المراتب هى : الدول النفطية ـ الدول المعدنية ـ الدول ذات الموارد الزراعية ـ الدول ذات الموارد الزراعية والمعدنية ـ الدول ذات التطور الصناعى الخفيف والمتوسط ، إلا أن الغالب والقاسم المشترك بين هذه الدول الإسلامية فى صادراتها هو المواد الأولية غير المصنفة ، بينما تتكون الواردات إليها من المواد المصنعة وتشكل نسبة ٦٠٪ من الواردات ، وتمثل المواد الغذائية من واردات العالم الإسلامى ٣٠٪ ، وبالنسبة للمبادلات التجارية مع دول العالم وبالأخص مع دول العالم الثالث فإن مبادلات الدول الإسلامية مثلت حوالى ١٢٪ من التجارة الدولية .

وتشكل المنتجات الخام للدول الإسلامية ٣٣٪ من صادرات العالم الإسلامى بينما لا تتعدى النسبة ١٠٪ فى الولايات المتحدة الامريكية ، ٩ر١٣٪ فى اليابان و٤ر٢٢٪ فى فرنسا .

والدول المصدرة من العالم الإسلامى هى: اثيوبيا ـ ايران ـ الأردن ـ أفغانستان ـ الباتيا ـ الإمارات العربية ـ اندونيسيا ـ أوغندا ـ باكستان ـ البحرين ـ بنجلاديش ـ تركيا ـ تشاد ـ تنزانيا ـ تونس ـ جابون ـ جامبيا ـ الجزائر ـ السودان ـ سوريا ـ سيراليون ـ الصومال ـ العراق ـ عمان ـ غينيا ـ غينيا بساو ـ قطر ـ الكاميرون ـ الكويت ـ لبنان ـ مالديف ـ مالى ـ ماليزيل مصر ـ المغرب .

والدول المصدرة إليها : الولايات المتحدة ـ إيطاليا ـ جيبوتى ـ المانيا الغربية ـ الإتحاد السوفيتى ـ إنجلترا ـ الهند ـ تشيكوسلوفاكيا ـ كوريا الشمالية ـ

اليابان ـ فرنسا ـ سنغافورة ـ هولندا ـ ساحل العاج ـ الصين ـ نيجيريا ـ اندونيسيا ـ الأرجنتين ـ سويسرا ـ رومانيا ـ السعودية ـ لبنان ـ البرازيل ـ تايوان ـ سوريا ـ الأردن ـ الكويت . .

المواد المصدرة : حيوانات حية ـ البن الجلود ـ الحبوب الزراعية ـ البترول الخام والمكرر ـ ومشتقاته ـ المطاط والشاى ـ القطن والسجاد ـ فول سودانى ـ زيت نخيل ـ فواكه ـ سمسم ـ اللحوم ـ ماس ـ قمح ـ فوسفات ـ حديد خام ـ اسمدة ـ ذهب ـ منجنيز ـ يورانيوم ـ غاز طبيعى ـ اخشاب ـ توابل ـ الكاكاو ـ المنسوجات . . .

كما تقوم دول العالم بإستيراد بعض المواد الأساسية : مواد غذائية ـ منسوجات ـ وآلات ـ وسائل نقل ـ وقود ـ قمح ـ مطاط ـ آلات وأجهزة كهربية ـ كيماويات ـ منتجات بترولية ـ اطارات ـ سكر ـ ملابس جاهزة ـ مواد غذائية ومنتجات ألبان ـ سلع معدنية ـ ملح ـ أرز ـ ملابس قطنية ـ زيوت ـ لحوم ـ فواكه[1].

ويبلغ إجمالى صادرات العالم الإسلامى إلى دول العالم (أى تصدير منتجاته إلى دول العالم الإسلامى وغيره) : ٦٧٩ر١٦٤ بليون دولار امريكى. ويبلغ إجمالى واردات العالم الإسلامى ـ أى ما يستورده ـ من سائر دول العالم من مواد : ٠١٠ر١٦٨ بليون دولار أمريكى .

ونلاحظ أن المواد الأولية تصدر من دول العالم الإسلامى ـ لتعاد مرة

---

(١) انظر كتاب العالم الإسلامى اليوم ـ د/ عادل طه يونس ـ ط مكتبة ابن سيناء ص١٥٨ ومابعدها بتصرف شديد ، نقلا عن جريدة «المسلمون» التى لخصت التقرير السنوى حول التجارة بين البلدان الإسلامية ـ إعداد المركز الإسلامى للتنمية التجارية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى .

أخرى مصنعة فى صورة آلات وأجهزة - ومعلبات لمواد غذائية يتم استيرادها
وعموماً فإن هذا يرجع إلى عدم تطور الصناعة واستخدام التكنولوجيا فى
المجال الصناعى .

تعليق وتعقيب

على ضوء ما سبق عرضه من موارد العالم الإسلامى ومصادر الطاقة والثروة فيه والأسس التى تقوم عليها الصناعةبما فى ذلك رأس المال المتوزع هنا وهناك بكميات يمكن القول بأنه يمكن أن تقوم وحدة إقتصادية هائلة ، كما تقوم نهضة واسعة شاملة . . ولكن متى يتحقق ذلك؟

يمكن ان يتحقق ذلك لو أمكن التخلص من التبعية الفكرية ، وإذا وظفت رؤوس الأموال فى أمصار وبلاد المسلمين ، وأخلص المخططون نواياهم ، واستوردت بلاد العالم الإسلامى من بعضها ما تحتاجه وعندئذ تكون الصورة العامة مال المسلمين لهم، وكذلك إذا تعاونت البلاد فى إنشاء الصناعات الضرورية التى تستطيع بها أن تتطور ويستغنى عن كل ما تحتاجه من خارج العالم الإسلامى . . ولكن أهم ثغرة فى عالم التبعية الفكرية القائمة بركون بعض أبناء العالم الإسلامى إلى ركب الدول الرأسمالية ، وركون البعض الآخر إلى ركب الدول الشيوعية طوعاً أو كرهاً ، ولعل السبب فى تلك التبعية هو عدم الثقة في النفس الناشئ من التخلى عن معالم الدين والعقيدة بدعوى التحرر والتطور .

إن التخلى عن تطبيق ما شرعه الله إقتصادياً جعل الوهن والفرقة تدب إلى النفوس فضعفت الصفوف وتفرق الجمع وتبعت الفرق الرأسمالية أو الشيوعية ، وتناست تلك الأقطار ما تكنه تلك الدول الأجنبية من كراهية للإسلام والمسلمين وتبغى نهب ثرواتهم والحيلولة بين تلك الكنوز وبين إنتفاع المسلمين بها ، لأنهم ـ أى المسلمون ـ لو أحسنوا إستغلالها لما سادتهم فى العالم قوة ولأصبحوا مصدر خطر وقلق للعالم الغربى كما عبر عن ذلك صاحب كتاب الإسلام قوة الغد العالمية« باول شمتز » وكما أكد نفس المعنى كتاب : الإسلام

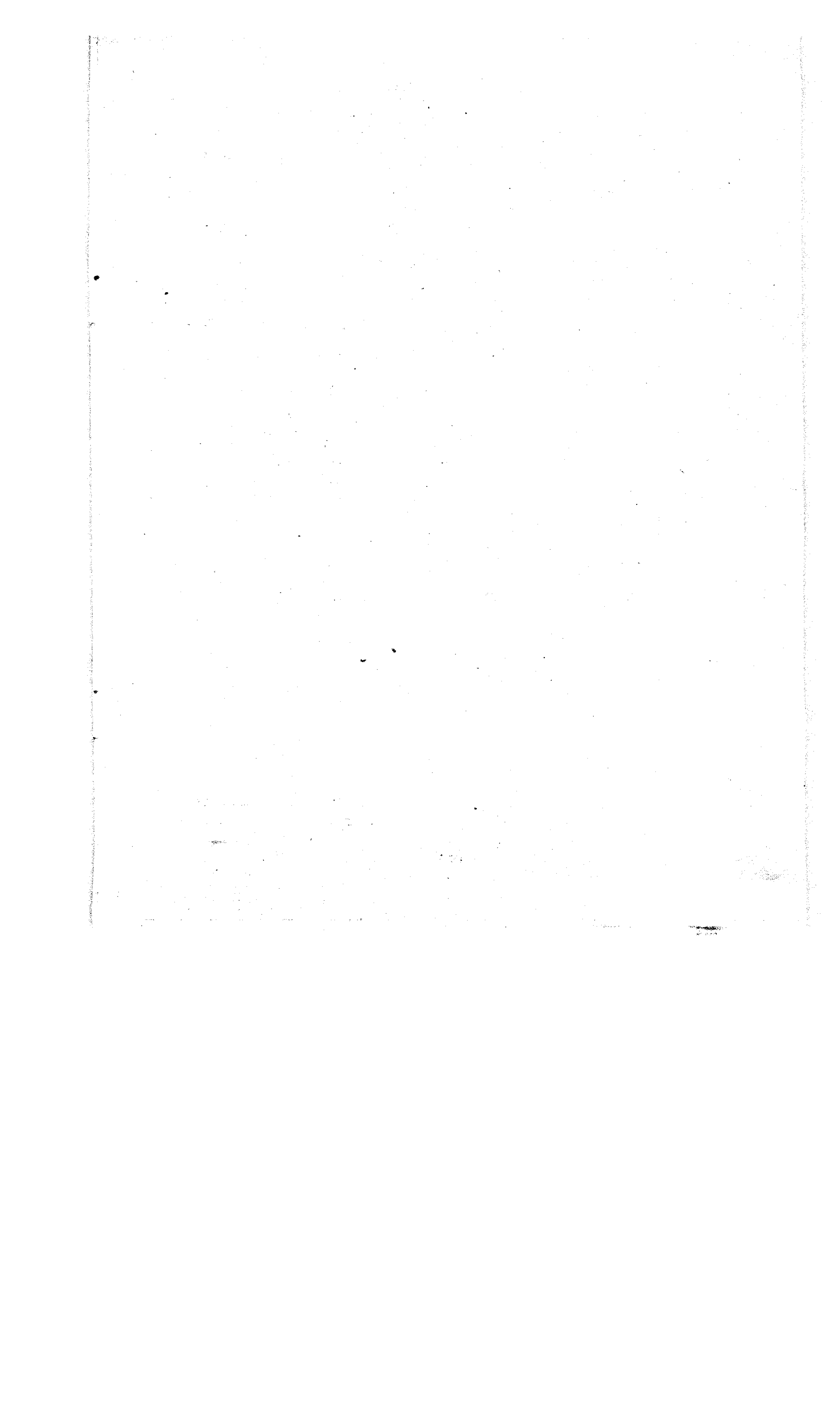
قوة عالمية متحركة ـ وتناول الكاتبان ثروات الإسلام والمسلمين محذرين دول الغرب من قوة الإسلام والحيلولة بين المسلمين فى بلادهم وبين استغلال الثروات الممنوحة لهم فى باطن أرض بلادهم .. وعلى أساس هذا والعقدة الصليبية القديمة كانت علاقة الغرب بالعالم الإسلامى فى كل المجالات.

ولو تحققت الوحدة الإقتصادية لاستغنى المسلمون عن الغرب كله .. ولكنها الحقيقة المرة فى الفرقة والخلاف. التى أدت إلى إحتياج المسلمين إلى مساعدة الغرب والإستعانة به مع أن الله قد زودهم بالخيرات وأمدهم بنعمه وآلائه فجعل الأمة غثاء كغثاء السيل كثرة عددية وزيادة في الكم ، وهوان وضعف وقلة فى الكيف .

ولكن هل هناك أمل فى العودة إلى القوة المبنية على رابطة العقيدة وأساس الدين؟

والجواب قد يكون بالإيجاب فى حالة توطيد ربطة العقيدة واللجوء إلى حظيرة الدين والتخلى عن الهوى والميل الشخصى والشعور الحقيقى بالوحدة العضوية للأمة الإسلامية والإحساس بآلام الآخرين والسعى الحثيث للتخفيف عنهم من منطلق الدين وبدافع الإيمان . ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾[1].

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠١ .



الفصل الثالث

دعائم حفظ قوة المسلمين وصيانتها

المبحث الأول

(الجهاد وأخلاقيات المقاتل)

بعد أن بينا محاور بناء المجتمع المسلم على أساس قوى وبنيان متين ، فإن الإسلام قد وضع تشريع الجهاد لحفظه إذ أن الحرب فى الإسلام لم تكن للعدوان أو السلب أو النهب طمعاً فيما يملكه الآخرون .. وإنما تكون احياناً ضرورة إجتماعية تلجأ إليها الجماعات البشرية لحل بعض المشاكل الإجتماعية التى تستعصى على الحلول السلمية ، فالجماعات البشرية إندفعت فى التناحر لا لمجرد استيفاء اغراضها المادية فحسب ولكن لحاجتها الادبية أيضاً ، فلولا الحروب التى ثارت بين الجماعات لتعطل تقدمها فى طريق العمران والمدنية .

والإسلام أقر الحرب على انها وسيلة لحل بعض المشاكل الإجتماعية فى وقت كانت القوة الغاشمة هى العائق الوحيد الذى يقع امام دعوة الحق .

«والقتال إما للدفاع عن النفس ، أو فى سبيل الله حيث أن الامة الإسلامية مكلفة بتحقيق العدالة في الأرض»[1] .. ولكنها ليست لقهر أو لظلم أو عدوان والله تعالى يقول : ﴿ ولولا دفع الله .. الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[2] وقال : ﴿اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير * الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لهدمت صوامع وبيع وصلوت ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ﴾[3] وعند الغزو والحرب والمسلم لا يتخلى عن

---

(١) روح الدين الإسلامى - عفيف طباره - ص٣٨٩.

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥١.

(٣) سورة الحج : الآية ٤.

اخلاقه التى تعلمها من دينه فهو لا يقاتل لتدمير ولابادة وإنما ليمهد الطريق لوصول الحق إلى أهله ومن النصائح الغالية التى كان يوصى بها رسول الله ﷺ عند الغزو فمن ذلك ما رواه الامام مسلم عن سليمان بن بريده عن ابيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر اميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : «اغزوا بإسم الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو «خلال» فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام فإن اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين واخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة أو الفئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . . .»(1) ونلاحظ أن القتال جاء بعد استنفاذ كل الأساليب ، ومن ذلك أيضاً ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : وجدت امرأة مقتولة فى بعض تلك المغازى ، فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان »(2) ، وهذه ليست مجرد وصايا نظرية والفتوح الإسلامية خير شاهد على ذلك ، واعلى الإسلام غاية القتال وجعلها خالصة لله تعالى فلا يرتكب ما لا يرضيه فيه ، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله : فقال عليه الصلاة والسلام:

---

(1) رواه مسلم عن بريده - كتاب الجهاد والسير باب تأمير الامراء - جـ٤ ص٣٣١ ط الشعب.

(2) رواه مسلم عن عمر الباب الجهاد والسيرة باب تحريم قتل النساء جـ٤ ص٣٤٢.

«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[1] ولم تكن الفتوح الإسلامية اكراهاً على دخول الإسلام أو لنشره بالقوة فهذه دعوى مردود عليها، وفى ذلك يقول «جوستاف لوبون - وهو لا يمت للإسلام بصلة .. «سيرى القارئ حين نبحث فى فتوح العرب وأسباب إنتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملاً فى إنتشار القرآن وإن العرب تركوا المغلوبين احراراً فى اديانهم، فإذا حدث ان انتحل بعض الشعوب النصرانية واتخذ العربية لغة، فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس عهد بمثله، ولما عليه الإسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى»[2] وقال «ميشور» «إن الإسلام الذى أمر بالجهاد متسامح نحو اتباع الأديان الأخرى وقد أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب وقد حرم قتل الرهبان على الخصوص لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها»[3] ... فإن المقاتل الإسلامى يدفعه الإيمان بالله، يقاتل فى سبيل الله، يقاتل الذين يقاتلون ولا يتعرض بالأذى لغيرهم متسامح مع قوته - مع من يغلبهم وينتصر عليهم ... وهذه الروح لا توجد فى أرقى الدول حضارة - أين هذه الأخلاق الإسلامية القتالية من أخلاق الأمم الأخرى التى تتعدى قوات الجيش النظامية لتصوب ضرباتها إلى العزل من المدنيين؟! حقا أنها سمة فى الإسلام تميزه عن غيره، حيث إن الهدف من تشريع الجهاد والأمر بالقتال كان لغرض بين واضح هو إحقاق الحق وازهاق الباطل والتمكين للأمة الإسلامية لتقوم برسالتها العالمية، فأهدافه منحصرة فى :

---

(١) رواه مسلم عن أبى موسى باب الجهاد والسير من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو سبيل الله جـ٤ ص٥٦٧ ط الشعب.

(٢، ٣) انظر روح الدين الإسلامى ص٤١٠.

١ ـ نشر الدعوة وإيصال نور الحق إلى كل مكان.

٢ ـ حفظ الأمن والاستقرار للمسلمين فى الأزمنة التى يسود فيها منطق القوة .

٣ ـ تخويف أعداء الله الظاهرين والمستورين وإرهاب المتآمرين على الدعوة والإسلام والمسلمين .

٤ ـ التمكين للمسلمين فى الأرض وإقامة الدين والانتفاع بما أنعم الله عليهم به من ثروات ومصادر رزق طبيعية والاستغناء بها عن الغير لأن عدم إكتفاء المسلمين يجعلهم مقهورين لغيرهم ممن يتحكمون فى مصيرهم عن طريق التحكم فى لقمة العيش.

٥ ـ والغاية الكبرى من الجهاد أن تكون كلمة الله هى العليا فهى تتوج كل أعمال الجهاد واتقاء الفتنة فى الدين.

ويوم أن تكاسل المسلمون عن الجهاد وإعداد القوة طمع فيهم إعدادهم ونالوا منهم وتحكموا فى مصائرهم ونهبوا ثرواتهم وأكلوا خيراتهم ـ لكن لابد للحق من قوة تسانده وتعلى رايته وتعلن وجوده ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾.

المبحث الثانى

تشريع الحدود والتعزيزات لردع المخالفين

وضع الإسلام الحدود ، والتعزيرات[١] فى المجتمع حفظا له من السلبيات التي ينجرف إليها بعض الأفراد بتزيين الشيطان لها وتهوينها عليهم فيقترفونها فهى قانون العقوبات الإسلامى ، والجرائم فى عرف الشريعة الإسلامية هى محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير[٢]، إما إتيان فعل منهى عنه أو ترك فعل مأمور به ، «وقد شرع الله العقاب فى الجريمة لمنع الناس من اقترافها ، «والشريعة الإسلامية تتفق مع القوانين الوضعية فى أن الغرض من تقرير الجرائم والعقاب عليها هو حفظ مصلحة الجماعة»[٣]والله يقول :﴿ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون﴾[٤] ويقول ابن كثير : «يقول تعالى وفى شرع القصاص لكم وهو قتل القاتل حكمة عظيمة وهى بقاء المهج وصونها لأنه إذا علم القاتل أنه يقتل زائده انكف عن ضنعه فكان ذلك حياة لنفوس ، وفى الكتب القديمة القتل أنفى للقتل فجاءت هذه العبارة فى القرآن افصح وأبلغ وأوجز»[٥] وهكذا كل حد فيه نفى لما شرع فيه فالقصاص فى القتل انفى للقتل ، وحد هتك العرض والزنا الرجم حتى الموت للمحصن، أو الجلد مائة جلدة وتغريب عام لغير المحصن فيه تطهير للمجتمع من الفاحشة ، بل وحد الاعتداء على العرض بالقول والاتهام بالزنا بدون

---

(١) فكرة المبحث: كتاب روح الدين الإسلامى - عفيف طباره - وكتاب الدين الإسلامى.

(٢) الحد هو عقوبة قررها الله تعالى على ذنب من الذنوب ، أما التعزير عقوبة الحد وهو تأديب بما يراه الحاكم دون الحد.

(٣) روح الدين الإسلامى ص٤١٥.

(٤) سورة البقرة : الآية ١٧٩.

(٥) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢١.

شهود عدول أي حد القذف الجلد ثمانين جلدة، قال تعالى : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فأجلدوهم ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفسقون﴾[1] وقد بينت السنة أنه لا فرق بين الرجال والنساء فى القذف كما بينت الشروط اللازمة لإقامة حد القذف من عقل وحرية إلى آخر ما هو مبين فى كتب الفقه . . .»[2] وعقوبة اللواط كعقوبة الزنا كما ذهب بعض العلماء وعقوبة السارق قطع اليد بالشروط المذكورة فى كتب الفقه أيضا ، وأما عقوبة شارب الخمر أربعون جلدة وقيل ثمانون[3] ـ وهو اعتداء على العقل يحول الإنسان إلى حيوان يهزى ويوقع العداوه والبغضاء فى المجتمع مما يؤدى إلى تفتيت وحدته وتوهين صلاته ، كما شرع حد قطع الطريق حفاظا على أمن المجتمع ـ وقطاع الطرق هم العصابات المسلحة التى تتربص بالمارة ليلا أو نهارا أو تعمل فيهم القتل أو السلب قال تعالى : ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾[4] فحكم الشريعة فيهم ينحصر فيما يلى :

أولا : الاعدام إن ثبت أنهم ارتكبوا القتل .

ثانيا : الصلب مع القتل إن قتلوا وسلبوا الأموال على خلاف بين الأئمة فى الصلب .

---

(١) سورة النور : الآية ٤ .

(٢) روح الدين الإسلامى ـ عفيف طباره ـ ص٤٢١ .

(٣) بداية المجتهد جـ٢ ص٥٧٤ .

(٤) سورة المائدة : الآيات ٣٣ ، ٣٤ .

ثالثا : قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف «اليد اليمنى والرجل اليسرى» إن اقتصروا على سلب المال دون سفك الدماء .

رابعا : النفى إن استعملوا الارهاب ولم يقتلوا أو يسلبوا وقد فسر النفى بعض الأئمة بالحبس ، وقد استثنى الله من تابوا من قبل أن يتمكن الحاكم منهم فهؤلاء تسقط عنهم العقوبة ولكن تبقى عليهم حقوق العباد»[1] هذا كله حفظا على أمن المجتمع واستوائه ككل وعلى سلوك الأفراد وكيانهم.

(١) روح الدين الإسلام ـ عفيف طباره ـ ص٤٢ .

المبحث الثالث

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وصيانة البناء الاجتماعى

لأن الإسلام يربى المسلم على الإيجابية وعدم السلبية فقد تميز البناء الإسلامى للمجتمع بسمة تعتبر أساسا فى تكوينه ، وعنصرا من أهم عناصر بقائه واستمراره كنموذج عملى وواقعى لتعاليم الإسلام ، إن هذا الأساس الذى نقصده هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولقد تميزت به الأمة الإسلامية ، فقد قال الله تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1] وقال أيضا : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ومنهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾[2] ، وقال : ﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين﴾[3] فهذه الآيات الكريمة متقاربة الذكر وقد رتب الله فيها الفلاح والصلاح على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن صلاح والجماعات وفلاحهم لا يتحقق إلا إذا قام كل بواجبه فى الدعوة إلى الخير والنهى عن الشرور والآثام ، وهذا كله على أساس العقيدة السلمية مع الإيمان بالله تعالى .

والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف تعنى اتباع القرآن والسنة ، والتزام ما

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١١٤ .

أنزل الله على رسوله ﷺ والتخلق بأخلاقه والعمل بمقتضيات الإيمان والعقيدة السليمة ، وتعنى كذلك إقامة شرع الله تعالى وتطبيق أحكامه لأن فى ذلك التقدم والرقى وتوفير الحياة الطيبة الآمنة المترتبة على اتباع ما أنزل الله من الهدى والدين ﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ [1] والحياة الآمنة ، والمجتمع المتماسك القوى هو القائم على أساس الدين والعقيدة والمجتمع الشقى المنهار هو المعرض عن هدى الله التارك لدينه ، المهمل لقرآنه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو التتبع الدائم لكل السلبيات الاجتماعية لعلاجها والتصدى لها واصلاحها ، وهو الاعادة للسلوك الاجتماعى إلى منهج الدين وأسس الشريعة إذا انحرف عنها ، وإن أى خطأ إذا بدأ فى المجتمع كان صغيرا يمكن علاجه وإصلاحه بيسر وسهولة ، أما إذا أهمل وترك وقوبل بسلبية ولا مبالاة فإنه سيكبر ويستفحل ويصعب تقويمه وعلاجه ، وبسيادة الاهمال واللامبالاة فى سلوك المجتمعات ، وبعدم اهتمام المسلمين بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تتوالى الأخطاء وتكبر إلى أن تصير ظواهر اجتماعية منحرفة عن الشريعة فنشاهد المنكرات وقد صارت معروفا ، والمعروف وقد صار منكراً ، وتبدو تعاليم الإسلام غريبة فى المجتمع المسلم كما قال رسول الله ﷺ «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء» [2] كان الإسلام غريبا فى بدايته لأنه جاء بما يخالف ما عليه المجتمع المشرك من انحرافات اجتماعية وأخلاقية ، ثم ساد الإسلام وأتم الله النعمة على عبادة بإكماله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى

---

(١) سورة طه : من الآية ١٢٣ ـ ١٢٦ .

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة ـ كتاب الإيمان.

ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[١] وبه قوى المجتمع وساد وانتشر نور الإسلام فى البقاع وشاع نوره وذاع وسرى الهدى إلى القلوب والأرواح مما قوم الأجساد والأعضاء فصلح المسلمون ظاهراً وباطناً . . .

كان ذلك عند التزام المسلمين بتعاليم دينهم وصفت أرواحهم بارتباطهم بربهم . . . ولكن لما تخلوا عن ذلك ، وتركت المعاصى تكبر والمنكرات تنتشر وانقلبت الآية عاد الإسلام غريبا كما بدأ وصار الداعون إلى الخير الناصحون الأمناء غرباء بين الناس يتهمون بما ليس فيهم وينسب إليهم ما هم منه برءاء من الأخطاء.

وغربة الإسلام «لا تكون إلا بفقد الأهل أو قتلتهم وذلك حين يصير المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، وتصير السنة بدعة ، والبدعة سنة ، فيقام على أهل السنة بالتثريب والتعنيف كما كان يقام أولاً على أهل البدعة طمعا من المبتدع أن تجتمع كلمة الضلال . . . ويأبى الله أن تجتمع بل لابد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتى أمر الله . . .»[٢].

ولما كان ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مدعاة إلى انتشار المعاصى والشرور وشيوع الجرائم والمخاوف ، وقلب الأمور لغياب منهج الله وسنة النبى ﷺ عن المجتمع ، فإن ذلك استنزال لعذاب الله ونقمته على تلك المجتمعات ، فيحدثنا القرآن عن لعنة بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم لإهمالهم المنكرات حتى انتشرت وسادت وغيرت معالم والفضيلة ، فقال تعالى : ﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم

---

(١) سورة المائدة : من الآية ٣.

(٢) الاعتصام للشاطبى - جزء أول - ص٢٠ ط المكتبة التجارية الكبرى .

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[1] ويقول الرسول ﷺ : «يا أيها الناس لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»[2] وفى رواية أخرى : «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[3] والمعنى تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . . . فأية لعنة وأى غضب هذا الذى يصيب المجتمعات ويلحق بالأمة إذا هى أهملت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ !

لعنة فى الآخرة ، وضيق عيش فى الدنيا ، وغربة للإسلام وأهله ، وسقوط هيبة العلماء من قلب الأشرار ، رد دعاء الداعين وعدم قبوله ، هذا كله لتقاعس علماء الأمة عن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر.

دليل صيانة المجتمعات الإسلامية : إذا كانت الشركات التى تنتج آلات أو «ماكينات» تضع دليلا لصيانة الآلة والمحافظة عليها من التلف ، وتتبع ارشادات هذا الدليل للإبقاء على الآلة سليمة وقوية ـ فإن واضع هذا الدليل «الكتالوج» هو المهندس أو المهندسين الذى اخترعوا الآلة وصمموها ويعلمون تماما ما يصلحها ويحفظها ـ ولله المثل الأعلى ـ فإن صانع الإنسان ويعلم تركيبه ومكوناته هو الله ، وصانع المجتمعات بكل عناصرها البشرية والبيئية هو الله ، فالذى يعلم ما يصلح هذه المجتمعات ويصونها ويحفظها قوية متماسكة لتتحقق فيها الأمة الواحدة القوية التى تملك زمام أمرها ، وتطيع أمر ربها ـ ولذا فإن دليل حفظ المجتمعات وصيانتها إنما هو منهج الله وشرعه الذى

---

(١) سورة المائدة : الآيات ٧٨ ، ٧٩.

(٢) خرجه الغزالى فى الأحياء عن أحمد والبيهقى وابن ماجة.

(٣) أخرجه الغزالى فى الأحياء عن الترميذى وحسنة.

أنزله وأمر باتباعه ، والسير على مبادئ الإسلام عقيدة وشريعة ، ومخالفته سير فى طريق الضياع والضعف والهوان والذل ، لأن تلك المخالفة للشرع تخل وبعد عن سبل العزة والقوة ، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ وفتح لباب الشيطان وعمله واتباعه مانساهم أنفسهم.

تمكين الله للأمة الإسلامية فى الأرض بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

ولأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر علاج دائم وصيانة متصلة للمجتمع بكل طبقاته ، وتتبع لأدواته وتقديم الدواء لها من شرع الله ، فإن الله تعالى يمكن للأمة فى الأرض إذا هى التزمت ذلك وما يفيض الله به على عباده من النعم ، ومن النصر والمكنه فى الأرض يكون شكره بالحفاظ على دين الله سبب النصر والقوة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سبيل إلى ذلك ، سبيل لإقامة الدين وجلب لرضا الله تعالى ، وحبه المستوجب نزول البركة فى كل شئ ، والأمن من كل مخافة ، ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[1] . . . ولقوله تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[2] ويروى القرطبى قول الضحاك فى المقصودين بهذا الوصف فيقول : «وقال الضحاك هو شرط شرطه الله[3] عز وجل على من آتاه الملك ، وهذا حسن ، قال سهل بن عبد الله : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على السلطان وعلى العلماء

(١) سورة الأنعام : الآية ٨٢.

(٢) سورة الحج : الآية ٤٠ ـ ٤١.

(٣) أى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

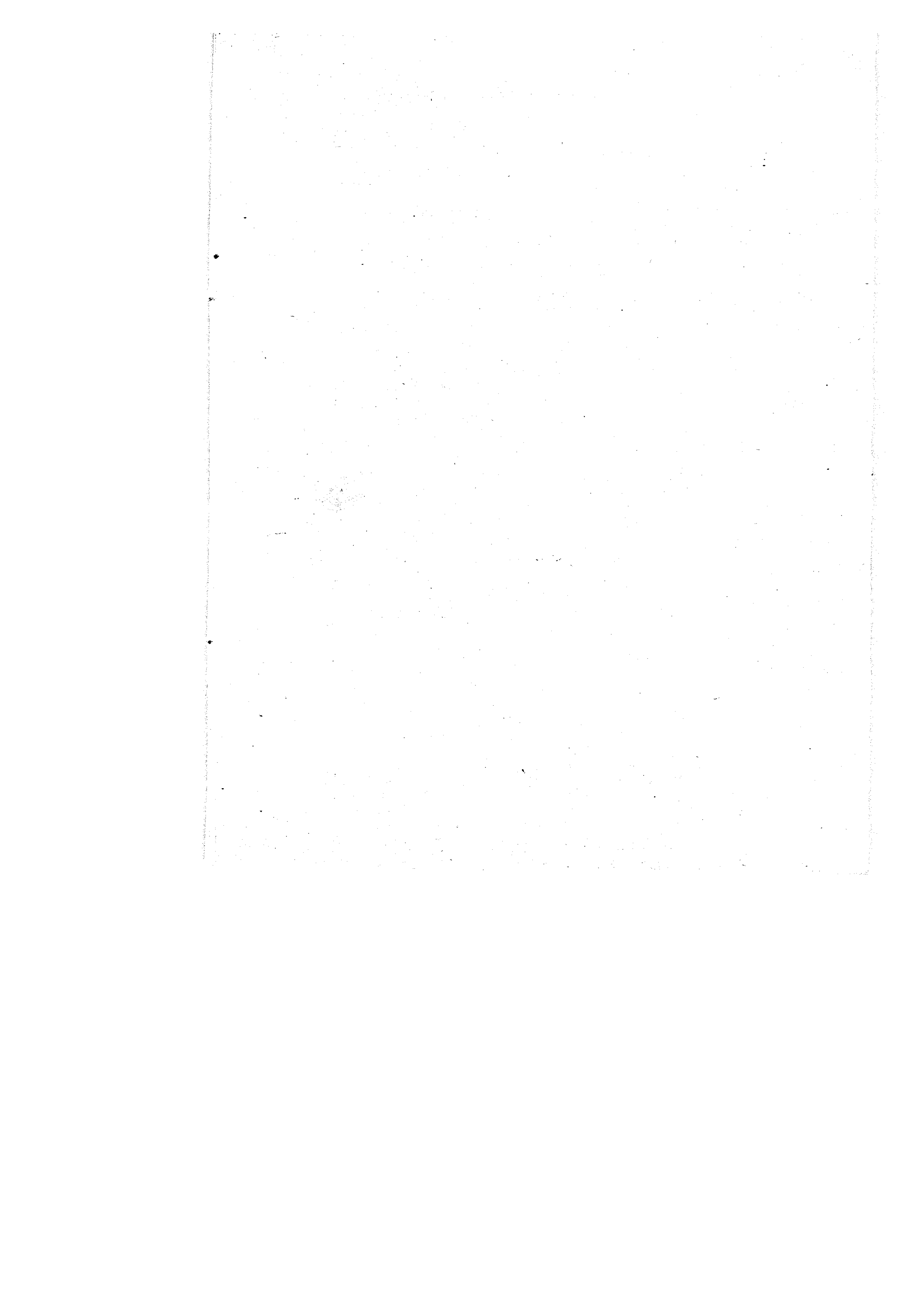
الذين يأتونه، وليس على الناس أن يأمروا السلطان لأن ذلك لازم له واجب عليه ، ولا يأمروا العلماء فإن الحجة قد وجبت عليهم»[1] والمراد هذه الأمة إذا فتح الله عليها أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ونهوا عن المنكر - فالدولة تظل قوية وقائمة بالدعوة والالتزام بتعاليم الدين وتزول عند تخليها عنه والتهاون فى أمره ، وإذا كانت القوة والتمكين فى الأرض تدوم وتبقى بدوام الأمر بالمعروف عن المنكر ، فإن الضعف والهوان والذل يقع بترك ذلك ، وما نلمسه من الواقع المعاصر فى العالم الإسلامى ، من تداعى الأمم علينا كما تتداعى على قصعتهم ، وتحكمهم فى مصائر المسلمين سياسيا واقتصاديا خير شاهد على ما نقول فإن المسلمين اهملوا النصح والدعوة إلى الخير على المستوى المحلى والدولى فمكن للشيطان فى نفوس القادة فتصلبوا وعاندوا واعتدوا على إخوانهم فى الإسلام فنهبوا الأموال وخربوا الديار ففتح ذلك الباب أمام دعاة الحماية من غير المسلمون ليردوا ظلم الظالم عن إخوانه ... فيا للهوان والضياع الأمة الإسلامية التى تخلفت عن معالم دينها فنزع الله مهابتها من القلوب فملك الغير رقاب أبنائها وما حرب الخليج عنا ببعيد : العراق وإيران ، ثم العراق مع الكويت ...

أسلموا غربهم وغربنا إسلامنا :

ولعل تساؤلا يرد على القلب : إذا كان الإسلام يدعو إلى القوة والتماسك وبالتالى إلى التقدم والرفاهية فى إطار العقيدة الصحيحة والعمل الصالح ، فلماذا نرى أغلب - إن لم يكن - كل دول العالم الإسلامى فى حالة من التخلف والتبعية والضياع ، وكلها من دول العالم الثالث أو الدول النامية وبعبارة منصفه دول متخلفة بينما نرى الدول الغربية غير المسلمة متقدمة

(١) تفسير القرطبى جـ٧ ط الريان ص٤٤٦٥.

حضاريا وماديا وتكنولوجيا وتقود العالم وتتبعها أغلب دول العالم الإسلامى تبعية فى كل شئ وتلك الدول الكبرى غير المسلمة تتحكم فى سياسات العالم - فلها القيادة والسيادة ... فماذا يعنى هذا ؟ وهل يعنى أن الإسلام لا يقيم دولة متقدمة ؟ نقول : إن الإسلام أرسى قواعد العقيدة فى النفوس فارتقى بها الوجدان ، ودعا إلى العمل الصالح فى مجالات العبادة والمعاملات ودعا إلى الأخذ بأسباب القوة من السعى للعمل والرزق وعمارة الأرض ، وإتقان العمل وغير ذلك - أخذ الغرب عنه حضارة ذلك وأخذوا بأسباب القوة والتقدم وأمعنوا فى ذلك وتقدموا فيه ، بينما أهملوا جانب العقيدة والعبادة - وفعل المسلمون العكس وكان التقدم الروحى فى العالم الإسلامى أكبر من التقدم المادى ، فما فيه الغرب الآن من تقدم إنما هو من ثمار حضارة الإسلام التى أشرقت على بلادهم فى الفتوحات - إلا أنهم نسبوه إلى أنفسهم وحضارتهم فأسلموا غربهم وغربنا إسلامنا ، أى أخذوا الجوانب المادية من الإسلام وطبقوها فى كل مجالات الحياة عندهم وتركوا الجانب الروحى من العقيدة والعبادة ، بينما ثبت المسلمون على الجانب الروحى فى العقيدة والعبادات واهملوا الجانب المادى الملموس فى واقع الحياة تحت دعوى الزهد والرضا وغير ذلك من الأخلاق التى فهمت بطريق غير صحيح فالزهد مثلا يدعو إلى عدم التطلع إلى ما فى أيدى الناس والرضا بعطاء الله بعد بذل الجهد والأخذ بجميع الأسباب - وليس معناه التجمد والكسل وترك السعى زهدا أو رضا ، فالفرق واضح بين التواكل والتوكل.



الباب الثاني

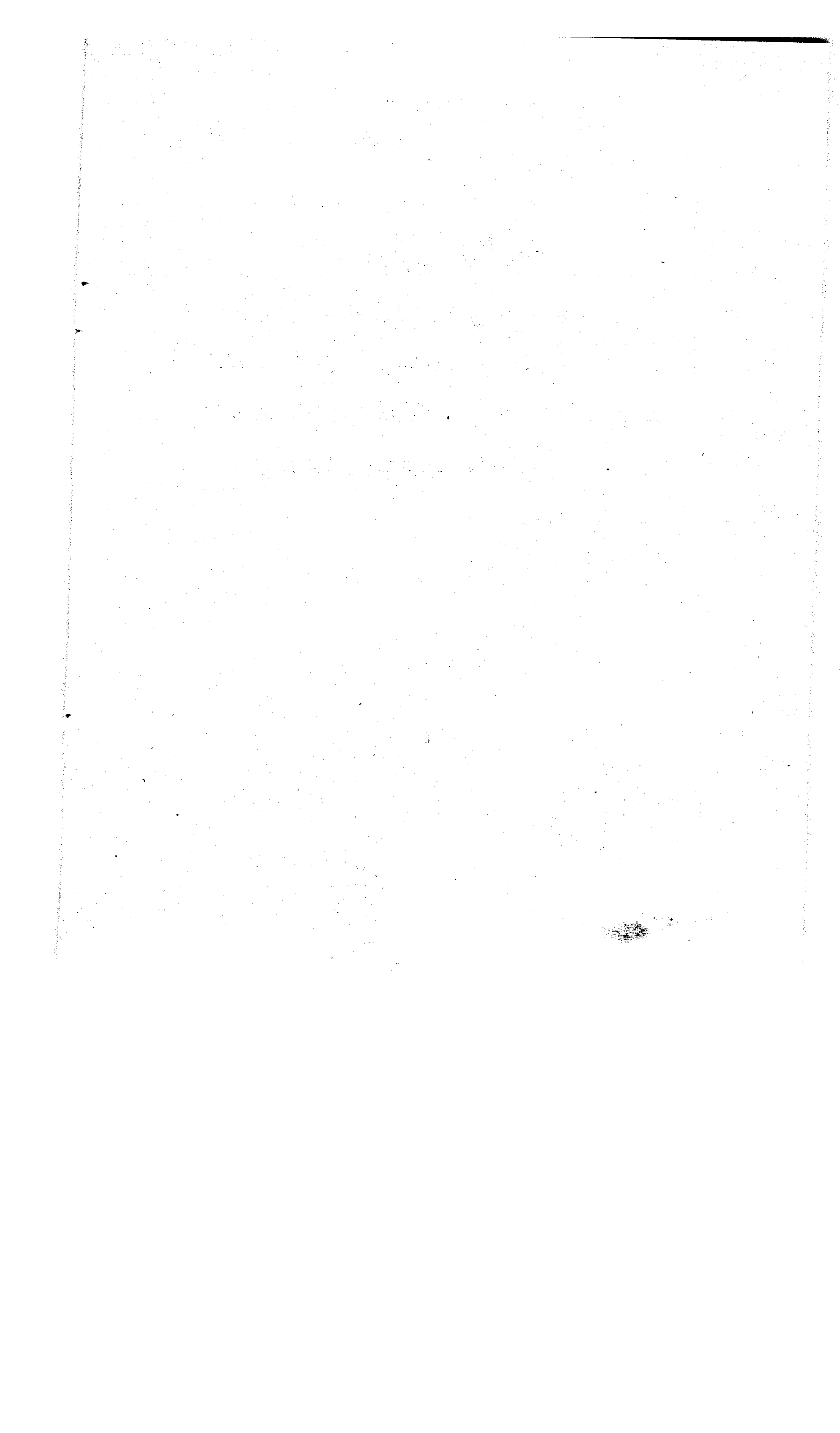
العالم الإسلامي سياسيا

الفصل الأول : المسلمون فى العالم.

الفصل الثانى : نظرة الغرب إلى العالم الإسلامى.

الفصل الثالث : مشكلات وتحديات ...

وحلول ومواجهات.



الفصل الأول
المسلمون في العالم

١ ـ الوجود الإسلامى فى العالم.

٢ ـ الإسلام والأديان الأخرى.

٣ ـ اللغة العربية بين اللغات الأخرى.

المبحث الأول

الوجود الإسلامى فى العالم

سبق أن بينا أن أطراف العالم الإسلامى تمتد شرقا وغربا ، ويعم نور الإسلام كل مكان ، ويغمر القلوب فى شتى الأماكن والبقاع إذ أنه دين الفطرة والعقل تحيا به القلوب وتنفتح له العقول فتسمو به النفوس وتتقدم الأمم وآيات الله تتردد فى كل الأمصار والأقطار .

وأن أقطار العالم الإسلامى تقع فى ثلاث كتل عمرانية كبرى ووسطى وصغرى تشمل أجزاء من إفريقيا وآسيا غير قليلة ، وأن من هذه الكتل منها ما هو متصل البنيان ومنها ما هو غير متصل(١).

وهذا العالم الإسلامى يقع فى نطاقات عظيمة وهى إن كانت غير متصلة فى بعض أجزائها إلا أنها تمتد من ساحل أفريقية الشمالية المطل على المحيط الأطلسى غربا إلى أقصى الجزر الأندونيسية المطلة على المحيط الهادى شرقا ، ومن خط طول ١٠° جنوب خط الاستواء إلى خط عرض ٥٥° شمالا كما أنه يمتد بالنسبة لخطوط العرض أكثر من ٦٥° درجة عرضية ، وقد ترتب على هذا الإمتداد كما تبين من قبل تنوع الأقاليم المناخية والنباتية المختلفة من الإقليم الإستوائى إلى الإقليم المدارى إلى الصحراوى إلى إقليم البحر المتوسط ثم إلى المعتدل ، وهذا بدوره أدى إلى تنوع الحاصلات الزراعية والثروة الحيوانية فى أجزاء العالم الإسلامى المختلفة .

كما أن موقع العالم الإسلامى يتميز بأنه يطل على منافذ بحرية عديدة ومع أنه توجد بعض الدول داخلية الموقع ولا تطل على أى بحار مثل أفغنستان

(١) انظر مبحث العالم الإسلامى جغرافيا.

فى آسيا ، وتشاد النيجر فى أفريقيا إلا أنه لا توجد منطقة فى العالم تطل على هذه لمنافذ البحرية والتى تمثل أهم طرق المواصلات [١].

١ - المعايير المتبعة لتحديد الدول الإسلامية [٢]: للوجود الإسلامى فى العالم المعاصر شكلان : مسلمون ينتظمون فى كيانات سياسية (دول) للإسلام دور فى تنظمها ، أو مسلمون يعيشون كأقليات فى مجتمعات غير إسلامية بحيث لا يؤثر إسلامهم ولا ينعكس على الكيان السياسى للدول التى يتبعونها ، فهم مجتمع صغير غير مؤثر فى الأقاليم والدول التى يعيشون فيها ، ولكن هناك معايير تتبع لتحديد الدول الإسلامية وتميزها عن غيرها ، ومن أبرز هذه المعايير :

أ - المعيار العددى : ويأخذ به عدد من الباحثين ، وعلى أساسه تعتبر الدولة التى يزيد فيها نسبة المسلمون عن ٥٠ ٪ من مجموع سكانها دولة إسلامية ، سواء نص دستورها على أن الإسلام الدين الرسمى للدولة أم لم ينص، أما إذا لم يصل المسلمون إلى ٥٠ ٪ فيعتبرون فى هذه الدولة أقلية إسلامية حتى ولو كان حجمها كبيراً.

وبناء على هذا المعيار والنسبة فى سائر دول العالم يصل عدد الدول الإسلامية فى العالم إلى ٤٨ دولة ، منها ٢٢ دولة فى آسيا ، و ٢٥ دولة فى أفريقيا ، ودولة واحدة تقع فى أوربا هى (ألبانيا) الإسلامية وكل هذه الدول مستقلة وأعضاء فى الأمم المتحدة ماعدا فلسطين ومن هذه الدول ٤١ دولة يرأسها رؤساء يدينون بالإسلام وباقى هذه الدول وعددها ٧ دول يرأسها رؤساء

---

(١) راجع موضوع العالم الإسلامى اقتصاديا .

(٢) العالم الإسلامى اليوم ـ د/ عادل طه يونس ص١٢ ط مكتبة ابن سيناء.

لايدينــون بالإســلام مع أن المسلمــون فيها أغلبيــة وهــذه الدول هى : لبنان وغينيا بيساو، والكاميرون، وسيراليون، وبوركينا فاسو، وساحل العاج، وأثيوبيا.

كما أن هذه الدول منها ٣٠ دولة تميل إلى الشرق أو إلى الغرب ، ١٨ دولة محايدة وإن كان الأولى أن تتبع الإسلام وتلجأ إلى حظيرته .

ب - المعيار التنظيمى : والمقصود بهذا المعيار هو انتماء الدولة إلى منظمة تحمل لواء الإسلام وتدعو إليه وتعمل على وحدة الأمة الإسلامية ، ومن هذه المنظمات : منظمة المؤتمر الإسلامى وهى منظمة عالمية تكونت على أساس دعوة مخلصة من الملك فيصل بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية عليه رحمة الله ، والملك الحسن الثانى عاهل المملكة المغربية لمواجهة التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية ، وذلك بعد حريق المسجد الأقصى الذى ارتكبته القوات الإسرائيلية عام ١٩٦٩ فانبثقت منظمة المؤتمر الإسلامى التى تضم الدول الإسلامية بهدف التنسيق فى شتى المجالات بما فيه مصلحة المسلمين.

وقد عقدت خمسة مؤتمرات قمة للملوك ورؤساء الدول الإسلامية كان آخرها المؤتمر الخامس الذى عقد بالكويت فى يناير ١٩٨٧ .

والدول الأعضاء فى المؤتمر الإسلامى ٢٢ دولة آسيوية ، وكلها تتبع القسم الأول (المعيار العددى) حيث إن عدد المسلمين فى كل منها يزيد على ٥٠ ٪ من عدد السكان .

و ٢٤ دولة أفريقية ، وهى أيضا تتبع المعيار الأول ، ماعدا جابون وأوغندا ، فهما دولتان لا تصل فى أى منهما نسبة المسلمين إلى ٥٠ ٪ حيث إنها

فى الجابون ٤٠ ٪ ، وفى أوغندا ٣٥ ٪ ، ولكنهما بحكم عضويتهما فى منظمة المؤتمر الإسلامى فهما من الدول الإسلامية بهذا المعيار .

وهناك أربع دول تتبع المعيار الأول (أى تصل فيها نسبة المسلمين إلى ٥٠ ٪) إلا أنها لم تنضم لمنظمة المؤتمر الإسلامية وهذه الدول هى : تنزانيا ونسبة المسلمين فيها ٦٠ ٪ ، وأثيوبيا التى تصل النسبة فيها ٥٥ ٪ من السكان ، وساحل العاج ونسبة المسلمين فيها ٥٠ ٪ ، وألبانيا وتصل النسبة فيها ٧٠ ٪ - ويعانى المسلمون فى هذه الدول معاناة كبيرة ويتعرضون لضغوط شديدة لإبعادهم عن دينهم وعقيدتهم فهم لا يسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية نظرا للطبيعة العلمانية أو الماركسية التى يتصف بها الحكومات القائمة على هذه الدول .

جـ - المعيار الدستورى : ويقصد به الدول التى ينص دستورها على أن الدولة إسلامية ، أو أن دينها الرسمى هو الإسلام ، أو الاشتراط بأن يكون رئيس الدولة مسلما أو النص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع ، أو مصدر أساسى للتشريع فى الدولة .

ولا يخفى أن هناك فرقا بين النص الدستورى على الهوية الإسلامية وبين التطبيق العملى لمقتضيات هذا النص ، فقد يكون النص قائما والتطبيق غائبا، وقد تظهر بعض التطبيقات الإسلامية على عدم وجود نص دستورى ، وفى بعض الحالات يوجد النص والتطبيق معاً وهناك ملاحظة دقيقة بناء على التخالف بين النص والتطبيق هى أن الإحتكام إلى المعيار الدستورى لا يعبر عن العدد الفعلى للدول الإسلامية ، ولذا فإن أدق المعايير هو المعيار العددى ، يليه المعيار التنظيمى، وإن المعيار العددى يعبر بحق عن الواقع الحقيقى للوجود الإسلامى فى العالم ويعطى صورة حقيقة لوضع المسلمين عالميا من حيث العدد، أما المعيار التنظيمى فقد وجدنا أن بعض الدول إسلامية بالمعيار العددى

ولكنها ليست أعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى.

٢ ـ أنماط[1] الدول الإسلامية : يمكن تقسيم الدول الإسلامية إلى عدة أنماط أبرزها :

أ ـ دول أعلنت عن هويتها الإسلامية ، ونصت دساتيرها على أن الإسلام هى الدين الرسمى للدولة ، من هذه الدول دول عربية مثل : السعودية ـ اليمن ـ الإمارات ـ البحرية ـ قطر ـ الكويت ـ عمان ـ مصر ـ العراق . . .

ومنها دول غير عربية مثل : إيران ـ وباكستان ـ وبنجلاديش .

ب ـ دول أعلنت أنها علمانية ، ونصت على ذلك فى دساتيرها كما نصت على حرية الأديان العقيدة ، وهذه الدول مثل : تركيا ـ تنزانيا ـ تشاد ـ أندونيسيا ـ نيجيريا ـ الكاميرون ـ بوركينافاسو ـ جابون ـ غينيا بيساو.

جـ ـ دول نصت دساتيرها على حرية الأديان والعقيدة لسائر أفراد الشعب وإن لم تتنكر للأغلبية المسلمة التى يشكلها سكانها مع تطبيق بعض الأحكام الإسلامية ، وهذه الدول مثل : السودان ـ لبنان ـ غينيا ـ مالى ـ النيجر ـ السنغال ـ جامبيا ـ سيراليون ـ بنين ـ اليمن الجنوبية . . .

د ـ دول تعلن أنها مسيحية رغم أغلبية المسلمين فيها من السكان مع النص على حرية الأديان والعقيدة وتشمل ساحل العاج ، وأثيوبيا ، وأوغندا.

هـ ـ دول تعلن إلحادها وتنكرها للأديان عموما وهى ألبانيا هذا . . .

---

(١) يطلق النمط على الطريقة أو الأسلوب ، والجماعة من الناس أمرهم واحد ، كما يطلق على الصنف أو النوع أو الطراز ـ والمراد به هنا أشكال الدولة الإسلامية (انظر المعجم الوسيط جـ٢ ص٩٥٥).

وينبغى الإشارة إلى أن تغيير الدساتير أمر شائع فى دول العالم الثالث ومنها الدول الإسلامية وعادة يكون التغيير لصالح الأغلبية المسلمة عموما ، ومن أمثلة ذلك فقد كان دستور دولة الجابون وبنين ينص على أن الدولة مسيحية ولكن بعد أن شرح الله صدرى رئيسى الدولتين للإسلام[1] صدر دستوران جديدان ينصان على حرية الأديان لجميع أفراد الشعب ، ومع أنهما لم ينصا صراحة على أن الإسلام هو الدين الرسمى . . . إلا إنها خطوة واسعة لصالح المسلمين بالدولتين .

وفى جزر القمر وفور الاستقلال ١٩٧٦ صدر دستور عام ١٩٧٨ ينص على أن الإسلام دين الدولة الرسمى . . . وهكذا ينساب نور الإسلام إلى القلوب لتهتدى النفوس وتسمو الأورواح.

٣ - تضارب المصادر فى تعداد المسلمين : تختلف المصادر فى تحديد عدد المسلمين اختلافا كبيرا ، وتتباين تبيانا كثيرا وبرز هذا التضارب فى تحديد عدد المسلمين فى نوعى المصادر الغربية والإسلامية ، وهذا يرجع إلى عدم توافر الاحصائيات الدقيقة التى تحدد عدد المسلمين فى الدول المختلفة ، ولأن أغلب المسلمين يعيشون فى دول العالم الثالث حديثة الاستقلال والتى لا تتضمن احصاءات دقيقة للمسلمين إذ أن أغلب هذه الاحصاءات لا تتضمن بيانات سكانية خاصة بالمواليد والوفيات ، وأن التقديرات السكانية للكثير من الدول لا تشمل التعدادات الخاصة بالعقائد الدينية وأعداد أصحاب هذه الديانات المختلفة .

وبالاضافة إلي هذا فإن المستعمرين ومعهم بعض الحكام يحاولون التقليل من اعداد المسلمين وخاصة فى أفريقيا ويزيد من شأن البعثات التنصيرية التى

(١) أسلم الرئيس عمر بونجو عام ١٩٧٣ ، والرئيس أحمد كريكور ١٩٨٣ .

فشلت فشلا ذريعا ولم تنجح إلا فى اعطاء احصائيات مضللة عن أعداد المسلمين .

ومن الأسلوب المؤدية إلى التضارب فى تحديد المسلمين أن بعض المسلمين وهم أكثرية يضطرون اضطراراً إلى اخفاء عقائدهم لما يرونه من اضطهاد وتعذيب وتنكيل خاصة فى الحكومات المسيحية أو الماركسية التى تقر الارتداد عن الدين، وحركة الدعاية ضد الأديان .

وأخيرا فإن المسلمين يختلطون ويتداخلون فى بعض القبائل الوثنية فى عدد كبير من الدول الأفريقية وأخذ تلك الجماعات المسلمة الكثير من العادات الوثنية وسلوكهم مما يجعل تمييز المسلمين عن غيرهم بدقة غير ممكن ، فالحق بعض الباحثين عدداً من أصحاب الديانات البدائية بالمسلمين . .[1]

ومن هنا تضاربت المصادر المختلفة فى تحديد عدد المسلمين . فعلى ضوء ما سبق نستخلص صورة موجزة لواقع الوجود الإسلامى فى العالم ومكانة المسلمين بين سكان العالم[2].

---

(١) المرجع السابق ٣٠.

(٢) لتوسع فى هذا الموضوع : انظر العالم الإسلامى اليوم د/ عادل طه يونس ، السكان فى العالم الإسلامى ـ أحمد شاكر، وحاضر العالم الإسلامى ـ لوثروب / شكيب ارسلان.

المبحث الثانى

الإسلام والأديان الأخرى فى العالم

بينا فيما سبق أن المسلمين يعيشون فى أغلب بقاع العالم فى مناطق واسعة ومترامية الأطراف، وأن هؤلاء جميعاً تربط بينهم عقيدة واحدة، وإلههم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، فهناك توجه إلى معبود واحد، ولهم للأحكام مصدر واحد، وآمالهم واحدة ، ووحدة العقيدة هذه قد صنعت بينهم وحدة عضوية ورابطة وجدانية جعلت الكل يشعر بآلام الكل وأفراحهم.

ونحن الآن بصدد بيان توزيعهم على بقاع العالم.

فلنتفق أولاً على إن هناك دولاً إسلامية مستقلة تزيد فيها نسبة المسلمين عن ٥٠ ٪ ، وهناك مجموعات أخرى من المسلمين ضمن دول غير إسلامية وتقل نسبتهم عن ٥٠٪ مع ملاحظة أن هناك دولا إسلامية تزيد فيها نسبة المسلمين عن ٥٠٪ إلا أنها غير كاملة الاستقلال لخضوعها لسيطرة دولة غير إسلامية.

وكل هذا يمثل العالم الإسلامى على اعتبار أن الوحدة الفكرية الناشئة عن وضوح العقيدة والعبادة تجمع الجميع فى إطار فكرى وعقائدى واحد ولنبدأ أولاً ببيان الدول الإسلامية الواقعة فى قارات العالم، ثم بيان الأقليات المسلمة فى كل قارة على التوالى :

الدول الاسلامية الواقعة فى قارة آسيا:

	عدد السكان	نسبة المسلمين
إندونيسيا	١٣٥ مليون	١٩٪
بنجلاديش	٨٠ مليون	٨٤٪
ماليزيا	١١ر٥ مليون	٥١٪
بروفى	١٢٠ مليون	٧٦٪
باكستان	٧٨ مليون	٩٢٪
أفغانستان	٢٢ مليون	٩٩٪
إيران	٣٨ مليون	٩٨٪
تركيا	٤٢ مليون	٩٨٪
العراق	١٢ مليون	٩٤٪
سوريا	٨ مليون	٨٧٪
لبنان	٣ مليون	٥٧٪
الأردن	٢ر٢٢٥ مليون	٩١٪
السعودية	٤ر٢٠٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
الكويت	١ر٠٠٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
البحرين	٠ر٣٠٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
قطر	٠ر٢٠٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
عمان	٠ر٩٠٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
اليمن الجنوبية	١ر٨٠٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
شمال اليمن	٦ر٠٠٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
المالديف	٠ر١٤٠ر٠٠٠ مليون	١٠٠٪
فلسطين	٣ر٠٠٠ر٠٠٠ مليون	٧٠٪

تابع الدول الآسيوية الإسلامية :

	عدد السكان	نسبة المسلمين
كشمير وجمبو	٥ر٠٠٠ر٠٠٠	٨٢٪
قازاكستان	١٤ر٥٠٠ر٠٠٠	٦٨٪
اوزبكستان	١٤ر٠٠٠ر٠٠	٨٨٪
قيرغيزيا	٣ر٥٠٠ر٠٠٠	٩١٪
تركمانستان	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٩٠٪
طاجكستان	٤ر٠٠٠ر٠٠٠	٦٨٪
اذربيجان	٦ر٠٠٠ر٠٠٠	٧٨٪

إجمالى عدد المسلمين فى آسيا : ٦٠٩ر٧٦٥ مليون . ويشكل عدد المسلمين فى آسيا بالنسبة لاجمالى سكان القارة نسبة ٩١ ٪ من عدد السكان.

الدول الإسلامية الواقعة فى قارة أفريقيا :

الدولة	عدد السكان	نسبة المسلمين
مصر	٣٨	٩٢٪
السودان	١٨	٨٣٪
ليبيا	٢ر٥	٩٩٪
تونس	٦ر٣	٩٥٪
الجزائر	١٧	٩٢٪
المغرب	١٨	٩٥٪
موريتانيا	١ر٢١٥	٩٩٪
الصومال	٣	٩٩٪
جيبوتى	١٢	٩٩٪
سنقامبيا	٥ر٢٠٠	٩٢٪
مالى	٥	٩٠٪
غينيا	٤	٩٠٪
فولتا العليا	٥ر٣٠٠	٦٥٪
النيجر	٤ر٩٠٠	٩٠٪
نيجيريا	٧٠	٧٥٪
جزر القمر	٠ر٣٢٠	٩٥٪
تشاد	٤ر٢٠٠	٨٨٪
غينيا بيساو	٠ر٨٠٠ر٠٠٠	٧٥٪
الحبشة	٢٨ر٠٠٠	٦٥٪
ساحل العاج	٥ر٥٠٠	٦٠٪
سيراليون	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	٧٥٪

تابع الدول الإسلامية الواقعة فى قارة أفريقيا:

الدولة	عدد السكان	نسبة المسلمين
التوغو	٢١	٪٥٥
تبين (داهومى)	٢ر٩	٪٥٥
الكاميرون	٦	٪٥٥
إفريقيا الوسطى	١ر٥٠٠	٪٥٥
تانزانيا	١٣ر٠٠٠	٪٦٥

إجمالى عدد المسلمين فى أفريقيا : ٣٦٤ مليون يمثلون ٥٧ر٢٪ من إجمالى السكان .

عدد المسلمون فى أوروبا: لاتوجد فى أوروبا دولة إسلامية مستقلة الا ألبانيا:

البانيا	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	نسبة المسلمين ٧٠٪ من عدد السكان

وفى أوروبا بعض الجمهوريات الإسلامية التى تخضع للامبراطورية الروسية - هى فى الجزء الأوروبي من الاتحاد السوفييتى.

الدولة	عدد السكان بالمليون	النسبة
تتاريا	٣ر٥	٦٥٪
باشكيريا	٤	٦٠٪
يوردوف	١ر٢٥	٥٥٪
أمورت	١ر	٥٥٪
مارى	٠ر٧٥٠ر٠٠٠	٥٥٪
جوفاش	١ر٥٠٠ر٠٠٠	٥٥٪
القرم	٥ر٢٥	٦٠٪

إجمالى عدد مسلمى هذه الجمهوريات : ١٧ر٢٥ر٠٠٠.

ويضاف إلى هؤلاء الأقليات الأوروبية المسلمة وهم يمثلون ٢٪ من إجمالى سكان أوروبا.

ولا توجد دول إسلامية مستقلة فى الأمريكتين واستراليا وإنما يتواجد المسلمون كأقليات إسلامية فى الدول.

الأقليات الإسلامية فى العالم :

بعد أن بينا الأمصار الإسلامية المستقلة والتى يمثل فيها المسلمون أكثر من ٥٠٪ من إجمالى عدد السكان، فيما يلي تبين فى شكل إحصائى الأقليات الإسلامية التى تعيش ضمن دول ويشكلون أقل من ٥٠٪ من عدد سكان تلك الدول:

أولا : الأقليات الإسلامية في آسيا

الدولة	عدد السكان	نسبة المسلمين
الهند	٥٨٥ر٠٠٠ر٠٠	١٤٪
نيبال	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠	٣ر٨٪
بوتان	١ر٠٠٠ر٠٠٠	٥ر٪
سيلان	١٣ر٠٠٠ر٠	٨٪
بورما	٣٠ر٠٠٠	مسلمون ٢ مليون
تايلاند	٣٦ر٠٠٠ر٠٠	١٤٪
لاووس	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	خمسة آلاف مسلم
كامبوديا	٦ر٠٠٠	٢٪
فيتنام	٤٠ر٠٠٠	٣٪
سنغافورة	٢ر٠٠٠	١٧٪
الصين	٧٨٠ر٠٠٠	١٠٪
فورموزا	٢٠ر٠٠٠	أقل من ١٪
هونج كونج	٤ر٠٠٠	٤ر٪
مكاد	١ر٢	٤ر٪
منغوليا	١ر٥	١٪
كوريا	٣٥ر٠٠٠	٣٥٠٠مسلم
الفلبين	٥٠ر٠٠٠	١١٪
اليابان	عدد المسلمين	٢٠ ألفا
سيبريا	١٢ر٠٠٠	٢٥٪
أرمينيا	٢ر٠٠٠	١٢٪
جورجيا	٤ر٥	١٩٪
قبرص	٦٠٠ر٠٠٠ر٠	١ر١٩٪

ويبلغ إجمالى الأقليات فى آسيا ١٦٧,٦٥١,٠٠٠

ثانيا: الأقليات الإسلامية فى أفريقيا:

المنطقة	الدولة	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم
شرقى أفريقيا	كينيا	٢ر٤	٣٥٪
	أوغندا	٤ر٤	٤٠٪
	موزامبيق	١ر٢	٣٠٪
	مالاوى	١ر٧٥	٣٥٪
	مالاغاشى	١ر٨٢	٢٦٪
غربى أفريقيا	ليبريا	١ر٠٠٠	٣٠٪
	غانا	٣ر٠٠٠	٣٠٪
	غينيا الاستوائية	١٠٥ر٠٠٠	٣٥٪
	الجابون	٢٧٠ر٠٠٠	٤٥٪
وسط أفريقيا	بوروندى	١ر٠٠٠	٢٥٪
	رواندا	٠ر٢٤٠ر٠٠٠	٦٪
جنوبى أفريقيا	سوازيلند	ر٠٢٥ر٠٠٠	٥٪
	ليسوتو	٠ر٠٥٠ر٠٠٠	٥٪
	بتسوانا	٠ر٣٠ر٠٠٠	٤٪
	انجولا	ر٩٠٠ر٠٠٠	١٥٪
	ناميبيا	٠ر٠٠٢ر٤٠٠	
	اتحاد جنوب أفريقيا	٠ر٤٠٠ر٠٠٠	٢٪
الجزر	جزر آصور	٠ر١٦ر٥٠٠	٥٪
	ماديرا	ر٣٠ر٠٠٠	١٠٪
	كناريا	ر٧٠ر٠٠٠	٧٪
	الرأس الأخضر	٠ر٪٢٧ر٥٠٠	١١٪

تابع ثانيا: الأقليات الإسلامية فى أفريقيا:

المنطقة	الدولة	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم
	ساتونى ونرنسيب	٧٥٠ر١٥ر٠	٢١٪
	القديسة هيلانة	٦٠٠٠ر٠	١٪
	ريونيون	٠٠٠ر١٠٠ر	٢٠٪
	مورتشيوس	٠٠٠ر١٢٠ر٠	٢٠٪
	الديرا	١٠٠٠ر	٢٪
	شسيشل	٥٠٠ر٠٠٠ر	١٪
وسط أفريقيا	زائير	٤ر٢	١٠٪
	الكونغو	٠٠٠ر٠٦٠ر٠	
	زامبيا	٠٠٠ر١٠٠ر٠	٢٪
جنوبى أفريقيا	زامبابوى	٠٠٠ر٢٠ر٠	

ويبلغ إجمالي الأقليات المسلمة فى أمصار القارة الأفريقية ٦٥٠و٢٥٩ر٢٤ مليون.

ثالثا : الأقليات الإسلامية في أوروبا:

يبلغ إجمالى الأقليات فى قارة أوروبا حوالى ٦ ملايين مسلم تتوزع على الكثير من دولها، وفيما يلى بيان لتوزيع بعض الأقليات المهمة فى دولها.

الدولة	عدد المسلمين بالمليون	النسبة
يوغوسلافيا	٢ر٢	١٠٪
بلغاريا	٩٠٠٠ر١	١٢٪
اليونان	٠٠٠ر٢٠٠ر٠	٢٪
رومانيا	٠٠٠ر٤٠٠	٢٪
مالطة	٠٠٠ر٤٠ر	١٢٪

يضاف إلي ذلك مايزيد على المليون مسلم يمثلون أقليات صغيرة في دول غربى أوروبا وشرقها مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا- وبعض الأقطار الأوروبية لاتوجد فيها أية نسبة من المسلمين، نظرا لقيام حملات التنصير والإبادة للمسلمين ولضعف أمر المسلمين بها والذين كانوا قد سيطروا فى أول القرن الأول عليها- ثم انعكست الآية.

ويبلغ إجمالى الأقليات فى أوروبا: ٦مليون.

رابعا : الأقليات المسلمة في أمريكا:

تنتشر بعض الأقليات الإسلامية فى أمصار القارة الأمريكية: أمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية على النحو التالى :

المكان	عدد المسلمين بالمليون
أمريكا الشمالية	٥٠٠ر٠٠٦ر٣
أمريكا الوسطى	٧٠٠ر١٠ر٠
أمريكا الجنوبية	٠٠٠ر٣٤٢ر٠

وإجمالى عدد الأقليات المسلمة فى أمريكا ٢٠٠ر٣٥٩ر٣.

خامسا : الأقليات المسلمة في أوقيانوسيا:

تشمل هذه القارة دول استراليا، نيوزيلندة ، وجزر فيجى - مع بعض الجزر المبعثرة فى المحيط الهادى وتؤلف بقيه أجزاء القارة وفيما يلى بيان باعداد المسلمين فى تلك القارة.

الدولة	عدد المسلمين	النسبة
استراليا	٠٠٠ر٢٦٠ر٠	تتضارب التنسب والتقديرات من عام إلى عام.
نيوزيلندة	٠٠٠ر٢٠٠ر٠٠٠	
جزر فيجى	٠٠٠ر٠٤٥ر٠٠٠	

ويبلغ إجمالي الأقليات المسلمة في هذه القارة : ٣٠٧ر٠٠٠ .

وبعد هذا العرض العام لإجمالى أعداد المسلمين بالدول الإسلامية المستقلة ، وأعدادهم في الدول غير الإسلامية كأقليات إسلامية بين سكان هذه الدول يجدر بنا هنا أن نعرض فيما يلي بيانا إجماليا موجزا لإجمالى عدد المسلمين فى العالم .

(عدد المسلمين فى العالم)

المنطقة	عدد المسلمين	ملاحظات
الدول المستقلة فى آسيا	٦٠٩٫٧٦٥ر٠٠٠	هذه الاحصائيات
الدول المستقلة في أفريقيا	١٤٢ر١٢٠ر٠٠٠	حسب عام ١٩٨٣
الدول المستقلة فى أوروبا	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	
الأقليات الإسلامية في آسيا	١٦٧ر٦٥١ر٠٠٠	
الأقليات الإسلامية في أفريقيا	٢٤ر٢٥٩٫٦٥٠	
الأقليات الإسلامية فى أوروبا	٦ر٠٠٠ر٠٠٠	
الأقليات المسلمة في أمريكا	٣ر٣٥٩ر٠٠٠	
الأقليات المسلمة فى أوقياتونسيا	٣٠٧ر٠٠٠ر٠٠٠	

المجموع = ٩٥٦ر٤٦١ر٦٥٠

فإجمالي عدد المسلمين على حسب ماوضح لنا من تلك الإحصائية

يقارب الألف مليون موزعة على أقطار العالم كدول مستقلة لها كيانها، أو أقليات ضمن دول غير إسلامية، وبالطبع ليس العدد كما هو لم يتحرك منذ سبع سنوات من عام ١٩٨٤- إلى عام ١٩٩٠ ولابد من أن العدد قد زاد إلى حد ما فإذا علمنا أن معدل الزيادة الطبيعية للسكان فى العالم يبلغ ٢٪ (١) يمكن تقدير عدد المسلمين تقريبا فى عام ١٩٩٠ بنحو مليار ومائتى مليون مسلم على مستوى العالم.

وبنظرة عابرة في تلك الاحصائيات لاعداد المسلمين نرى أنهم يشكلون طاقة بشرية هائلة يمكن أن يكون لها أثر ايجابى ودور فعال على مستوى العالم عند اتحادهم وتآلفهم وترابطهم واتحاد كلمتهم - وفيما يلى بيان لإجمالى عدد المسلمين فى العالم مقارنا بغير المسلمين.

القارة	عدد السكان بالمليون	عدد المسلمين بالمليون	نسبة عدد المسلمين إلى العدد الكلى	نسبة عدد المسلمين إلي مجموع المسلمين فى العالم
آسيا	٣٠٨٥	٨١٢	٢٦٫٣٪	٦٦٫٥٦٪
افريقيا	٦٣٦	٣٦٤	٥٧٫٢٪	٢٩٫٨٤٪
أوروبا	٧١٧	٠٣٦	٥ ٪	٢٫٩٥٪
امريكا	٧٢٢	٠٠٧	٠٠٫٩٧٪	٠٠٫٥٧٪
الاوقيانوسيا	٢٦	٠٠١	٣٫٨ ٪	٠٫٠٨٪
المجموع	٥١٨٦	١٢٢٠	٢٣٫٥٪	١٠٠٪

(١) كما أشار الى ذلك د/محمد صبحى عبد الحكيم فى كتاب جغرافية العالم الإسلامى ص٢٦ ط معهد الدراسات الإسلامية.

فإجمالي عدد المسلمين مليار ومائتان وعشرون مليون فى العالم أجمع يتمثلون فى كيانات ودول مستقلة، أو اقليات مسلمة في دول غير مسلمة.

ويمثل هذا العدد نسبة ٢٣ر٥ ٪ من إجمالي سكان العالم ، ويتضمن هذا العدد الاقليات المسلمة التى تبلغ ٣٢٧مليونا موزعة في القارات كلها ويمثلون ٢٦ر٨ ٪ من إجمالى عدد المسلمين فى العالم.

دول السيادة فى العالم الإسلامى :

إذا اعتبر نسبة ٩٠٪ فأكثر هى الحد الأعلي للسيادة الإسلامية، واعتبرنا النسبة من ٧٥٪ إلى ٩٠ ٪ للسيادة المتوسطة، والنسبة من ٥٠٪ إلى ٧٥ ٪ للسيادة الاسلامية الدنيا فإننا نصل إلى النتائج الآتية:

أ- هناك دول سيادة عليا فى افريقيا تتمثل في الدول العربية الأفريقية ماعدا السودان بالاضافة إلي السنغال - جامبيا- مالي - غينيا- النيجر- جزر القمر.

ب - ومن دول السيادة العليا فى آسيا هى الدول العربية ماعدا سوريا ولبنان وفلسطين ، بالاضافة إلى كل من تركيا - وايران- افغانستان - باكستان- مالديف- اندونيسيا.

جـ - من دول السيادة المتوسطة فى افريقيا: السودان- تشاد .

د- ومن دول السيادة المتوسطة فى آسيا: سوريا- بنجلاديش وبرونى - فلسطين.

هـ- من دول السيادة الدنيا:

١- فى افريقيا: نيجيريا- ساحل العاج- بنين - فولتا العليا- الكاميرون - سيراليون- غينيا بيساو- تنازنيا- اثيوبيا.

٢- فى اسيا: لبنان- ماليزيا.

٣- فى أوربا: البانيا.

وبعد هذا التصنيف لسيادة دول العالم الاسلامى تبقي الأقليات المسلمة وهى لاتمثل أى نوع أو درجة من درجات السيادة والمقصود بالسيادة، السيادة العددية فى توزيع السكان النسبى.

الاسلام والأديان الأخري :

في هذه الجزئية نهدف إلى توضيح مكانة الاسلام فى العالم مقارنا بالديانات الموجودة في العالم المعاصر مقارنة للاسلام، فإذا كان عدد سكان العالم يبلغ ٥١٨٦ مليون نسمة فانهم يتوزعون على الديانات على النحو التالى:

١- المسيحية- يعتنقها ١٤٣٠مليون يمثلون نسبة ٨ر٢٥٪

٢- الاسلام - يدين به ١٢٢٠مليون يمثلون نسبة ٥ر٢٣٪

٣- الهندوسية - يعتنقها ٦٥٠ مليون يمثلون نسبة ٥ر١٢٪

٤- الكونفوشيوسية - يعتنقها ٥١٨ مليون يمثلون نسبة ١٠٪

٥- البوذية - يعتنقها ٣١٠ مليون يمثلون نسبة ٦٪

٦- الشنتوية- يعتنقها ٤٥ مليون يمثلون نسبة ٩ر٠٠٪

٧- الدواية - يعتنقها ٥٢ مليون يمثلون نسبة ١٪

٨- اليهودية - يعتنقها ١٦ مليون يمثلون نسبة ٣ر٠٠٪

٩- ملحدون - لايدينون بأى دين ٨٣٠ مليون يمثلون نسبة ١٦٪

وبنظرة سريعة إلي هذا التوزيع للديانات في العالم نجد أن الاسلام فى المرتبة الثانية بعد المسيحية وبعده تأتى سائر الديانات فالمسلمون يمثلون أكثرية بالنسبة لاصحاب الديانات الأخرى على المستوى العالمى.

وفى الدول الإسلامية فى العالم يمثل الاسلام فيها نسبة ٤ر٨٤٪ من مجموع السكان تليه المسيحية ليمثل ٩ ٪،والوثنية لتمثل ٣ر٣ ٪والهندوسية لتمثل ١٧ر٢٪ ، البوذية والكونفوشيوسية لتمثلا ٨٩ر٠٪ ، اليهودية لتمثل ٠٩ر٠ ٪وتمثل باقى الديانات الأخرى ١٤ر٠٪

تقسيم المسلمين انفسهم : ينقسم المسلمون إلى قسمين هما :

١- **السنة** : وهم غالبية المسلمين ويمثلون ٩٣٪ من إجمالي عدد المسلمين ، ولاتخلو دولة اسلامية منهم ، وقد يستقلون تماما بجملة المسلمين فى بعض الدول كمصر والسودان وغيرها.

٢- **الشيعة**: وهم اقلية عددهم حوالى ٨٥مليونا يمثلون ٧٪ من اجمالى عدد المسلمين فى العالم وهم يتركزون في دول معينة ويشكلون اقليات فى بعض الدول.

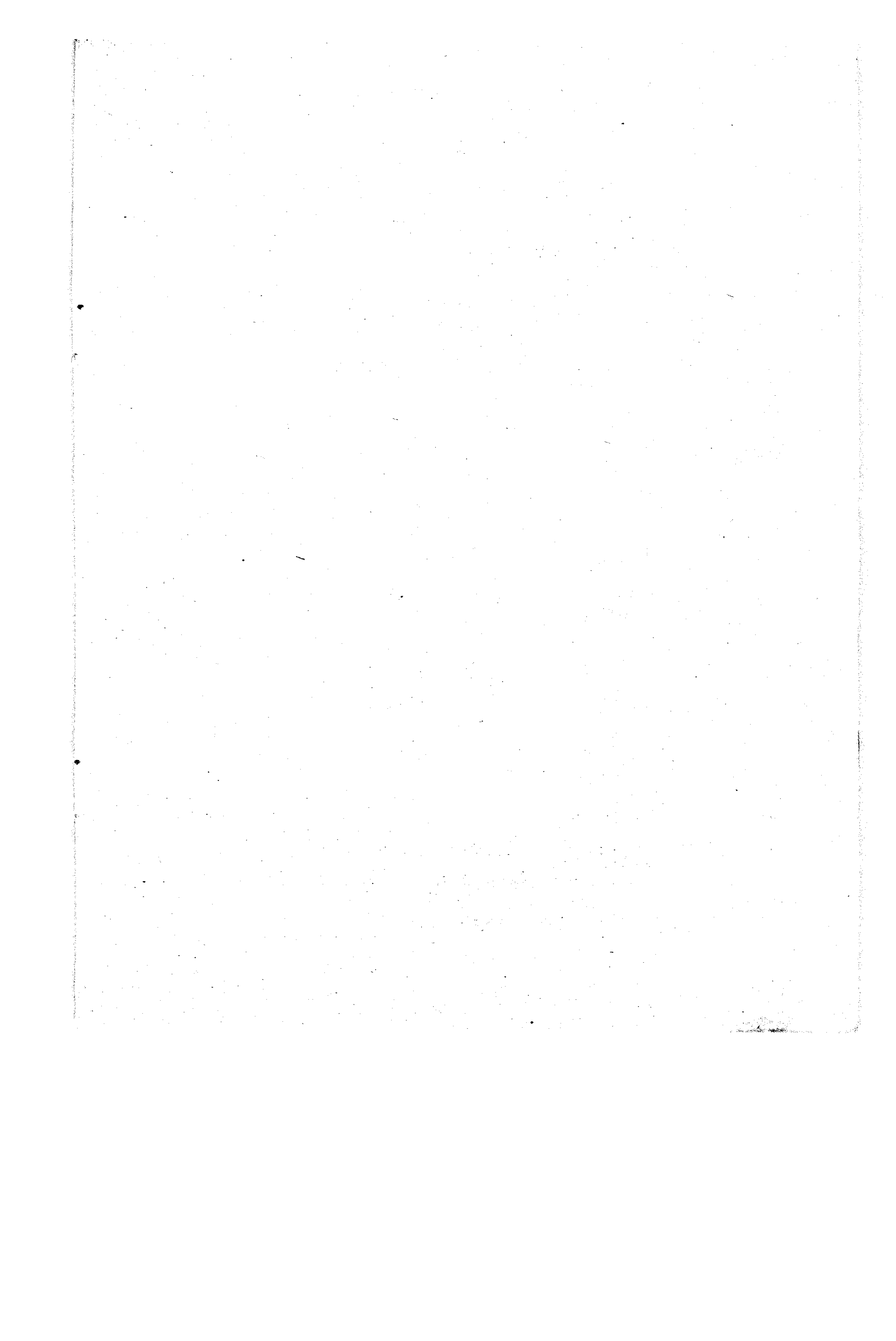
ومن دول الأكثرية الشيعية ايران حيث يعيش فيها أكثر من نصف الشيعة فى العالم حوالى ٤٦٪ ويشكلون ٩١٪ من مجموع سكانها، ويتوزع النصف الباقى في باكستان ٨ ٪ من مجموع السكان ، والعراق ويمثلون حوالى ٤٠٪ من السكان، وفى اليمن يشكلون ٣٥٪ من السكان وهم من الشيعة الزيدية وفي البحرين يكشلون ٢٥٪ ، والكويت ويشكلون فيها حوالى ٢٠٪ من مجموع السكان ، وفى افغانستان يشكلون ١٠٪ من مجموع السكان.

ومن متطرفى الشيعة الدروز ويشكلون نسبة ٣ من سكان سوريا، ١٠٪ من سكان لبنان .(١)

وهكذا يتضح لنا أن الاسلام ينتشر نوره فى كل مكان وينساب ضياؤه إلي القلوب في كل البقاع ويتبين لنا كذلك مايتمتع به المسلمون من القوة العددية التى يمكن أن تثمر قوة سياسية واقتصادية ترجح كفة العالم الاسلامى فى كل العالم المعاصر فتسمع كلمة المسلمين وتلبى مطالبهم وتنفذ قراراتهم، ولكنها فرقة الرأى واختلاف الأمر واللامبالاة تلك الثمرات المرة للبعد عن تعاليم الاسلام وخلع ربقته.

- - -

(١) انظر سكان العالم الاسلامى - محمود شاكر بيروت ١٩٨٣، حاصر العالم الاسلامى لوتروب ستودار- جـ٣ ط دار الفكر - تعليق شكيب ارسلان.



المبحث الثالث

اللغة العربية بين اللغات الأخرى

للغتنا العربية مكانة مرموقة بين لغات العالم إذ أنها لغة القرآن مصدر الشريعة الاسلامية الأول به صلاح الحياة وإقامة المجتمع الكامل وبناء المسلم الايجابى ولذا فإن تعبيراته واشاراته ودلالاته لايدركها الا كل ذي لسان عربي أصيل ويكفى هذه اللغة شرفا أنها الوسيلة العظيمة لفهم القرآن وفقهه والاهتداء به ، وكذا فإن السنة النبوية باللسان العربي المبين نطق بها افصح العرب رسول الله ﷺ وبجانب هذا فإن التراث الاسلامى كله باللغة العربية.

ولقد كانت اللغة العربية هى اللغة السائدة حتى أن حروفها كانت تستعمل فى كتابة اللغات غير العربية التى يتكلم بها المسلمون فى إيران وافغانستان وتركيا وباكستان واندونيسيا وتركستان إلي أن دخل الاستعمار العالم الاسلامى فعمل على محو هذا الوضع وازالة اللغة العربية وساعده على ذلك بعض دعاة العصبية المحلية وبعض الذين يسيرون في فلك الاستعمار(١). وظهر دعاة إلي استبدال الحروف اللاتينية بحروف اللغة العربية متعللين لذلك بعلل واهية واقاويل مغرضة ونوايا خبيثة، ومن حججهم : أن اللغة العربية لاتساير التطور الحديث والاختراعات الجديدة وأن مفرداتها لاتفى بالمستجدات في واقع الحياة، ومنها: أن الفصحى صعبة الفهم على عوام الناس وعلى كثير من الخواص ولذا فإنهم لايستعملونها فى حياتهم اليومية، ومنها أن الطباعة بالحروف العربية صعبه حيث يحتاج إلي إعراب وضبط ألفاظ ولذا فإن الطباعة بالحروف اللاتينية ايسر واسهل من الناحية العملية.

---

(١) انظر العالم الاسلامى اليوم - د/ عادل يونس - ص٧٥ بتصرف.

ومن الوضوح بمكان سوء النية وانحراف المقصد فى هذا الدعاوى وتلك التعليلات لإلغاء اللغة العربية من الوجود، ولكن الواقع الملموس يدحض هذه الحجج وتبرز تلك الاباطيل والمغالطات، والقول بأنها لاتواكب المستجدات والمخترعات مردود عليه بأن العرب لم يخترعوا هذه الأشياء ولذا فهم لم يضعوا لها من اللغة مايدل عليها، ولو كانت هذه المستجدات من اختراعنا وصنعنا لوضعنا لها مايدل عليها من اللغة العربية ولكن وضع لها صانعوها أسماء من لغاتهم - ومع ذلك فاننا نرى مجمع اللغة العربية يضع مفردات تدل هذه المخترعات (مثل لفظ: المرئى على التليفزيون والحاسر ، على المينى جيب، والمذياع على الراديو . .) وهكذا.

فاللغة العربية لاتعجز عن الوفاء بمتطلبات العصر كما يدعون.

وأما دعوى عدم فهم العوام للفصحى فيرد عليها بالواقع الاسلامى فمن زمن البَعثة النبوية والى الآن في الوقت الحاضر يسمع الناس حديث الرسول ﷺ ، ويسمعون آيات القرآن الكريم وهى في قمة الفصاحة والبيان واعلى مراتب البلاغة ومع ذلك فهموها وادركوا مافيها واهتدوا بها، كما سمع الناس ويسمعون الخطب والمواعظ بالفصحى ويفهمونها ويدركون مافيها، فالواقع يكذب هذا الادعاء الذي لايرمى أصحابه من ورائه إلا إلى تشجيع اللهجات المحلية والقضاء على الفصحى لقطع الصلة بين المسلمين بالمباعدة بين اللهجات التى ينطقون بها.

ومن تلك الدعاوى الهدامة صعوبة الطباعة بالحروف العربية وضرورة استخدام الحروف اللاتينية بدلها لاحتياجها- أى العربية- إلي ضبط واعراب ولايخفى مافي هذه الدعوى من هدم للغة، وقضاء على كل التراث الاسلامى حيث إن القرآن الكريم وتفسيره، والسنة النبوية وشروحها، والمذاهب الفقهية،

وسير الصالحين، والتاريخ وسائر التراث الفكرى الاسلامى كله مدون ومكتوب باللغة العربية، واحلال اللاتينية محل العربية إلغاء لكل هذا وقضاء عليه(١).

وقد تحج المستعمر فى تغيير الحروف العربية فى بعض الدول إلي الحروف اللاتينية فعندما كان الروس يسيطرون علي المناطق التركستانية في اوزبكستان وكازاخستان وتركمانستان وقيرغيزيا وآذربيجان حولوا لغاتهم التى كانت يكتب بالحروف العربية إلي مجموعة اللغات السلافية التى تشبه الحروف التى تكتب الروسية، كما غير المستعمر الهولندي حروف اللغة الاندونيسية (البهاسا) التى كانت تكتب بالعربية إلي الحروف اللاتينية، كما غيرت حروف اللغة الصومالية إلي الكتابة بالحروف اللاتينية. . وهكذا يعمل اعداء الاسلام على طمس معالم اللغة لقطع الصلة بين المسلم وتراثه. . الا أن القرآن الكريم وحفظه من التحريف والتبديل والتغير قد ابقي على اللغة كوسيلة لمعرفة الأحكام والتشريعات والعقائد التى تبنى المسلم وتنظم حياته وتقيم مجتمعه قويا متماسكا. . وفيما يلى بيان لعدد الناطقين باللغة العربية مقارنة باللغات الأخرى فى العالم الاسلامى:

---

(١) وهذا لايمنع من ترجمة معانى القرآن والحديث والأحكام الشرعية والعقائد والمعاملات، والتعريف بالاسلام لغير الناطقين بالعربية ولكن يبقى الأصل العربى هو الأساس الذى تكون عنه هذه الترجمات.

جدول ببيان الناطقين باللغة العربية مقارنة باللغات الأخرى فى العالم الإسلامى :

اللغة	عدد المتحدثين بها	الدول التى تستخدمها فى العالم الإسلامى
اللغة العربية	٢٢٥ مليون	جميع الدول العربية ـ بعض الدول مثل المالديف ـ جنوب إيران ـ شمال السنغال ـ مالى ـ تشاد ـ أجزاء من تركيا .
اللغة التركية	٨٠ مليون	تركيا ـ تركستان ـ سنكيانج بالصين ـ شمال قبرص ـ أجزاء من العراق وإيران.
اللغة الفارسية	٥٠ مليون	إيران ـ أكراد إيران والعراق ـ بعض دول الخليج .
البهاسا (الأندونيسية)	١٤٠ مليون	جزر أندونيسيا ـ والفلبين .
الأرودو	١٢٠ مليون	باكستان ـ غرب الهند أجزاء من أفغنستان ـ بعض دول الخليج .
البوستو (الأفغانية)	١٥ مليون	أفغنستان
البنغالية	١١٠ مليون	من سكان بنجلاديش
السواحلية	٤٠ مليون	تنتشر فى شرقى أفريقيا
الهوسا (الهوسوية)	٨٠ مليون	الكاميرون ـ نيجيريا ـ تشاد ـ النيجر.
الفولانية	٥٠ مليون	معظم مناطق أفريقيا ـ شعب (الفولانيين).
البربرية (لغة البربر)	١٥ مليون	بعض مسلمى المغرب العربى ـ دول غرب أفريقيا .
اللغة الصومالية	٨ مليون	الصومال ـ أوجادين بالحبشة ـ بعض المناطق الكينية .

فبتأمل البيان السابق نجد أن المتحدثين باللغة العربية كلغة رسمية لهم كثرة بالمقارنة إلي غيرهم، وعند غير الناطقين بها على أنها لغة رسمية فهى لغة ثانية أو ثالثة بالنسبة لهم فى أغلب الأحوال فعلي سبيل المثال نجد دولة السنغال من الدول التى تتحدث باللغة العربية، ولكنها ليست اللغة الأولي عندهم، فمعها الفرنسية لغة أولى والوولوف - والسيرير- وهى لغة رابعة.

ومثلا نجد أن اللغة السواحلية ينطق بها أغلب شرق أفريقيا وتنزانيا من هذه الدول فلغتها الرسمية السواحلية والانجليزية- ومعها أيضا اللغة العربية في المرتبة الثالثة. . وهكذا. .

وهذان المثالان للتوضيح وليس للحصر، فاللغة العربية فى أغلب دول العالم الاسلامى إما لغة أساسية رسمية، واما لغة ثانوية مع لغات أخرى كما أن هناك من دول العالم الاسلامى من لاينطق اللغة العربية مثل بنجالاديش التى تنطق البنغالية والانجليزية، وافغانستان التى تنطق البوشتو وبجانبها الفارسية، والاوزبكية والانجليزية، وغينيا التى تنطق الفرنسية لغة أولى وبجانبها الماندينجا والصوصو والفولانية.

ولا يخفي أن الاقليات المسلمة فى اوربا وامريكا وآسيا تتحدث رسميا بلغة الدول التى يعيشون فيها.

ولكن هناك حقيقة ماثلة أمام كل مسلم وهى أن اللغة العربية قد لاتكون لغة رسمية للتخاطب في بعض البلاد، وقد تكون لغة ثانوية في البعض الآخر وقد لاتوجد مطلقا في البعض الثالث من العالم، الا أن كل مسلم يستعملها لغة في العبادة فهو يؤدي الصلاة ويقرأ القرآن فيها باللغة العربية ويتعبد بالنظر في المصحف وتلاوة آياته باللغة العربية ، وإذا كانت هناك ترجمات لمعانى القرآن بلغات غير الناطقين بالعربية فإن الأصل في هذه الترجمات هو النص العربي

والترجمة للتفسير فقط.

ويمكننا القول بعد ذلك إن اللغة العربية هى لغة الاسلام ، لغة القرآن وكون المسألة كذلك فإنه لايمنع من ترجمة الاسلام إلي لغات أخرى ليعرض على الناطقين بغير العربية بلغاتهم التى يفهمون بها﴿ما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم﴾(١) .. ولكن يبقى أصل التشريع القرآن الكريم باللغة العربية خالدا إلي يوم القيامة.

- - -

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤ .

الفصل الثاني

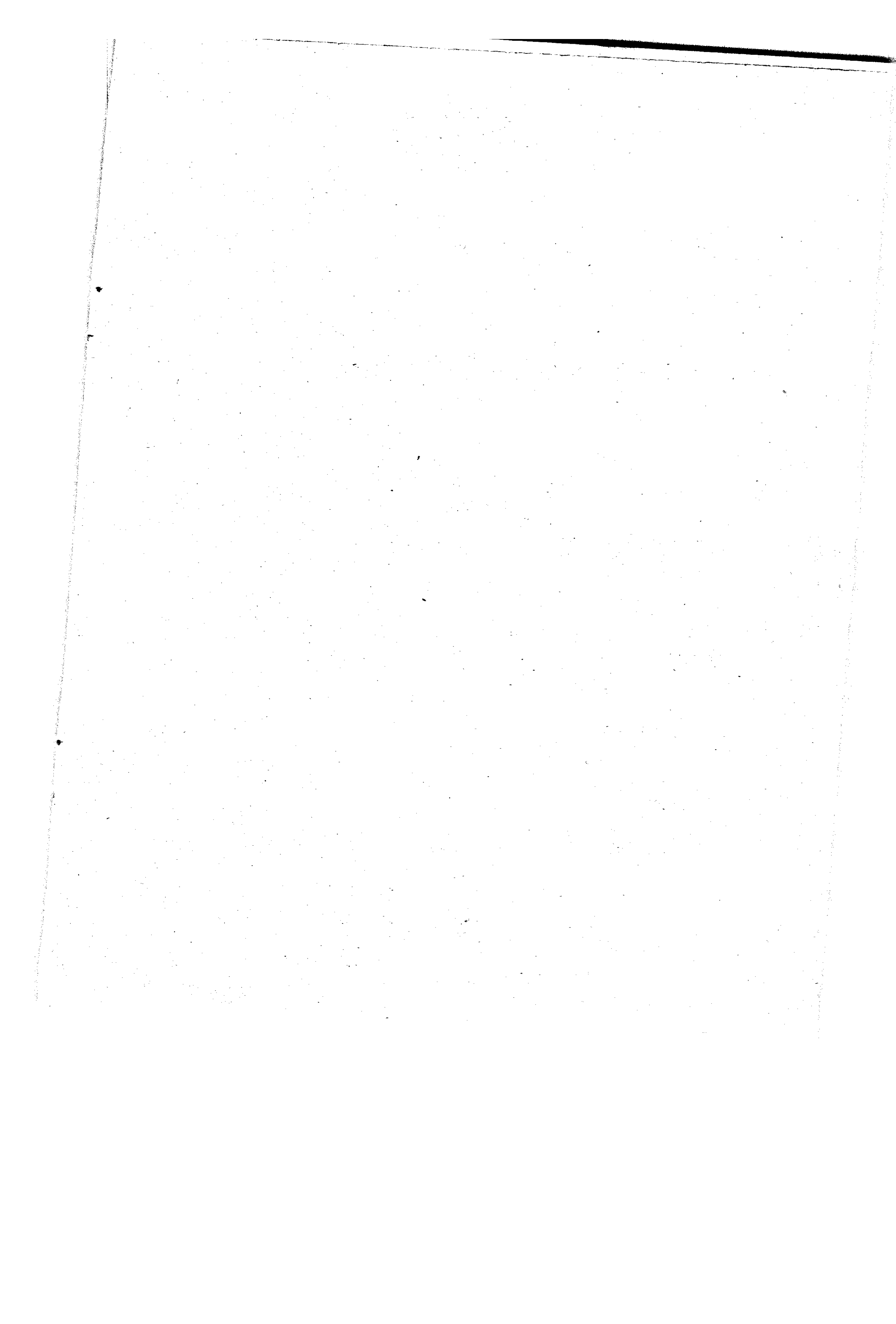
(نظرة الغرب إلى العالم الاسلامي)

تمهيـــــــــد :

المبحث الأول : ميراث الحقد

المبحث الثانى : مخاوف الغرب من العالم الاسلامى

المبحث الثالث : موقف الغرب من العالم الاسلامى



تمهيـــد

إن نظرة الغرب إلى العالم الاسلامى نظرة أصلها الحقد والكراهية والبغض، وهذا كله مشوب بالخوف الشديد من قوة المسلمين المستمدة من ذات الشريعة الاسلامية وملاءمتها للفطرة ، واتساقها مع الطبيعة البشرية، ومن الهبات والثروات التى من الله بها على بلاد المسلمين مترامية الأطراف متعددة الاقاليم، متنوعة المقومات الزراعية والصناعية. . فباحثو الغرب يدركون ذلك تماما ويعلمون علما يقينيا لايشوبه أدنى شك أو ريب ولو اتحد المسلمون وتوحدت كلمتهم وزالت خلافاتهم وتوحدت جهودهم لصاروا قوة عظيمة لاتستطيع أية قوة مضارعتها من هنا تسلل الرعب والخوف إلي قلوبهم، واثمر الحقد والبغض ، وعلى أساس ذلك خطط الغرب لعلاقاتهم مع العالم الاسلامى، علاقة تقوم على التمزيق والتفريق والسيطرة والاستغلال لنهب الثروات وعدم تمكين أصحابها المسلمين من الانتفاع بها، والتقدم والرقى بحسن استغلالها.

وليس هذا غريبا على الفكر الاسلامى فبين لنا القرآن الكريم بوضوح كامل وجلاء لايقاربه أى خفاء أو لبس حقيقة مشاعرهم نحونا لنحذر منهم ونتعامل معهم علي اساس ذلك.

فقال تعالى مبينا لنا علاقة اليهود بنا: **﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيين ورهبانا وانهم لايستكبرون﴾(١)**

وقال كذلك عن حالتهم النفسية التى تعزز السلوك العدائى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت**

(١) سورة المائدة : الآية ٨٢ .

البغضاء وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. ها أنتم اولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور. إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط﴾(١).

ويقول سبحانه مبينا غاية هؤلاء وأولئك من تنصير العالم وتعضيد النشاط التبشيرى بالمال والسلاح فقال تعالي : ﴿ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم..﴾ (٢) .. وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق كانت علاقة هؤلاء بنا، علاقة العالم الغربى بالعالم الاسلامى .. تهدف إلى دعم النشاط التبشيرى في العالم الاسلامى وتقويته بالمال والسلاح ومما ثبت تاريخيا العلاقة الوثيقة بين الاستعمار والتبشير.

وعلى هذا الأساس فان الغرب يبنى علاقاته مع المسلمين، وتقوم سياسة امريكا فى العالم الاسلامى على ذلك، ويتبين لنا ذلك من قول "ايوجين روستو" رئيس قيم التخطيط فى وزارة الخارجية الامريكية ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧ : "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب بل هى خلافات بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والاسلام منذ القرون الوسطي وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة ومنذ قرن ونصف خضع الأسلام لسيطرة القرب، وخضع التراث الاسلامى للتراث المسيحى.. إن الظروف التاريخية تؤكد أن

(١) سورة آل عمران : الآيات ١١٨ ـ ١٢٠ .
(٢) سورة البقرة : من الآية ١٢٠ .

أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى. . فلسفته وعقيدته ونظامه وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الاسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الاسلامى، ولاتستطيع امريكا الا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادى للاسلام وإلي جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية. ."(١). . هكذا تتضح المعالم في العلاقات الدولية المعاصرة استمرار الحقد والكراهية، ومساعدة اعداء الاسلام عليه ان الغاية هى تدمير الاسلام وتفريغ المجتمعات منه .

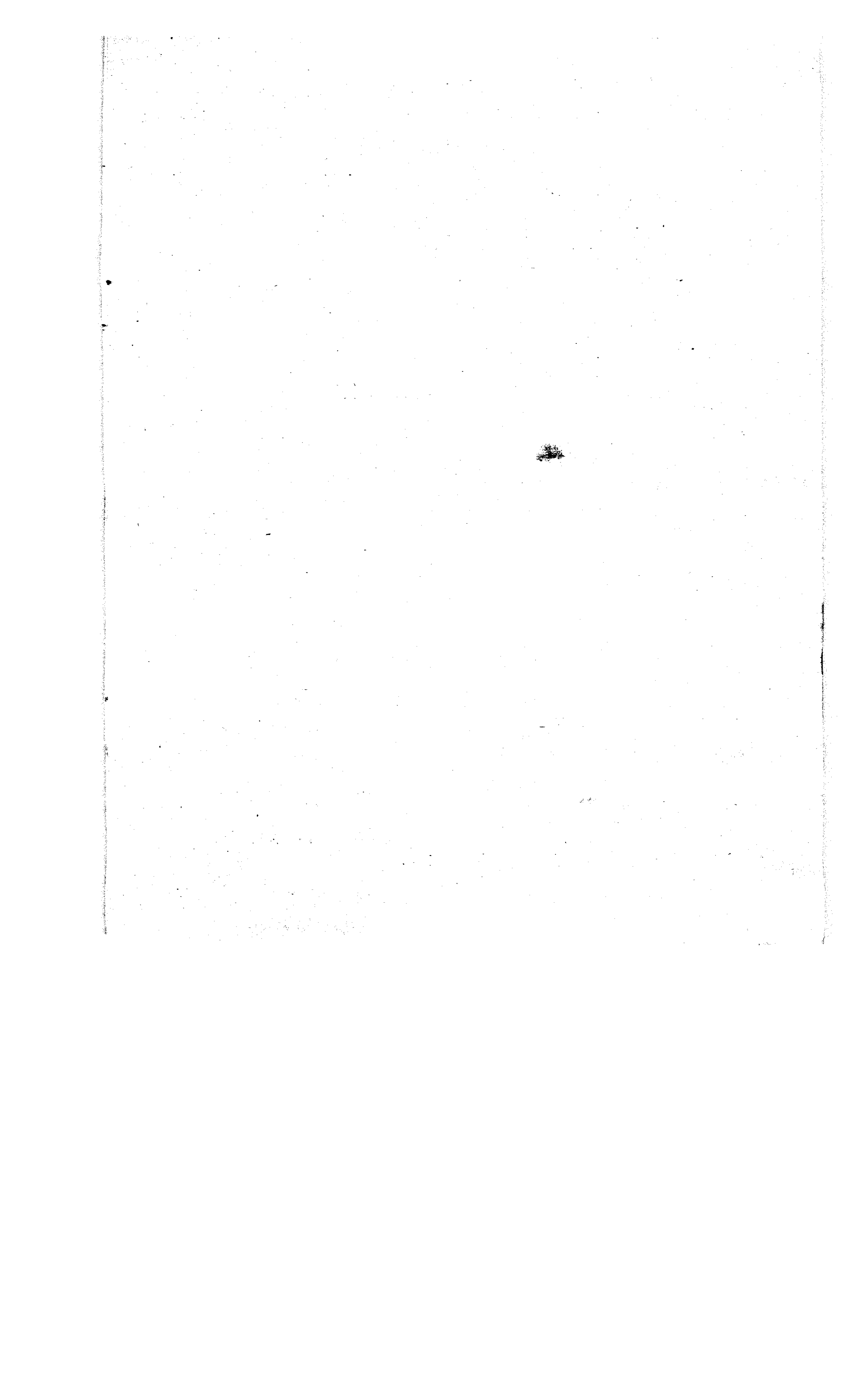
وفى المباحث التالية بيان لهذه المعانى وإبرازها:

سبب ميراث الاحقاد- مخاوف الغرب (وأسى الأمور التى تخيف الغرب من المسلمين) - موقف الغرب من العالم الاسلامى.

حيث سيظهر جليا نظرة العالم الغربى الى العالم الاسلامى.

---

(١) قادة الغرب يقولون - جلال العالم ٣٠



المبحث الأول

ميراث الحقد

في أعقاب حرب رمضان ١٣٩٣ هـ اكتوبر ١٩٧٣م بين الدول العربية وإسرائيل أجرت صحيفة "الفيجارو" استفتاء للرأى العام الفرنسى فأسفر الاستفتاء عن أن : ٤٥ ٪ مع اسرائيل مؤيدين لها، ١٧ ٪ يؤيدون العرب، ٨ ٪ مع الطرفين، ٣٠٪ لا رأى لهم، وأجرى المعهد الوطنى لاستفتاء الرأى العام فى لندن فأسفر ٤٧ر٥ ٪ من البريطانيين الذين شملهم الاستفتاء يؤيدون إسرائيل فى مقابل ٥ ٪ يؤيدون الدول العربية وأجرى معهد "جالوب" الأمريكى استفتاء للرأى عن النزاع فى الشرق الأوسط يوم ٦ اكتوبر فأسفر عن أن ٤٧ ٪ من الأمريكيين يؤيدون اسرائيل في مقابل ٦ ٪ فقط يؤيدون الدول العربية. (١)

وارجعت بعض الجهات هذه النتائج إلى ماتفعله الدعاية الصهيونية فى الرأى العام فى العالم الغربى ومدى عمق جذورها فيه. . الا أن هذا ليس راجعا إلى الدعاية الصهيونية وحدها، بل إن ماتفعله هذه الدعاية هو تنشيط للرواسب القديمة التى خلفتها الحروب الصليبية من بغض وكراهية للمسلمين، تلك الاحقاد التى لاتزال وستظل منطلق التخطيط للعالم الغربى فى علاقاته بالعالم الاسلامى في مختلف المجالات.

المد الاسلامى : كان فتح الاندلس هو المد العسكرى السريع الذي عبر البحر المتوسط عند مدينة (سبته) فى رمضان ٩١هـ يوليه ٧١٠م ، وقد تم هذا علي ثلاث مراحل:

---

(١) الاسلام قوة الغد العالمية - ساول شمتز- ترجمة د. محمد شامه ص٤.

الأولي : بدأها طارق بن زياد بافتتاح وسط اسبانيا.

الثانية: اضاف بها موسى بن نصير مددا آخر ففتح الجانب لغربى في رمضان ٩٣هـ ٧١٢م.

الثالثة : أتمها عبد العزيز بن موسى بن نصير وهى شرق وجنوب الاندلس وكان ذلك في ذى القعدة عام ٩٥هـ -٧١٤م.

وكان المعتقد أن اسبانيا قد سلمت وانتهى الأمر فيها حيث يغمرها نور الحق ويهديها ضوء الإسلام وذلك ان ثبت عبد العزيز دعائم السيادة الاسلمية فى شبه جزيرة "ايبريا" الا أن الأمر كان على العكس، حيث لعبت الخيانة دورها فقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير عام ٩٧هـ فصار أمر الأندلس بددا وظهرا عصر الولاة وقد كان الجزر والتوقف الذى أصاب المد الإسلامى ، وعندما عزم السمح بن مالك الخولانى الذي ولي الخلافة عام ١٠٠هـ-٧١٩م الزحف للتوسع في الرقعة الاسلامية هزم في معركة "قرقشونه" حيث التقي بالدوق (اورد) يوم ٩ من ذى الحجة عام ١٠٢هـ-١٠يونيه ٧٢١م، فاضطرب المسلمون في الأندلس لهذه الهزيمة بجانب ما أصاب المسلمين من الفتنة الطائفية بين البربر والموالى والكمائن الصليبية، ولم يفق المسلمون إلا عند قدوم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى عام ١١٣هـ- ٧٣١م ورغم أنه كان من أعظم قواد المسلمين غير أن الخط قد تغير تماما عندما خسر المسلمون معركة بواتيه "بلاط الشهداء" حيث كان اللقاء بين الجيشين وقدم المسلمون أروع البطولات لكن الفرنجة صمموا على دحر المسلمين الى الخلف لأن كلا الجيشين كان يرى أن هذه المعركة هى الحد الفاصل بين أن تكون أوربا اسلامية أو تعود إلي صليبيتها، واعتقد القائد الاوربى أن المسلمين يعدلون صفوفهم لهجوم أكبر ففر هاربا واكتفي بما نال. وتوقف المد الفاتح وحرمت البلاد وراء جبال البرت على

حدود فرنسا الجنوبية من نور الحق وضياء الاسلام(١).

وهذه الفتوحات الاسلامية عندما توقفت لم يكتف الصليبيون بذلك بل طمعوا وامعنوا في مطاردة المسلمين حتى قامت دولة مسيحية هى اسبانيا وتعلق كتابهم ومفكروهم على هذه الأحداث بروح الحقد الصليبية والكراهية الواضحة، ويلاحظ ذلك بوضوح فى تعليق المؤرخين علي نتائج معركة "بواتيه" هذه ، فيقول السير "ادوارد كريزى" : " إن النصر العظيم الذي ناله كارل مارتل على العرب عام ٧٣٢م وضع حدا حاسما لفتوح العرب في غرب أوروبا وانقذ النصرانية من الاسلام" ويقول ادوارد جيبون - متصورا النتائج لو انتصر العرب في معركة بواتيه: "... بل ربما كانت احكام القرآن تدرس الآن فى معاهد اكسفورد وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد صدق الوحى والرسالة" ثم يستطرد قائلا: " إن هذه المعركة انقذت آبارنا البريطانيين وجيراننا الغاليين (الفرنسيين) من نير القرآن المدنى والدينى وحفظت جلال رومه وأخرت استعباد قسطنطينية وشدت بأرز النصرانية واوقعت بأعدائها بذور التفرقة والفشل"(٢).

انها تصريحات تدل على حقد دفين وكراهية عاتية للاسلام والمسلمين وشماتة واضحة لما حل بالاسلام بسبب اختلاف المسلمين وفرقتهم.

وقد تعقبت الدول الغربية العالم الاسلامى بشن حروب صليبية للنيل منه والسيطرة عليه يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.. ومن ذلك محاولاتهم المتواصلة لتطويق العالم الاسلامى ، ووضح ذلك فى طريقين :

---

(١) انظر تاريخ الشعوب الاسلامية - كارل بركلمان- ط دار العلم ص٣٤٣.

(٢) كتاب بين الاسلام والمسيحية - لأبي عبيدة الخزرجى - تحقيق وتعليق د.محمد شامة ط مكتبة وهبة - هـ ص٢٤.

أ- طريق حصار التجارة الاسلامية فى البحر العربى وامتداداته الأخرى.

ب- طريق تحطيم البلاد الأم للدين الاسلامى.

وقد كان حكام البرتغال من أوائل الصليبيين الحانقين على الاسلام، ويرى البعض أن الكشوف البرتغالية صليبية، يقول د/سعيد عاشور: " من المعروف أن الدافع الأساسى لـ "هنرى الملاح"(١) في جهوده الاستكشافية لم يكن اقتصاديا بحتا، وإنما كان دينيا على أساس أنها فرصة لتحطيم سيطرة المسلمين على طريق التجارة مع الشرق.. "(٢)

ويقول " "بانيكار" : "وإذا كانت البرتغال قد أصبحت بذلك - أى بالكشوف الجغرافية - وريثة الكشف والارتياد.. فقد أصبحت في القرن الخامس عشرة نصيرة للمسيحين وراعيتها على الاسلام"(٣). فهذا يدل على أن الكشوف الجغرافية كانت صليبية الدافع والمنطلق تهدف إلي تقويض اقتصاد الاسلام.

يضاف إلى ذلك أن هنرى الملاح تلقى من البابا نيقولاس الخامس تفويضا بأن له الحق في جميع الكشوف التى يكتشفها حتى بلاد الهند ومن نصوص هذا التفويض :"إن سرورنا لعظيم إذ نعلم أن ولدنا هنرى أمير البرتغال إذ يترسم خطى والده العظيم الذكرى "الملك يوحنا " وإذ تلهمه الغير ة التى تملأ

---

(١) هنرى الملاح كان رئيسا لهيئة اليسوعيين التى كان يهمها العمل علي كسب أراضي وميادين جديدة للمسيحية. (وانظر تاريخ اوربا بالاقتصادى).

(٢) انظر أوربا والعصور الوسطى جـ ص٥٧١.

(٣) انظر آسيا والسيطرة الغربية - ك .م بانيكار ص ٢٤, ٢٥.

الأنفس كجندى باسل من جنود المسيح قد دفع باسم الله إلى أقصى البلاد وأبعدها عن مجال علمنا كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الغادرين من أعداء الله واعداء المسيح مثل العرب والكفرة"(١).

الحملات الصليبية علي بلاد الاسلام

تمادي الصليبيون في مطاردة المسلمين واعادة المناطق التى فتحها المسلمون إلي ماكانت عليه من صليبيتها، وقد تمثلت هذه الحملات في ثمانى حملات: نجملها فيما يلى:

١- الأولى : كانت في عام ١٠٩٧-١٠٩٩ وهى من الفرنسيين والنورمنديين برئاسة الاشراف والأمراء - واستولوا على (نيفيا) وزحفوا إلى انطاكية وحاصروها ومكنهم انقسام المسلمين في سورية بين الانتصار.

٢- الثانية : كانت في عام ١١٤٧-١١٤٩ لما تولى عماد الدين زنكى عمل على توحيد المسلمين لمناوأة الصليبيين فى كل من حلب ودمشق وحماه واستطاع فتح مدينة الرها وعلى طبيعة التعصب المسيحى فى أوربا نادوا بإرسال حملة صليبية ثانية حركها الراهب الفرنسى (سان برنارد) الذى كان عظيم النفوذ في غرب اوربا وقد فشلت هذه الحملة بسبب وحدة الصف الاسلامى وتماسكه وكانت معركة درسًا في الأدب للصليبية جعلهم لايفكرون ولايجرءون على حرب المسلمين لمدة اربعين سنة.

٣- الثالثة: كانت عام ١١٨٧ حيث ارسل كورادى رئيس أساقفة صور المسمى "جوسياس" يطلب مددا عسكريا وكان أول من استجاب الملك وليم

---

(١) المرجع السابق ٢٧.

الثاني ملك صور حيث ارسل جيشا بقيادة "مارجريت البرنديزي" الذي استطاع أن يمنع صلاح الدين من الاستيلاء على اللاذقية وطرابلس.

٤- الرابعة: وكانت من عام ١٢٠٢-١٢٠٤ ودعا إليها البابا "انوسنت الثالث" لحقده الشديد على الاسلام لوقوع بيت المقدس في أيدي المسلمين، وقرر أن يبدأ فيها بمصر باعتبارها مركز قوة المسلمين وتوجهت الحملة.

٥- الخامسة : وكانت عام ١٢٠٨-١٢٢١ حيث وقر في قلوب الباباوات أن بيت المقدس لن يعود إلي الصليبيين الا اذا كانت مصر مركز القوى الاسلامية تحت السلطان الصليبي فقاموا بالهجوم على دمياط وأتوا على كل مافيها ورفض قائد الحملة (جان دى برين) العودة واصر علي التقدم إلي القاهرة واخطأ الطريق وشق وسط الدلتا ففتحت عليه الجسور وغمرته مياه الفيضانات فرضخ للصلح وعاد ١٢٢١م.

٦- السادسة: وكانت عام ١٢٢٨-١٢٤٤ وقادها "فردريك" الثاني حيث إنه كان قد اعطي للبابا" انوسنت الثالث" وعدا بالقيام بحرب صليبية جديدة، الا أنه ظل يؤجل ويتحل الأسباب ولما طرده البابا من رحمة الكنيسة خرج وحقق- بالاتفاق لا بالحرب- أن يأخذ بيت المقدس ويحتفظ المسلمون بالأماكن المقدسة، الا أن ذلك الاتفاق لم يصادف قبولا لدي المسيحيين لطرده من الكنيسة. وبقي بيت المقدس مع الصليبيين حتى جاء الملك الصالح أيوب واسترده عام ١٢٤٤.

٧- السابعة: وكانت عام١٢٤٩-١٢٥٠ وقام لويس التاسع ملك فرنسا الذي ينحدر من أم اصلها من قشتالة أول دولة صليبية متعصبة ضد الاسلام واستولى على دمياط وعبر النهر حتى المنصورة واستطاعت "شجرة الدر" بعد موت زوجها أن تباشر الحكم وتركت مسائل الدفاع لولدها "توران شاه" وعند

فارسكور انهزم الصليبيون وقتل منهم ثلاثون الفا وأسر لويس التاسع بدار ابن لقمان بالمنصورة ولم يفك أسره الا بعد دفع فدية عظيمة.

٨- الثامنة : وكانت من عام ١٢٦٢-١٢٩١- وهى موقعة عين جالوت- حيث ظهرت المغول كدولة واستولي هولاكو على بغداد عام ١٢٥٨، وحاول الصليبيون استمالة المغول معهم ضد المسلمين الا أن الملك قطز انتصر على المغول في موقعة "عين جالوت" واستمر بعده السلاطين يدافعون عن الشرق الاسلامى، وكان "بيبرس" مجددا لعهد صلاح الدين فاستولي على يافاو أنطاكية وسقطت عكا وانتهى العهد الصليبى من الشرق نهائيا. .(١).

فهذه حملات صليبية متعاقبة دعا إليها البابوات وحث عليها اباء الكنيسة لتحقق اهدافا دينية أولها القضاء على الاسلام وازالة المسلمين ككيان ووجود وغايتها سيطرة الصليبية وسيادتها، ونرى أن هذه السلسلة من الحروب لم تبدأ الا بعد الجزر الاسلامى وتوقف المسلمين عن التقدم بعد أن خسروا معركة (بواتية) أو بلاط الشهداء .. حيث إن الصليبيين قد سال لعابهم لاحراز المزيد من الانتصارات والمكاسب وامعنوا في مطاردة المسلمين حتى قامت دولة صليبية في قلب الاندلس وغربها وتوالي سقوط اجزاء عزيزة في الاندلس فى ايدى الصليبيين - وتبدل حال المسلمين من المد إلي الجزر، ومن التقدم إلي التجمد.

ولكن هل انتهت الحملات الصليبية عند هذا الحد، واكتفي الصليبيون بما احرزوه من مكاسب من المسلمين؟

---

(١) انظر: الدعوة فى ارخبيل الملايو- د/ رءوف شلبى - بتصرف - نقلا عن كتاب : تأريخ الشعوب الاسلامية - كارل بركلمان- بيروت ط دار العلم ص ٣٤٣ وانظر كتاب : بين الاسلام والمسيحية- تحقيق د/ محمد شامة

والجواب بالنفى - لأن المعارك لاتزال قائمة، الا أن أشكالها قد تطورت واختلفت بعض الشئ عن سابقتها، حملات تبشيرية تستخدم فيها وسائل سلمية على هيئة مساعدات انسانية يدعى من خلالها إلي النصرانية مؤتمرات تعقد وتقرر وتنفض لتنفذ خططا طويلة المدى لغزو بلاد المسلمين ثقافيا غزوا عقليا لابعادهم عن دينهم، كما انتشرت جمعيات التبشير تحت مسميات متنوعة ومختلفة الا أن هدفها واحد هو ازالة الكيان الاسلامى ومسخ شخصية المسلمين.

وكثيرا ما تأخذ الحملات الجديدة الشكل العسكرى تحت دعوى الحماية ورد الحقوق لأصحابها، إلا أن الغاية هى القتل والابادة والقضاء على مصادر قوة الاسلام، وتحطيم الكيان الاسلامى - كما حدث في مسلمى البوسنة والهرسك من اعدائهم "الصربيين"، وكما يحدث لشعب الشيشان المسلم من الروس وغيرهم في بلاد العرب كالحرب الخليجية بسبب الأزمة بين العراق والكويت.

إذن: فالحرب الصليبية لم تنته بعد، ولايزال الأمل يراود أعداء الاسلام في القضاء عليه، حيث يعبرون بفرحة وشماتة عن كل مايسئ إلي المسلمين ويضرهم، ويعربون بمزيد من الأسي عن كل نصر وتقدم ورقى للعالم الإسلامى. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض التعليقات:

١- عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق كان أول مافكر فيه أنه توجه إلي قبر "صلاح الدين" عند الجامع الأموى وركله بقدمه وقال له: "هاقد عدنا ياصلاح الدين" حقد شديد وغيظ بالغ.

٢- عندما سقطت القدس عام ١٩٦٧ قال راندوف تشرشل: لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء. ان سرور المسيحيين لايقل اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد

أصدر الكنيست الاسرائيلى ثلاثة قرارات بضمها إلي القدس اليهودية ولن تعود إلي المسلمين فى أية مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود".. هذا وعندما دخلت قوات اسرائيل القدس تجمهر الجنود حول حائط المبكى واخذوا يهتفون مع موشى ديان انشودة تنم معانيها والفاظها عن شماتة وحقد منه جملة : "هذا يوم .. بيوم خيبر يالثأرات خيبر.... حطوا المشمش علي التفاح.. دين محمد ولى وراح... محمد مات .. محمد خلف نبات .."(١) وقد استغلت اسرائيل صليبية الغرب في جمع التبرعات لهم ولاعانتهم على الحرب فكتبوا علي صناديق التبرع "قاتلوا المسلمين" عندئذ يثور حماس أولئك وتغدق عليهم التبرعات وتمتلئ الصناديق مرات ومرات.. وسجلت التبرعات ارقاما خيالية لالشئ الا للمساعدة والعون ضد الاسلام والمسلمين.

ان تاريخ العلاقة بين الشرق والغرب يشهد حقدا مريرا يملأ صدر الغرب إلي درجة كبيرة، انه حقد مصحوب بخوف شديد من الاسلام، ومن قوته الذاتية فيه كتشريع، والخارجية عنه كهبات وثروات ومقومات اقتصاد ناجح يمكن أن يعزو به المسلمون- إن هم توحدوا واستقروا- العالم كله..

لذلك حاولوا تدمير الاسلام فى الحروب الصليبية الرهيبة ففشلت، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا ثم ليعودوا الينا بجيوش حديثة وفكر جديد وهدفهم تدمير الاسلام.. ولماذا التفكير الكثير وقد أخبرنا بارئ النفوس جل في علاه بحقيقة شعورهم نحونا كمسلمين وعالم اسلامى - قال فى محكم التنزيل ". ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون. ها أنتم أولاء تحبونهم ولايُحبونكم وتؤمنون

(١) نقلا عن كتاب : قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام وأبيدوا اهله - جلال العالم ص ٣٢.

بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾(١) حقيقة مشاعرهم الحقد الدفين والغيظ الشديد وتمنيهم محق المسلمين من الوجود.

(١) سورة آل عمران : من الآية ١١٨ ـ ١١٩ .

المبحث الثانى

مخاوف العالم الغربى

رغم تفوق العالم الغربى في الوقت الحاضر فى شتى المجالات، الا أن الكراهية والحقد يتحكمان في العلاقة بين الغرب والعالم الاسلامى، ولذا فإن المخاوف تساور الغرب من قوة العالم الاسلامى، وكتب كتابهم العديد من المؤلفات التى تحذرهم من قوة المسلمين وتفوقهم ماديا بجانب التفوق الروحى، ونجد أن الدافع للحملات الصليبية على العالم الاسلامى، والسبب الرئيسى لشن حملاتهم على الشرق هو ذلك الخوف منه كدين عناصر قوته متكاملة، واذا استطاع المسلمون استغلالها والسيطرة عليها لم يكن هناك قوة تفوق قوة العالم الاسلامى.

وممن كتب في هذا المجال" باول شمتز" صاحب كتاب "الاسلام قوة الغد العالمية" فقد استهدف تبصير بنى جنسه بعناصر قوة الاسلام كى يخططوا لاضعافها اذا ارادوا حماية أنفسهم من الاسلام وكانت السيطرة على المنطقة من الأسباب الرئيسية للحملات الصليبية فقد حمل الصليبيون معهم فكرة مدروسة مفادها أن السيطرة على منطقة غرب آسيا لايمكن أن تقدر اذ أنها منطقة اتصال بين الغرب والشرق الأقصى وقد ثبتت حكمة هذه الفكرة لحكام هذه المنطقة منذ قرون ومازالت حتى اليوم.

وتتركز مخاوف الغرب من العالم الإسلامى فى عدة أمور يرون فيها الخطر الداهم على الكيان الأوربى العرب. . وأهم هذه المخاوف:

١- الموقع الجغرافى : حيث تميز العالم الاسلامى وبالذات الشرق بموقع

ممتاز جعله حلقة اتصال بين الشرق والعرب تمر به كل طرق المواصلات والتجارات، إن أهمية المنطقة الاسلامية فى نظام التجارة واضحة وحقيقة واقعة فحكامها يمكنهم التحكم في الاسعار عن طريق رفع رسوم الجمارك، بل وفي مقدورهم قطع الطريق بالكلية إذا بدا أن ذلك فيه فائدة لهم أو رغبوا فيه اعتمادا على أى سبب.

ومع أن هذه الأهمية قديمة فإنه لم يتغير شئ من ذلك كله بعد دخول الاسلام فقد أصبح قدح الزند في المجالات السياسية والتجارية في الشرق الأدنى فى يد الدولة الاسلامية الجديدة التى مدت سلطانها علي المنطقة جغرافيا وسياسا". وقد عرفت أهمية العالم الاسلامى على مدي القرون، ذلك أنه كان يمثل جزءا من شبكة المواصلات فى العالم القديم، فمن المعروف أن الشرق قبل ظهور الاسلام- احتل مركزا هاما لأن الطرق العالمية الكبرى من الغرب إلى الشرق الأقصى كانت تمر خلال ارضه فكان يسيطر على جزء كبير منها وهو- أى العالم الاسلامى- الممتد من شمال افريقيا وغرب آسيا إلى الشرق الأقصى، وكان شكل الأوضاع السياسية فى هذه البقعة يلعب دورا كبيرا في الأحداث والتجارة العالمية ومن هنا اتصل الشرق الأدنى اتصالا كليا بالغرب عن طريق المعاملات التجارية وتبادل الخبرات والبحوث العلمية، ولهذا كان المستوى الحضارى بين الشرق والغرب في درجة واحدة، فطرق المواصلات الكبرى كانت تمتد من شرق وجنوب اسيا حتى الشواطئ الشرقية للبحر المتوسط حيث توجد المراكز العالمية للتبادل التجارى ومن هناك تشحن البضائع إلي جنوب ووسط اوربا"(١) أى أن التجارات لابد من مرورها بالعالم الاسلامى نظرا لموقعه المتوسط الذي جعله حلقة اتصال بين الشرق والغرب وهذا يعطى لحكام

---

(١) انظر: الاسلام قوة الغد العالمية - باول شمتز- ترجمة د/ محمد شامة ص٣٤.

العالم الاسلامى فى هذه المنطقة - منطقة مرور القوافل التجارية برا وبحرا وجوا- التحكم فى الاسعار أو التهديد بوقف الطرق إن كان فى ذلك مصالح لبلادهم.

٢- الخصوبة البشرية: ومن المخاوف المقلقة للغرب تلك الخصوبة البشرية والكثرة العددية في العالم الاسلامى واعداد المسلمين فى تزايد مستمر واضطراد دائم، وهذا جعلهم يتمتعون بالكم الهائل العظيم من البشر- الذي لايساويه عدد من يدينون باية ديانة أخرى في الدول التى تدخل ضمن العالم الاسلامى (١).

فإن المسلمين لديهم خصوبة بشرية تمكنهم من التفوق على غيرهم إن هم احسنوا استغلالها و وتوجيهها وإعدادها، "تشير ظاهرة نمو السكان فى اقطار الشرق الاسلامى إلي احتمال وقوع هزة فى ميزان القوى بين الشرق والغرب . فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها مالدي الشعوب الاوربية وسوف تمكن الزيادة في الانتاج البشرى فى الشرق على نقل السلطة - أى من الغرب- فى مدة لاتتجاوز عقود أى عشرات قليلة من السنين، وسوف ينجح في ذلك نجاحا لانرى منه الا النذر اليسير... "وسوف تنمو بشريا إلى درجة لاتمكنها فقط من استعمار الكرة الأرضية بل من استعمار اعداد من الكواكب السيارة الأخرى"(٢) ويرى شمتز ان الزيادة السكانية، والمواد الخام هما مصدر القوة النامية فى العالم الاسلامى، وهذه الزيادة السكانية والخصوبة البشرية يقابلها انخفاض كبير في معدل السكان فى اوربا حيث يعكفون على دراسة اسباب زيادة معدل الانخفاض..

---

(١) انظر: الاسلام قوة الغد العالمية - باول شمتز- ترجمة د/ محمد شامة ص٣٤.
(٢) السابق ص١٩٧.

والاهتمام بقوة الانفجار السكانى في العالم الاسلامى قد ازداد ويدل على ذلك رد الفعل عندما اصدرت فتوى مضمونها أنه لايجوز للاسرة ذات الدخل المنخفض الذي لايكفي احتياجات عدد اطفالها الكثيرين أن تنظم النسل، اذ هو مباح في ظروف معينة وطبقات لشروط خاصة، ودلل المفتى الذي أصدر الفتوى على فتواه هذه بأن تنظيم النسل لايعارض نصا قرآنيا ولايخالف روح التشريع الإسلامى ، فهى مسألة تتعلق بوضع الأسرة الاجتماعى وتتحكم فيها مواردها المالية.. فإن ألحق ضررا بالمرأة من الناحية الصحية فهو حرام.. ويعلق شمتز على الفتوى ورد الفعل الناتج عنها قائلا: " أثارت هذه الفتوى الصادرة من أعلى سلطة دينية فى مصر، اضطرابا بالغ الأثر، لافى مصر وحدها بل في العالم الاسلامى كله، اذ هزت الرأى العام لدى المسلمين.. "

ويبين موقف المسلمين منها فيذكر أن عددا كبيرا وافق المفتى في رأيه حيث يرى هؤلاء الموافقون صواب الفتوى لقدرتهم على ادراك وفهم خطر التزايد السكانى المستمر وتمتعهم بنظر ثاقب يصل به إلي أعماق المشكلة. وممن خالف المفتى رأى أن الثراء فى المواليد دعامة المستقبل السياسى للشرق الاسلامى، فالخصوبة في الانتاج البشرى محمودة ويجب أن تشجع فيرسل لها العنان بل يقدم لها من الامكانات مايمكنها من إعطاء كل مالديها حتى يرتفع عدد السكان فيتمكن على المدي الطويل من التفوق على البلاد الغربية التى ينقص عدد سكانها باستمرار لأن مجتمعاتها لاتتمتع بالخصوبة البشرية.. "(١).

وقد لقى هذا الرأى الأخير استحسانا فى عالم الاسلام وهو يعبر عن نظرة بعيدة المدى فى التوجيه السياسى.

---

(١) باول شمتز- الاسلام قوة الغد العالمية ص٢٠٩.

والحق في هذا أن هذه الفتوى ومثيلاتها لها مكانتها ووجاهتها حيث أرجعت تنظيم النسل إلى ظروف الأسرة المالية والظروف الصحية للأم والطفل وهذا يمثل مرونة في الاسلام واحكامه التى تلائم كل الظروف الا أن الأصل هو التناسل والذرية الصالحة صحيا وخلقيا.

وعندما تتقدم بعض دول الغرب بإعانات إلى العالم الاسلامى فى مجال الصحة والسكان مشترطة بأن تنفق في مجال "تحديد النسل" أو "تنظيم الأسرة" وأن يظهر لذلك التحديد نتائج تؤكد جدوى الاعانة مثلا فإن الأمر يحتاج إلى وقفة تأمل وحذر في النوايا، والتوجهات إلى العالم الاسلامى، إذ أنه كان من الأولي أن تتوجه الاعانات إلى التوسع في الرقعة الزراعية، واقامة المجتمعات العمرانية والتشجيع على الهجرة إليها إذ أن المشكلة ليست كلها في زيادة السكان، وإنما في توزيعهم على الأرض وماينفق من أموال طائلة على تنظيم الأسرة يمكن توجيه جزء منه لاستصلاح الأرض واقامة المجتمعات لتوفير الحياة الرغدة والآمنة للأسرة.

لكن قلق الغرب القاتل من زيادة السكان فى العالم الاسلامى لاينتهى ومحاولاتهم للحد من تلك الزيادة لاينقطع ليس لمصلحة المسلمين، وإنما لخوفهم هم علي مكانة عالمهم من سيطرة الشرق الاسلامى عليه.

ويعبر عن ذلك شمتز بتعبيرات تنم عن قلق وخوف بالغين قائلا: "لو رتب المرء مايملك الشرق من أسباب القوة لبدا له أن الخصوبة البشري ة التى تسبب النمو السريع في زيادة عدد السكان باخذ مكانا لايستطيع المرء اغفاله بسهولة ، فكثرة السكان لها آثارها البعيدة ، لأنها وان كانت لاترى ابعادها بالعين المجردة فى الوقت الحاضر ستحدد بطريقة حاسمة المستقبل السياسى

للعالم الاسلامى، و ستكون من العوامل التى يرتكز عليها أمنه وسلامته" (١).

٣- الثروات المعدنية: يملك المسلمون الثروات والمواد الخام التى يستطيعون بها بناء قوة صناعية تضارع أقوى وأرقي الصناعات العالمية إن لم تتفوق عليها، وسوف تزداد هذه الثروات فى وقت تقل فيه فى البلاد الأخرى مما يجعلهم يتحكمون في توجيه الصناعة في العالم، فيوم يقل الانتاج الغزير من بترول الغرب الذي يغزو اسواق العالم اليوم سيحتل البترول الاسلامى حسب التقديرات المتحفظة جدا بعد اكتشاف باقى حقول الحزام البترولي في غرب آسيا مركزا دوليا هاما وسيصل انتاجه رقما لم يعرف بعد ولايستطيع الخبراء التكهن به لأنه قد يفوق كل تقدير.. يجب الا نغفل عن دلالة هذا التغيير وتأثيره اقتصاديا في مركز العالم الاسلامى على مسرح التبادل التجارى العالمى" (٢).. وان اوربا في نهضتها الصناعية تحتاج إلي المواد الخام بالعالم الاسلامى، ولذا بث الاستعمار فى أغلب أجزاء العالم الإسلامى لنهب هذه الثروات والسيطرة عليها، وقد تنافست الشركات الغربية على امتلاك آبار البترول والحصول على حقوق الامتياز للتنقيب عنه واستغلاله مصدرا للطاقة وقيام الصناعة.

فتنوع الثروات بأرض العالم الاسلامى (٣)، وتعددها وتكاملها فيه أسال لعا ب اوربا والعالم الغربى لاستغلال هذه الثروات والسيطرة عليها وكذا عدم اتاحة الفرصة للمسلمين للانتفاع بها واستغلالها بحيث تشكل مصدر قوة فعلية لهم وهذا مايثير الخوف والحذر من العالم الاسلامى اذا اتحد وتوحدت كلمة المسلمين فى شتى الأمصار والاقطار.

(١) باول شمتز- ص ٢١٠.

(٢) السابق ٢١٨.

(٣) انظر : العالم الاسلامى اقتصاديا- في هذا الكتاب.

٤- الاسلام ذاته : مماثير الهلع والفزع فى قلوب الغرب هو الاسلام كتشريع ودين ، ذلك الدين الذى له قوة سحرية على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية واحدة بعد إزالة الشعور بالتفرقة العنصرية من نفوسهم وله من الطاقة الروحية مايدفع المؤمن إلي الدفاع عن أرضه وثرواته بكل مايملك مسترخصا فى سبيل ذلك كل شئ حتى روحه، يحرص على التضحية بها فداء لأوطان الاسلام . فأى قوة وجدانية بعثت هذه الارادة اليوم فى الشرق؟ قوة الوحدة الفكرية(١) للاسلام ووجود الاحساس الحى للدين الاسلامى، فهو ينتصر في كل مكان ينزل فيه الميدان مع الايديولوجيات الأخرى. . إن إتجاه المسلمين نحو مكة وطن الاسلام عامل من أهم العوامل في تقوية الاتجاه الداخلى بين المسلمين وأسلوب يضفى على جميع نظم الحياة في المجتمع الاسلامى طابع الوحدة وصفة التماسك"(٢).

وهذا المعنى مايؤكده رسولنا الكريم بقوله: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى"(٣). . انها الوحدة العضوية بكل معانيها إنها الشعور بالآلام، والمشاركة في الآمال، انها الاهتمام بأمر المسلمين انها الأخوة والانتماء - وهذا مرده إلي ملاءمة الاسلام للفطرة(٤) الانسانية ، وقيام التشريعات على أساس العقيدة الصحيحة والصلة بالله سبحانه.

إن العالم الغربى يدرك تماما هذه المقومات لقوة العالم الاسلامى ويعلم أن المسلمين لو احسنوا التمسك بدينهم والتزموا تعاليم وادركوا مافيه من روابط

(١) انظر مبحث عقيدة واحدة وفكرة واحدة في التمهيد فى هذا الكتاب .
(٣) شمتر- الاسلام قوة الغد- ص٩٤ .
(٣) سبق تخريجه.
(٤) انظر الاسلام والفطرة فى التمهيد .

الأخوة والمحبة، ولو ادرك المسلمون ما مَنْ الله به عليهم من خيرات فى أرضهم من ثروات زراعية وصناعية وجدوا واجتهدوا وبحثوا ونقبوا واخذوا بأسباب الغنى والتقدم مهتدين بتوجيهات الاسلام من روح التكامل والتكافل والتعاون على الخير، مستغلين في ذلك الكثرة العددية الواعية القوية المنظمة مستفيدين من موقعهم الرائع فى الشرق الاسلامى والقدرة على تحكمهم في طرق المواصلات العالمية وبالتالى في الاقتصاد العالمى- يدرك الغرب أن المسلمين لو استطاعوا الاتحاد والاستفادة من هبات الله لهم ما استطاعت قوة في العالم أن تتصدي لهم ولا أن تنال منهم مهما كانت هذه القوة، فإن قوة الاسلام لها السيطرة وللمسلمين القيادة ولكن. . أين المسلمون من هذه القوى وتلك الهبات الألهية؟ إن الغرب يسعى دائما لتفريق كلمتهم لنهب ثرواتهم. . وشغلهم عن استغلالها بإثارة المشكلات والقلاقل وشغلهم فى حلها ومن هنا كانت نظرات الحذر والخوف من العالم الاسلامى، وعدم ارتياح الغرب لأى تقدم أو استقرار بين المسلمين.

﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾(١). . وإذا كان الغرب وأوربا **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾** (٢) فإن ما أراده الله من عزة للمسلمين هو الحق الثابت والأمل القريب لتجتمع الأمة الاسلامية على كلمة واحدة وعقيدة جامعة وأمل كبير في السيادة والريادة.

---

(١) سورة الأنفال : آية ٣٠ .

(٢) سورة التوبة : آيه ٣٣.

(المبحث الثالث)

(موقف الغرب من العالم الإسلامى)

إتضح لنا فى المبحثين السابقين أن المد الإسلامى وإنتشاره فى مختلف البقاع ثم الجزر والتوقف عن الإنتشار ، ، أطمع الصليبيين فى مطاردة المسلمين والقيام بحملات عليهم يدفعها الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين.

وتبين لنا أيضاً مخاوف الغرب من الإسلام كقوة توفرت لها ل الدعائم والمقومات التى تجعل من المسلمين قوة لا تضارعها قوة فى الغرب وأن هذه القوة تعدد إلى الإسلام ذاته وإلى تشريعاته، ووسيطرته على القلوب والنفوس وأن هذه التشريعات ليست غريبة على تكوين الإنسان بل هى ملائمة لفطرته وطبيعته التى خلقه الله عليها لذلك تمكن الإسلام من القلوب وثبت فيها ، ومن دعائم هذه القوة الموقع الجغرافى بالنسبة للعالم حيث أنه يتحكم فى طرق المواصلات بين الشرق والغرب ، والخصوبة البشرية التى تهدد أوربا بأن تنقلب موازين القوى بين المسلمين وأوربا فبينما عدد السكان فى العالم الإسلامى يزيد معدله، غير أنه يقابله إنخفاضه مستمر فى معدل السكان فى أوربا، ثم الثروات المعدنية وعلى رأسها البترول (المصدر للطاقة)، والثروة الزراعية وفى مقدمتها القطن والمواد الغذائية المختلفة التى يمكن أن يكون فيها تكامل بين دول العالم الإسلامى، وكل هذه الدعائم والمقومات لقوة المسلمين أفاقت العالم الغربى ودول أوربا وجعلت القلوب يسيطر عليها الخوف من الإسلام والحقد على المسلمين.

فيرى قادتهم أن الإسلام مصدر إزعاج وخوف لهم ومانهم من تحقيق مطامعهم فى العالم الإسلامى ، فهو - أى الإسلام - الجدار الصلب والمانع

المتين الذى يحول بين الإستعمار وبين تحقيق مطامعهم فى بلاد المسلمين، وهو الجدار المانع من إنتشار المسلمين، وكذلك هو الذى يحول بين النفوذ الشيوعى إلى العالم الإسلامى، كما أنه الخطر الداهم الذى يهدد إستقرار الصهيونية وإسرائيل، وهذه المعانى يشهد لها تصريحات كتابهم وقادتهم التى نورد قطوفاً منها :

أ ـ يقول لوران« بروان : «إن الإسلام هو الجدار الوحيد فى وجه الإستعمار الأوربى»(١) .

(ب) ويؤكد رئيس وزراء بريطانيا أثر القرآن فى المسلمين : «ما دام هذا القرآن فى أيدى المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق»(٢)

(ج) ويؤكد الحاكم الفرنسى فى الجزائر نف« المعنى : « إننا لن ننتصر على الجزائر بين ما داموا يقرءون القرآن ويتكلمون اللغة العربية..» ثم يبين ما يجب على الغرب فعله بقوله : «فيجب أن نزيل القرآن العربى من وجودهم ونقتلع اللسان العربى من ألسنتهم»(٣) مهويرى أن القرآن بجانب ما فيه هداية ونور يحفظ اللسان العربى على الناطقين به.

(د) وعن وقوف الإسلام سداً منيعاً فى طريق إنتشار المسيحية وفشل محاولات التبشير ، يقول أحد المبشرين : « إن القوة الكافية فى الإسلام هى التى وقفت سداً منيعاً فى وجه إنتشار المسيحية وهى التى أخضعت البلاد التى كانت خاضعة للنصرانية»(٤).

---

(١) البشير والاستعمار ـ الخالدى وفروخ ـ ص١٨٤ . بتصرف .

(٢) الإسلام على مفترق الطرق ـ محمد أسد ـ نقلا عن كتاب «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام وأبيدوا أهله».

(٣) انظر : «قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام» ص٣٨ .

(٤) انظر : المرجع السابق ٣٩ ـ نقلا عن كتاب جذور البلاء ٢٠١ .

(هـ) كتب أشعياء بومان فى مجلة العالم الإسلامى مقالاً عنوانه : الجغرافية السياسية للعالم الإسلامى ذكر فيه أن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى. لهذا الخوف أسباب منها أن الإسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عددياً بل هـو دائماً فى زيادة وإتساع ثم أن الإسلام ليس ديناً فحسب بل أن من أركانه الجهاد، ولم يتفق قط أن شعباً دخل الإسلام ثم عاد نصرانياً»[1].

(و) يقول بن جوريون رئيس الوزراء الأسبق لإسرائيل معرباً عن مخاوفه من الإسلام : «إن أخشى ما نخشاه أن يظهر فى العالم العربى محمد جديد»[2] يعنى أن تعود القوة للإسلام والمسلمين فيجلوا اليهود عن فلسطين كما أجلاهـم رسول الله ﷺ عن المدينة.

هـذا ويعلم كل العالم الغربى التأثير القوى للمنطقة العربية على سائر العالم الإسلامى حيث يتأثر جميع المسلمين بما يجرى فى هـذه المنطقة - يقول شمتز : «تعتبر المنطقة أهـم المناطق التى بدت فيها ظاهـرة العلاقة المتبادلة بين القوى الدينية والقوى الوطنية وقوة تماسكهما لأن كلتا القوتين اللتين تجتمعان فى القومية الإسلامية متكافئتان ولأن ما يجرى على الأرض العربية يحدث صدى فى كل أرجاء العالم الإسلامى فهذه المنطقة - العربية - بالنسبة للمسلمين بمثابة القلب تتوقف على نوعية ضرباته حياة باقى ولذلك يتأثر المسلمون فى جميع أنحاء الكرة لارضية بالأحداث الجارية على أرض هـذه البقعة من وطنهم الإسلامى أن مداً أو جزراً»[3].. وفى هـذا دليل على أثر الإسلام فى الربط

---

(١) التبشير والاستعمار - الخالدى وفروخ - ص١٣١ ط١ المكتبة العصرية - بيروت - حيدرا.

(٢) قادة الغرب يقولون «دمروا الإسلام وأبيدوا أهله» ص٤٠ .

(٣) الإسلام قوة الغد العالمية - باول شمتز - ص١٥٩ .

بين المسلمين وتوحيد صفوفهم.

فعلى ضوء ما سبق نرى أن العالم الغربى يهدف إلى حرمان المسلمين من أسباب قوتهم ، وحرمانهم من إستغلال ما منح لهم ، والإنتفاع به وذلك بالفصل بينهم وبين أسباب قوتهم ووحدتهم فيسعون جاهدين إلى قطع الصلة بين المسلم ودينه بتدميره فى قلوب المسلمين وأضعاف قيمه وتفريغ المجتمعات الإسلامية منه حتى يتحول إلى مجرد شعارات جوفاء يرددها المسلمون هنا وهناك مع تفريغ الواقع من الوجود الإسلامى ، يريدونه مجرد نظريت تتحدث بها الألسنة ويتشرق بها المتكلمون وليس وجود مادى ملموس يؤثر فى مجالات الحياة ونظمها المختلفة.

يقول د/ محمد البهى : «يسعى الإستعمار الغربى السافر أو الإستعمار البلشقى المقنع على تبديد قوة الإسلام ، وإضعاف قوة الإسلام وإضعاف قيمه فى نفوس المسلمين ، وبذلك يكون الطريق معبداً لما يأتى لأن يصبح الملايين من المسلمين إتباعاً للمستغلين لهم والأجانب عنهم ، ولأن تصبح أرض المسلمين التى لا تنفذ لأسياد جدد يضمرون لهم الإحتقار فى حاضرهم ويتمنون لهم الموت فى غيرهم»[1] فالموقف الغربى من المسلمين هو نهب الثروات وإضعاف القوة والسيطرة على البلاد والسياسات لخوفهم الشديد من قوة المسلمين فى عالمهم وكل هذه القوى الحزرة الحاقدة الكارهة للإسلام تعمل جاهدة على تقويض دول العالم الإسلامى وعدم تمكينهم من الإستفادة بثرواتهم وإتحادهم كوحدة آقتصادية وسياسية وعسكرية وتلك أمور ثوابت من صميم الإسلام الذى نظم شئون الحياة ، ولإختلاف يذكر بين المسلمين فى أى منها ، لأن فكرتهم واحدة فى كل المجالات والأسس فى الإقتصاد والسياسة والجهاد ، إذا

---

(١) د/ محمد البهى ـ مقدمة كتاب «الإسلام قوة الغد العالمية» ص٢٢ .

أن الإسلام الذى آمنوا به والعقيدة التى جمعتهم مستقرة فى وجداناتهم وإنتظمت جميع سلوياتهم .

ولذا كانت التحديدات والمؤتمرات والخطط للفصل بين المسلمين ودينهم وإبعادهم عنه وعن قيمه وأخلاقه التى دعا إليها وحث عليها ، وكان الفرد الفكرى والثقافى لعقول مسلمى العالم الإسلامى وكذا تسليط الإستعمار عليهم لنهب ثرواتهم والإستيلاء عليها وحرمانهم منها لضمان إحتياجهم لمساعدة الغرب دائماً.

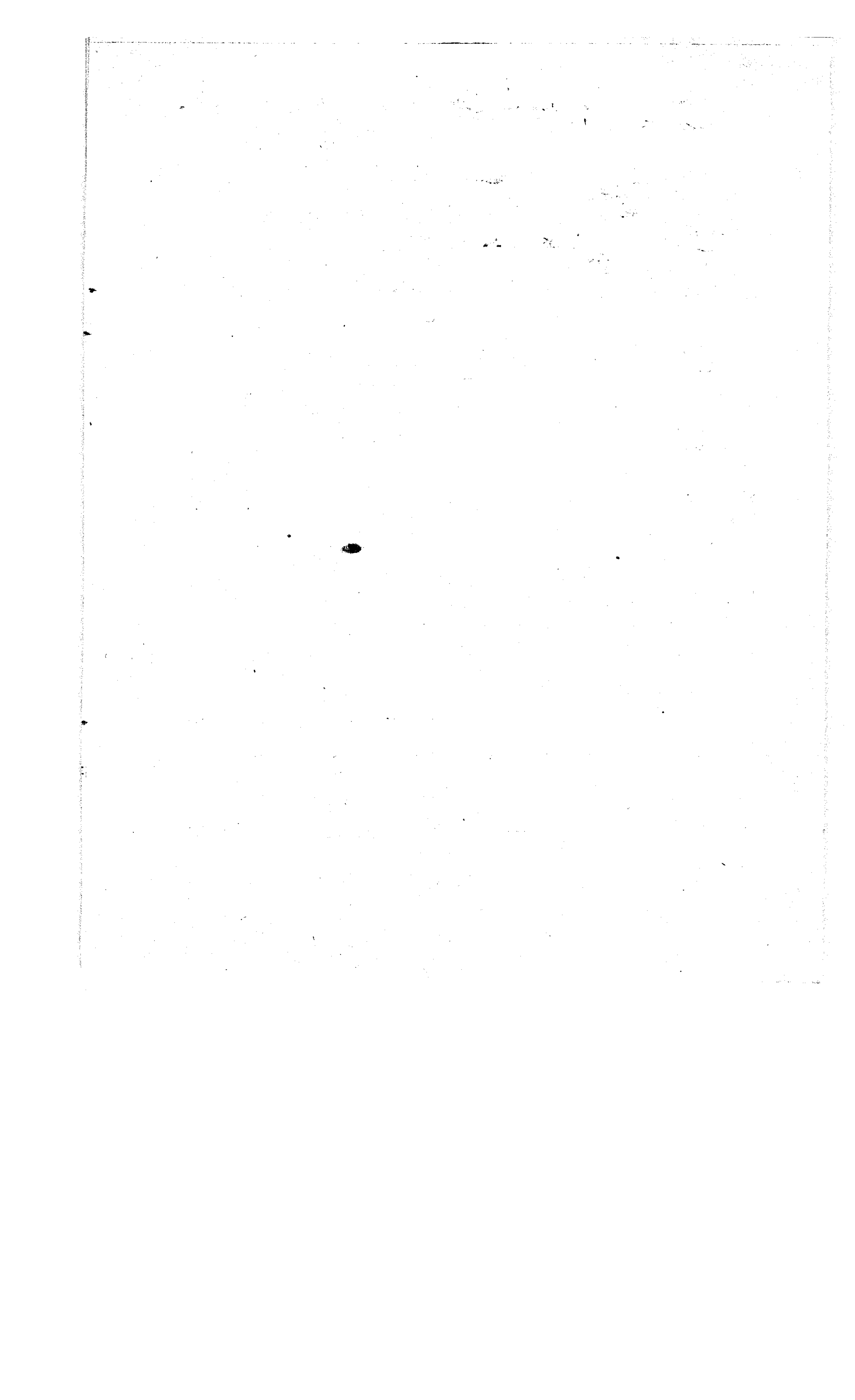
عندئذٍ يمكننا أن نلخص موقف الغرب العالم الإسلامى فى النقاط الآتية:

١ ـ السيطرة على العالم الإسلامى وإستغلال ثرواته وعدم إتاحة الفرصة لأى دولة إسلامية للإستفادة من هذه الثروات متبعاً فى هذه السيطرة كل الأساليب والوسائل المباحة والمحرمة.

٢ ـ العمل على زرع بذور الخلاف والفرقة وإزكائها بأحداث القلاقل وإشعال الخلافات بين دول العالم الإسلامى للإنشغال بها عن مواجهة الغرب والإتحاد ضده.

٣ ـ لما كان الإسلام هو منطلق الوحدة الروحية والمادية والقوة الفطيمة للمسلمين فإنهم يعملون على إضعاف العلاقة بين المسلمين ودينهم لعلم الغرب بأن قوة المسلمين تكمن فى تمسهم بدينهم والإحتكام الى تعاليمه ، وإنهم ـ أى المسلمون ـ يدافعون عن وطنهم بدافع العقيدة والغيرة على الدين والحرص عليه، ويهون على المسلم كل شىء ليروا المعتدى عن وطنه وأرضه.

ولذلك ينبغى على المسلمين ان يأخذوا حذرهم ويتنبهوا إلى مؤامرات أعدائهم ليضمنوا العزة والكرامة والقوة لأمتهم.



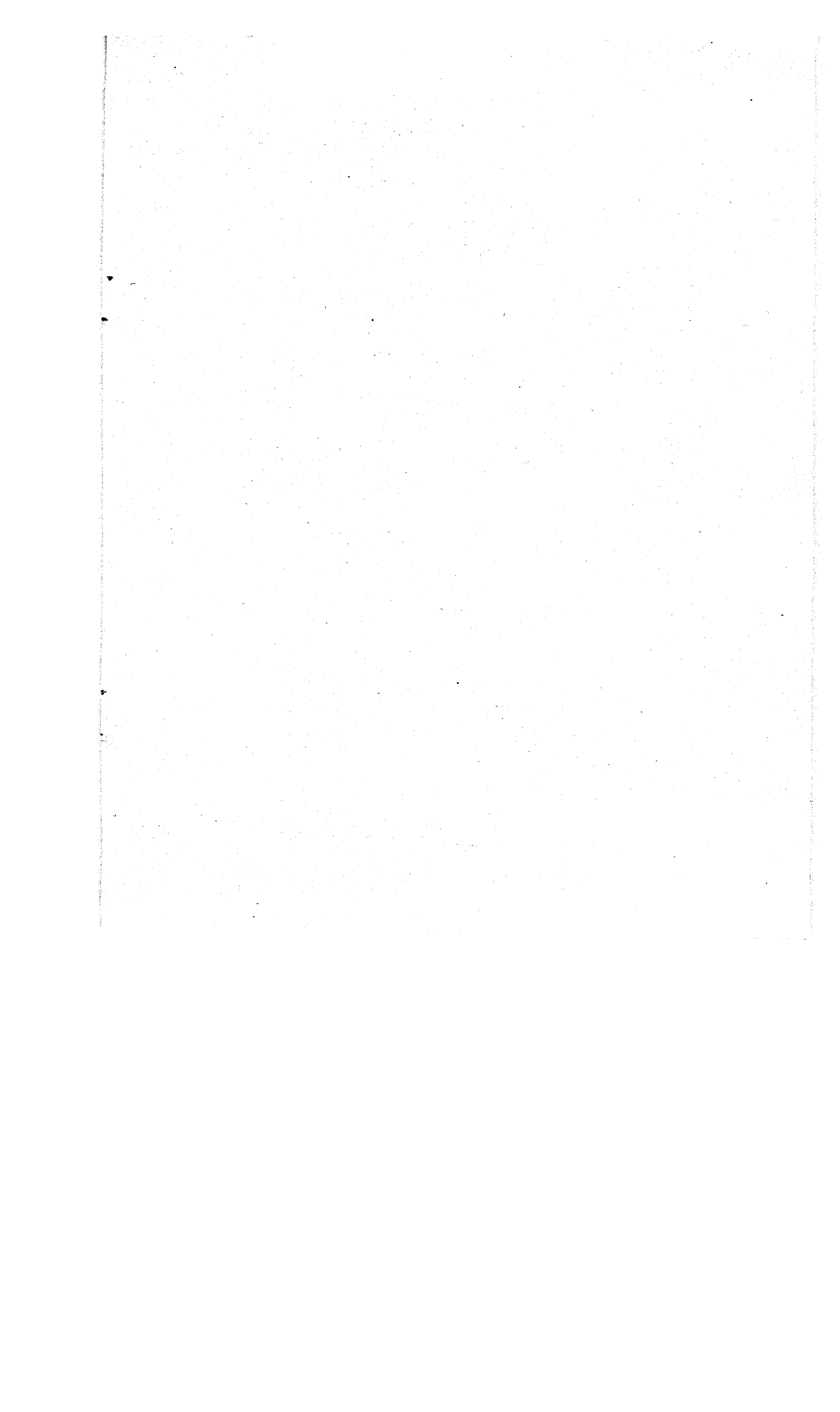
الفصل الثالث

مشكلات وتحديات ....

وحلول ومواجهات ...

المبحث الأول : المشكلات والتحديات.

المبحث الثانى : الحلول والمواجهات .



المبحث الأول

مشكلات ... وتحديات

تبين لنا أن العالم الغربى يتعامل مع المسلمين من منطلق الخوف والحذر والحق والكراهية حيث لا يريحهم مطلقا أن يتقدم العالم الإسلامى وتتحقق له القوة والتماس، وبالتالى الانتفاع بثرواته وهبات الله له من الخيرات، وبالتالى التكامل فى كل المجالات الاقتصادية والعسكرية، نتيجة لهذا كله يكتسبون ثقلاً سياسيا يؤثر إيجابا أو سلبا فى السياسة العالمية، وهذه القوة تعود إلى ركيزة روحية من عقيدة التوحيد واقترانها بالعمل الصالح والسلوك النافع وقوة الفرد والمجتمع التى صانها الإسلام بتشريعاته على نحو ما سبق بيانه[1]، ونتيجة لذلك فإن المواجهة الغربية للإسلام والمسلمين يعتمد على إثارة المشكلات وإيجاد التحديات، منها ما يتوجه إلى قطع الصلة بين المسلم ودينه ومصدر قوته، وتوهين العلاقة بين العبد وربه مما يجعل نهبا وهدفا لشياطين الإنس والجن وتفريغ القلب والمجتمع من الإسلام والقوة الروحية التى زرعها فى الفرد والمجتمع .

ومن المشكلات ما يتوجه إلى السيطرة على الثروات الطبيعية وسلبها والسيطرة على مصادرها وحرمان أصحابها منها، والواقع أن التوجهين متواليان لا متوازيين، فالمسلم إذا فقد الدعم المعنوى والقوة الروحية الناشئة عن قوة عقيدته وصلته بربه وثقته فى وعده بالنصر أو الشهادة عند الجهاد والقتال للدفاع عن الوطن ..

فإنه يسهل على المستعمر الوصول إلى البقعة المستهدفة للتحكم فى مصادر

---

(١) انظر : عناصر القوة الذاتية ، والخارجية فى هذا الكتاب .

قوتها ونهب ثرواتها أو على أضعف الاحتمالات تعطيل المواطنين عن الانتفاع بها وشغلهم بمقاومته وحل المشكلات ومواجهة التحديات التى أحدثها وجوده فى بلادهم .

ومن المشكلات التى سنعرض لها على التوالى :

١ ـ الاستعمار :

لو تأملنا أحداث التاريخ والواقع الموجود لوجدنا أن أغلب العالم الإسلامى قد ابتليت دولة وأقطاره بالاستعمار والتسلط الأجنبى عليه ، استعمار عسكرى أو ثقافى ، وهو ـ أى الاستعمار ـ له علاقة وطيدة بجماعات التبشير المسيحى فهو خادم له يسهل له أعراضه .

بالسيطرة على البلاد المبتلاه ، وقد نشرت مجلة سويسرية مقالة عن موقف ارساليات التبشير فى المؤتمر الاستعمارى الألمانى جاء فيها : أن المؤتمر الاستعمارى امتاز بميزتين ، الأولى : أنه بحث فى الستون الصناعية والاقتصادية ، والثانية : اجماعية على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى الأعمال الأخلاقية والدينية فى سياسة الاستعمار الألمانى ، واستشهد كاتب المقال بقول (شنكال) رئيس غرفة التجارة في همبرج : إن نمو ثروة الإستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون إلى المستعمرات وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية ادخال الدين المسيحى فى البلاد المستعمرة لأن هذا هو الشرط الجوهرى للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية،[1] وهذا يؤكد لنا بوضوح مدى الصلة الوثيقة بين المستعمرين والمبشرين وأن هناك التقاء فى أهدافهم ، حيث يعتبر المستعمر أن قوة المسلم فى

---

(١) القارة على العالم الإسلامى ـ أ.ل شاليه ـ ص٤٩ ، وانظر باول شمتز ص٢١١ .

دينه ويهمه قطع الصلة بينه وبين دينه ركيزة قوته ، ليسهل السيطرة على البلاد ولذا فإن القضاء على الدين وإزالة معالمه وسيلة للحصول على المكاسب الاقتصادية من البلاد المستعمرة ، والمبشرون يهدفون إلى القضاء على الدين أيضا وإزالة معالم الإسلام وتنصير الدولة المستهدفة ومن هنا التقت الأهداف والجهود للقضاء على الإسلام ليسهل للمستعمرين السيطرة على البلاد ، بينما يسهل المستعمرون للبشرية مهمتهم فى التنصير وهذه الصلة بين الاستعمار والتبشير يؤكدها الواقع :

* فعندما حط الاستعمار البريطانى رحاله فى كينيا كان شغله الشاغل تشجيع التبشير المسيحى ليقف فى وجه المد الإسلامى ، وإذا كانت «كينيا» من دول الأقليات المسلمة ، فإن ذلك لا يعنى أكثرية مسيحية ، بل إنهم قلة لكنها أقلية تمسك بزمام الأمور فى ظل النفذ الأجنبى .

* وكذلك ما حدث فى غانا تلك الدولة التى تزيد نسبة المسلمين فيها عن ٥٠ ٪ من عدد السكان عندما دخلها الإسلام عن طريق بعض القبائل المسلمة، والتجار المسلمين ، وأدى المسلمون فيها دورهم فى الجهاد مع نكردوما ولكن عند الإستقلال يتنكر النظام الحاكم للمسلمين وجهودهم تحت ضغوط هيأت التبشير وحوصر الإسلام من عدوين الصهيونية والصليبية[١].

والتبشير الصليبى فى أفريقيا وآسيا تحركه العقيدة ، وهو فى نفس لوقت يمهد لسياسة الإستيلاء على مقدرات الإسلام عقيدة ونظاما وشعوبا .. وقد مهدت الإرساليات التبشيرية التنصيرية السبيل إلى التدل السياسى فى صورة الإستعمار المزود بالقوة العسكرية لتكون سندا للتبشير دعونا له على أداء مهمته،

---

(١) انظر تفصيل الموضوع فى : محنة الأقليات المسلمة ـ محمد عبد الله السمان ـ ط الأمانة العامة.

وهذا ما حدث فى آسيا : التبشير يسبق الاستعمار ، ثم يأتى الاستعمار ليكون ظلا للتبشير»[1] ، وللاستعمار أساليبه فى السيطرة ففى أفريقيا قضى على عوامل الأزهار ، وحاول أن يغير صورة التاريخ والحاضر القوى ويقضى على إثارة الحية ، وذلك كمحاولة لتصوير الوجود الاستعمارى بأنه كان عاملا من عوامل التنوير والثقافية والنهضة ، والحق أن المستعمرين أدخلوا نظمهم السياسية وقواتهم العسكرية الأوربية ومنظماتهم التبشيرية إلى أفريقيا وقضوا على السلطات الإسلامية أو سلبوها سلطاتها ووضعوها تحت الوصاية وفرضوا العزلة على هذه البلاد وقطعوا صلاتهم بالعالم الخارجى وطوقوا القارة الأفريقية بالقواعد العسكرية ونهبوا ثرواتها وإستعبدوا أهلها وحاربوا الثقافة الإسلامية حربا متكافئة (حيث ملك الإستعمار والمبشرون قل الإمكانيات والإمدادات والدعم ، بينما لم يملك المسلمون إمكانيات تذكر مادية أو معنوية) كما حرصوا على طمس معالم الحضارة الإسلامية والتراث الإسلامى حتى لا يستطيع المسلمون التعرف عليه .

ومن خطط الإستعمار : «إرسال الرواد أولا : بدعوى إكتشاف المجهول من البلاد ، ثم يتبعهم التجار والمرسلون الدينيون لتمهيد الطريق وعندما تتيسر تجارتهم فى البلاد ويصبحون أصحاب منافع عظيمة يؤلفون الشرات الكبرى التى تمنحها الحكومة حق تعبئة الجيوش وضرب العملة ووضع القوانين الأحكام حتى إذا ما دوخت العباد حلت محلها الحكومة نفسها بعد تعويض مساهمى الشركة ـ فتملك الدولة المحتلة بذلك بلاداً واسعة لو أرادت أن تفتحها بالقوة بادئ ذى بدء لكلفتها الأموال الطائلة والنفوس العديدة »[2] ... أى أنها تبدأ

---

(١) انظر : محنة الأقليات المسلمة فى العالم ص٩٣ : ٩٥ . بصرف شديد .
(٢) انظر : العالم الإسلامى والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى ـ أنور الجندى ـ ص١٥٣ ـ ط دار الكتاب اللبنانى .

عملية استكشافية تم اقتصادية مسيطرة على اقتصاد الدولة ، وتكون هذه السيطرة ممهدة للغزو والاحتلال .. فليأخذ المسلمون حذرهم ، وليفطنوا لوسائل الاستعمار .

٢ ـ التبشير :

مع أننا قد أشرنا إلى العلاقة القوية والصلة الوثيقة بين الإستعمار والتبشير إلا أننا فى هذه الفقرة نهدف إلى إبراز غاية التبشير ووسائله فى أداء مهمته وأساليبه للوصول إلى غايته ومدى نشاطه فى العالم الإسلامى .

وقد وقد بين لنا القرآن الكريم غاية جهود المبشرين وهى تنصير العالم والقضاء على الإسلام وجعل العالم كله تابعا للصليبية ، فقال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ **«... ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم»**[(١)]، ويقول : **﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾**[(٢)]، وقال : **﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم﴾** ، فالغاية هى اتباع ملة الكفر ، وإن القتال يدور والخطط ترسم والمؤامرات تحاك ولا تنتهى حتى يرتد المسلمون عن دينهم وينجح الصليبيون فى دعم التبشير المسيحى إذن : الغاية هى نصير العالم وجعله يدور فى فلك الصليبية .

ويفصح عن هذه الغاية المبشر القس «زويمر» حيث يدعو النصرانية كلها إلى توحيد العمل وسن الغارة على الإسلام من كل جهة ، ويحث على اغتنام فرصة الضعف العظيم الذى حل بالإسلام على أثر الحرب العامة وانهيار قوته السياسية لأجل جوب أقطاره والجوس خلال دياره وتأسيس مراكز للتبشير فى

---

(١) سورة البقرة : الآية ١١٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

(٣) سورة الكهف : ٢٠ .

البلدان الإسلامية التى كان دخول المبشرين إليها ممنوعا» ثم يقول : « إن الإسلام قد تلاشتا قوته وأنهارت دعائمة ويسقطت مكانته الأولى ومشت سكة الأجنبى فى حقله ، فلا تناسب زيادة قهرة وعفائه والظهور بمظهر الشماتة لئلا يحرك ذلك من عصبية أهله وتثير من نخوتهم وتؤجج نيران أحقادهم فينهضوا ويثوروا للمقاومة .. ثم يرسم الأسلوب الذى يجب إستخدامه : بل يلزمنا أن نأخذهم بالوداعة والملاحظة ونذرف الدموع لأجل أن نستل سخائم صدورهم ونتمكن من حرث ذلك الحقل الذى صار مباحاً .. إنه يتحتم سوق الحملة بحكمة ومهارة .. ولا يعنى ذلك الضعف ولكن يتحتم سوقها بشدة ويجب على الكنيسة أن تعبئ جميع قواها من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب تحت راية مؤسسها وتشن هذه الغارة على الإسلام أن تصل إلى غايتها»[1] فوسائل الخداع والقوة والعنف هى ركيزة التبشير كما أشار «زويمر» ، ولذا كان التبشير خادما للاستعمار حيث إن الزحف الاستعمارى على عالم الإسلام يركز على عملين أساسين .

أ ـ إقناع الرأى العام أن ما يقوم به الاستعمار عمل حضارى وإنشائى يهدف إلي ترقية البشرية باعتبار أن الجنس الأبيض هو صاحب الحضارة .

ب ـ تحويل العقلية الإسلامية عن مفاهيمها الأساسية وأثارة الشبهات حول مقومات فكرها الإسلامى وذلك كمقدمة لتذويبها فى الفكر الغربى بإعتباره الفكر العالمى المعاصر المسيطر وبذلك يفقد العالم الإسلامى قيمته الأساسية ويستسلم للإحتواء الغربى ويسقط كفريسة ذليله فى يده.

---

(١) انظر : حاضر العالم الإسلامى ـ لوثروب ستودارد ـ جـ١ ص٢٨٢ .

ولابد لتنفيذ هـذا من إتخاذ «جهاذ فكرى» له مؤسسات فى مختلف أجزاء العالم الإسلامى ، وهـذا الجهاز هـو : «الإرساليات التبشيرية» التى كان لها دور عميق المدى فى خلق نيار جديد مؤمن بالفكر الغربى يدافع عنه لا يقف من الإستعمار موقف الخصومة..

وتقف من وراء حركة التبشير : (مؤسسة الإستشراق)[1] : التى هـى المصنع الذى يعد الشبهات والطعون ويقدمها للعاملين فى حقل التبشير لنشرهـا والإذاعة بها.

وهـناك حقيقة يجب تقريرهـا أن هـدف التبشير لم يكن فى أساسه تحويل المسلمين إلى أديان أخرى ، فقد تأكد للدعاة منذ أول الطريق إستحالة ذلك ، ولكن الهدف الأكبر هـو إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم أساساً..»[2] وترجع إستحالة تحويل المسلمين عن دينهم إلى أديان

---

(١) الإستشراق هو ذلك التيار الفكرى الذى تمثل فى الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامى التى شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ولقد أسهم هذا التيار فى صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامى ، وهناك مستشرقون منصفون تخلوا عن عصبيتهم ضد الإسلام مثل : هادريان ريلاند ـ هولندى الجنسية ـ يوهان ج ريكسة ـ ألمانى اتهم بالزندقة لموقعه الإيجابى من الإسلام ـ جوستاف لوبون ـ فيلسوف مادى ـ جاءت أبحاثه منصفة للإسلام ـ زيجريد هونكه ـ أمريكية منصفة ، وهناك مستشرقون متعصبون، أمثال : جولدزيهر ، مجرى يهودى ـ جون مايناردـ، أمريكى متعصب ـ س . م زويمر ـ مبشرا أمريكى ، ويهدف الاستشراق عموما إلى التشكيك فى القرآن، والتعليل من قيمة الفقه ـ واضعاف روح الإخاء بين المسلمين. وهو خادم للمبشرين والاستعمار معا (موسوعة الميسرة ص٣٥ وما بعدها . بتصرف شديد .

(٢) انظر : العالم الإسلامى والاستعمار ـ أنور الجندى ـ ص٤١٦ .

أخرى إلى موافقة الإسلام ، وملائمة تشريعاته للفطرة السوية والإنسان لا يتخلى عن فطرته بيسر ، وهذا ما يجعل مهمة المبشرين صعبة لمصادمتهم الفطرة.. فإنه «لا تبديل لخلقه الله» بتغيير فطرتهم.

ومكانة التبشير من الإستعمار، تتلخص فى أن الإرساليات التبشيرية تعتبر مقدمات الإستعمار وطوالعه الممهدة له ، فحيث مد النفوذ الأجنبى نفوذه فى العالم كانت هذه البعثات هى القوى المتقدمة والطلائع المتقدمة»[1] ويهدف فى مخططاته إلى :

١ - القضاء على الرابطة الإسلامية الجامعة للمسلمين أى القضاء على وحدة الفكر والعقيدة والعبادة التى تجمع بين الأمة الواحدة فى كل أرجاء العالم.

٢ - إعداد خطط الفصل والوقيعة بين العرب والترك ، أى بذر بذور الشقاق والخلاف ولفرقه بين المسلمين لأن أساس الضعف هو الفرقه وإختلاف الرأى والتعصب له.

٣ - إعداد خطط الفتنه والخلاف بين المسلمين وغير المسلمين والعرب.

٤ - تمكين الصهيونية من السيطرة على فلسطين سيطرة عسكرية وايديولوجية لتكون شوكة تعوق العرب والمسلمين عن التقدم ، لإنشغالهم بها وبالقلاقل التى تحدثها ، ونيران الفتن التى تشغلها.

---

(١) السابق ص ٤١٨ .

ويتواجد المبشرون فى أفريقيا وآسيا بكثرة مدعمين معنوياً ومادياً من الدول الصليبية الكبرى كبريطانيا ، والولايات المتحدة ، وفرنسا التى تساند وجودهم وإقرار وسائل تبشيرهم ودعمها مالياً وعسرياً وسياسياً ، وقد تختلف الأنظمة السياسية فى هذه الدول وغيرها من مساندى التبشير لكنهم يتفقون جميعاً على كراهية الإسلام والعمل لأضعاف شوكته فى المجتمعات الإسلامية ، ودعم حملات التبشير فى كل أجزاء العالم .

ويستخدم المبشرون وسائل إجتماعية ظاهرها الرحمة والشفقة ، وباطنها العذاب واللعنة ـ حيث يعزون القلوب بأعمال ومساعدات ظاهرها الخير والإصلاح ، وأهم هذه الرسائل :

أ - التبشير عن طريق الطب : وذلك بتقديم العلاج للمرضى فى المناطق المتهدفة ، حيث يتردد المريض على المستشفى أو المستوصف لمتابعة العلاج ، وأثناء ذلك يتم ممارسة التبشير ، ولا ريب أن الطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس حتى أولئك الذين لا يخالطون غيرهم ، ولذلك قال المبشرون أن بإمكان الطبيب المبشر أن يصل تبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بوسطة المرضى الذين يعالجهم ، ثم انهم فرضوا أن يكون الطبيب المبشر «نسخة حية من الإنجيل». إن بإمكانه أن يغير الذين حوله ويجعل منهم لضارى حقيقين أو أن يترك فى نفوسهم أثراً عميقاً على الأقل» [1] وتتبين أهمية المستشفيات والمستوصفات كمجالات للتبشير ، ونشر معالم النصرانية فى قلوب المرضى ، بمشاركة كبر الأطباء الذين هم فى حقيقة الأمر مبشرون ، ويجب ألا نعجب إذا علمنا أن

(١) التبشير والاستعمار ـ فروخ والخالدى ـ ص٦٠ .

أكثر الأطباء البرتشتانت الذين نفرق أسماءهم ما جاءوا بلاد العرب الأحياء لتبشير لا لتطبيب ثم أن جلهم أن لم نقل كلهم قد أوقع بالبلاد إضراراً تفوق الخدمات الطبية التى أسدها إن آسادورج ، وفورست ، وكارنيليوس فانديك وجورج بوست ، وتشارلز كلهون ، ومارى ادى ، والدكتور طومسون كلهم كانوا أطباء فى الظاهر أما فى الباطن فكان ضررهم على البلاد يزيد أو ينقص بحسب الإستعداد الشخص لكل واحد منهم... وهؤلاء الأطباء أنشأ نفر منهم مستوصفاً فى السودان وكانوا لا يعالجون المريض أبدا إلا إذا حملوه على الإعتراف بأن الذى يشفيه هو المسيح» وفى الحبشه كان العلاج لا يبدأ إلا بعد أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم ، وفى اليمن : كانوا لا يبدأون العلاج للمرضى إلا بعد أن يكرزوا عليهم..»[1] وهذا كلمة يؤكد لنا مدى إعتماد التبشير على الطب. مستغلا فى ذلك آلام المرضى وحاجتهم إلى العلاج وحرصهم عليه.

(ب) **التعليم** : ونعنى إعتماد المبشرين على مجال التعليم وإستخدامة مجالاً للتبشير ، وذلك بإنشاء المدارس وتزويدها بالأستذة المسيحيين مائة فى المائة يبشرون فى العملية التعليمية بمبادىء النصرانية وشرح الإنجيل ، وإعتبروا آن المدارس هى المبشر الأول ، ولقد أساء المبشرون إلى أشرف المبادىء الإنسانية : إلى العلم لما إتخذوا منه وسيلة إلى التبشير إذ أن الأب الذى يأتمن على إبنه مدرسة ما من المدارس يقدم أثمن ما لديه وهو يعتقد أنه وضع إبنه - وهو لا يزال ساذجاً بريئا - بين

(١) المرجع السابق ص ٦٣ .

يدى أنبل الناس بين يدى المعلمين ، ولكن المعلم المبشر مخلوق قد نفرت من قلبه أجمل معانى الإنسانية ، قد نفرت من قلبه الأمانة والإستقامة والصدق ، إذ أن المبشر إذا تعرض وإنه يتعرض لرجل ناضج محاولاً إستماليته أما أن يتخذ هـذا المبشر أشرف ثوب أسبقه الله على الإنسانية ليخادع به الأطفال فهذا منتهى الكفران للأمانة التى وضعها الله فى رقاب البشر : خان أمانة التعليم.

وعن طريق المدارس المسيحية كمدارس الأحد يتلقى الطلاب المسلمون فيها محاولات التنصير، «ويسير العمل التبشيرى بالمدارس بحسب تدرج المراحل التعليمية ففى مرحلة التعليم الثانوى والجامعى يأخذ التبشير أسلوب المناقشة والبحث العلنى ويحاول المبشر أن يعتمد كثيراً على الكتب الإنجليزية أو الفرنسية ومما لوحظ أن هـؤلاء الطلبة ليسوا على شىء من المعرفة والتعليم والفقه بالأمور الدينية وهـذا مما يساعد على العمل التبشيرى مساعدة إيجابية ويذهـل المسلم حين تبشيره بالنصرانية من القرآن الكريم»[1] اى أن المبشر يبدأ حوره مع فريسته من مسلماته من القرآن ثم يلقى إليه المغالطات التى تستطيع إدراكها فيسلم بها، لأنه لا يستطيع الرد عليها.

(ج) التبشير عن طريق المرآة : ومن الوسائل التى يعتمد عليها المبشرون المرآة لما لها من تأثير فى أسرتها على أولادهـا وزوجها ، فيعدون المرآة المبشرة الطيبة ، ولم ينسى المبشرون مقام المرآة فى الأسرة فوجهوا إهـتمامهم إلى التأثير عليها وجعلوا يبشرون فى مستشفيات النساء

(١) الاستشراق والتبشير وصلتهما بالامبريالية العالمية - إبراهيم خليل أحمد - ص٧٥ .

وفى المستوصفات ، وكذلك أرسلوا الطبيات المبشرات إلى القرى للإتصال بالنساء وإستخدام نقود المرأة فى الوصول إلى أهدافهم التى يزعمون إنها نبيلة.. وقد إستغلوا كل شىء فى سبيل التنصير حتى الممرضات يرى المبشرون أن الممرضة لا تعمل على تخفيف الألم عن المرضى فقط دائماً نحمل إليهم رسالة المسيح»[1] وما للمرأة من تأثير وسحر على البعض قد مستجاب لها وتصادف نجاحاً فى مهمتها، ولذا فإن مراقبة الطبيبات أو الممرضات غير المسلمات أمر لابد منه حتى لا تتسلل إلى قلب وعقل من تعالجه تسلل الميكروب إلى الجسم.

ويضع المبشرون فى إعتبارهم طرقاً وأساليب خاصة للتبشيرين الأميين الذين هم خارج نطاق المدارس.

ومن خلال هذه الأنشطة التبشيرية نرى مدى ما يبذل فيها من أموال طائلة وتكاليف باهظة على المدارس والمستشفيات والمستوصفات والاعداد العلمى والنفس للمبشرين مما يبين لنا الدور الكبير الذى تقوم به المؤسسات الصليبية من بذل الأموال ، ومساعدة الدول المؤيدة لها بالدعم المادى والمعنوى .

٣ - الوجود الصهيونى : الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمى إلى إقامة دولة لليهود ويحكم من خلالها العالم كله ، واشتقت «الصهيونية» من اسم جبل صهيون فى القدس حتى تطمع الصهيونية أن تشي فيها هيكل سليمان وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها ، وقد ارتبطت

(١) انظر : التبشير والاستعمار ص٦٤ .

الصهيونية بشخصية اليهودى النمساوى «هر تزل» الذى يعتبر الداعية الأول للفكر الصهيونى وتستمد الصهيونية فكرها من الكتب المقدسة التى صرفها اليهود وصاغت هذا الفكر فى «بروتوكولات حكماء صهيون».

وتهدف إلى السيطرة على العالم كما وعدهم إلههم «يهوة» وتعتبر المنطلق فى ذل هو إقامة حكومة على أرض الميعاد الممتدة من النيل إلى الفرات وأن أنسب الطرق لذل هو إقامة الحكم على أساس التخويف والعنف ، كما يرون أن العهد الذى كانت فيه السلطة إلى الدين قد انتهى ، والسلطة اليوم للذهب فقط فلابد من تجميعه فى قبضتهم بكل وسيلة ليسيطروا على العالم ، كما يرون أنه لابد من إغراق الأمميين فى الرذائل بالتدبير عن طريق من يعدونهم لذلك من أساتذة وخدم وحاضنات ، وأنه لابد من بث الفزع الذى يضمن لهم الطاعة العمياء ، ويجيزون خداع الناس بالشعارات الزائفة ولابد من إشعال نار الخصومة الحاقدة بين كل القوى لتتصارع مع جعل السلطة هدفا مقدسا تنافس كل القوى للوصول إليه ، ولابد من افتعال الأزمات الاقتصادية لكى يخضع لهم مع السيطرة على الصناعة والتجارة ..

وهى ـ أى الصهيونية ـ منتشرة فى أغلب بقاع العالم ، حيث أن «الماسونية»[1] تتحرك بتعليم الصهيونية وتوجيهاتها وتخضع لها زعماء العالم ومفكرية ، كما أن مئات الجمعيات فى أوربا وأمريكا فى مختلف المجالات التى

---

(١) «الماسونية» معناها البناؤون الأحرار ، وهى منظمة يهودية رية ارهابية غامضة تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعوا إلى الإلحاد والإباحية والفساد ، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة فى العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام ـ وكانت تسمى فى عهد التأسيس بالقوة وهدفها التنكيل بالنصارى وتقوم على الكفر بالله ورسوله وبكل العينات ، ولها وجود فى كل العالم تقريبًا .

تبدو متناقضة فى الظاهر لكنها كلها تعمل لمصلحة اليهودية العالمية(١).

وقد قام بها أصحابها فى مواجهة التحديات والاخطار التى وجهت اليهود فى أوربا والاضطهاد الذى واجهوه فى أجزاء كثيرة منها.

وكان تطلع إلى إيجاد وطن قومى فى أى بقعة من بقاع العالم والهجرة إليه ، وقد التقى ذلك مع غاية الاستعمار الذى عندما هدف إلى إقرار وجوده فى العالم الإسلامى فكر فى إيجاد حاجز بشرى بين إفريقي وآسيا ليفرق بينهم ومن شأنه أن يحول دون وحدة هذا العالم وتجمعه وقد تلقفت الصهيونية هذا القرار وطمعت فى أن تحقق وجودها بالحصول على أرض فلسطين لتكون مقرا للدولة الصهيونية ، ولتكسب الصهيونية وجودها فى فلسطين اتبعت ل الأساليب والوسائل المباح منها والحرام ، ولإثبات الحق التاريخى فى فلسطين زورت كتابات التاريخ ووضع الموسوعات والكتب باللغات المختلفة وكذلك القصص المسرحية والسينمائية التى تحاول فرض نظريات جديدة قوامها القول بأن إسرائيل هو الشعب المختار الذى واجه الاضطهاد وعلى مدى التاريخ ، وقد استطاعت فرض هذه الدعاوى على الفكر العربى .. إلى أن تم لهم ذلك بوعد بلفور الذي كان به إقامة كيان صهيونى فى قلب فلسطين ، وكان بالماسونية الصهيونية بالاشتراك مع النفوذ الأجنبى تحقق أخطر خطوات تمزيق الوحدة الإسلامية (٢).

ومشكلة فلسطين القائمة على المسرح العربى والعالمى إنما هى صناعة صهيونية يهودية وكفاح الشعب الفلسطينى المستمر وقتل المئات منهم وتشريدهم وإقامة المستوطنات الإسرائيلية على أرضهم إنما هى خطوات لتهويد هذه المنطقة،

(١) انظر : الموسوعة الميسرة ص٣٣٦ - بتصرف شديد .

(٢) انظر : أنور الجندى - العالم الإسلامى والاستعمار - ص٤٢٩ : ص٤٣٧ . بتصرف

وتكمن الخطورة فى القضية أن إسرائيل تفرغ الدولة من سكانها الأصليين وإحلال اليهود عن طريق التهجير والتوطين، ومن عام ١٩٤٨ إلى الآن والقضية معلقة : أرض مغصوبة وأصحابها لاجئون، وتبذ الجهود المضنية لحل المشكلة، محادثات سلام تتعثر فى سيرها، وتتوقف أكثر مما تسير، واعتداءات متكررة على الشعب الفلسطينى فى غزة والقدس، وانتهاكات متوالية لكل الاتفاقيات ويتحرك العالم الإسلامى وتعقد مؤتمرات ثم تنفض، وتتم اجتماعات ثم تتجمد نتائجها .. وآخر مؤتمر فعال في هذه لقضية : المؤتمر الإسلامى الذي عقد أخيرا فى إسلام أباد ويتخذ قرارات جريئة وتعرض هذه القرارات على لجنة القدس «بالرباط» ثم اجتماع العرب فى «جامعة الدول العربية» لتصدر قرارات مقاطعة التطبيع مع إسرائيل ان هى ظلت علي انتهاكاتها للاتفاقيات الدولة من أجل تحقيق السلام .. وكل هذا (مؤتمر إسلام أباد ـ لجنة القدس ـ اجتماع جامعة الدول العربية) يتم فى عضوية أيام قلائل من شهر مارس ١٩٧٩ ـ وهذا يدل على شعور جميع العرب والمسلمين بخطورة الكيان الإسرائيلى، وقد حققت هذه اللقاءات خطوات واسعة واظهرت أن قوة المسلمين تكمن فى وحدتهم وتماسكهم واتحاد رأيهم واجتماعهم على كلمة سواء فى قضية استشعروا جميعا خطرها وأعدوا أنفسهم لها واضعين أمامهم ونصبت أعينهم تلك الحقيقة القرانية : ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾ وقائل هذه الحقيقة هو الله الذى برأ النفوس وسواها ويعلم حقيقتها وما تخفيه وما تعلنه ليكون الحذر والاعداد لمواجهة كل الاحتمالات سلمية أو عسكرية معتصمين بالله، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

٤ ـ مساندة الدعوات الهدامة وتعيد مفاهيم الإسلام : واجه العالم الإسلامى حركتين فكريتين : أولاهما : حركة اليقظة الإسلامية التى

حمل لواءها دعاء التوحيد ورواد الدعوة إليه ، وقد عملت هذه الحركة علي بعث مفهوم إسلامى صحيح دينا ونظام مجتمع متكامل لا ينفصل متماسك كما أحيث القيم الإسلامية فى شتى المجالات : الاجتماع والتشريع والسياسة والاقتصاد والتربية بمفهوم صحيح على النحو الذى فهمه السلف الصالح ، فجعلت من تشريعات الإسلام كيانا له وجود ملموس محسوس فى كل مجالات الحياة .. إلا أن الاستعمار لم ترحه هذه الحركة الباعثة لحياة المجتمعات بغذاء الشريعة والعقيدة الإسلامية فواجه هذه الحركات الداعية إلى التوحيد بحركات أخرى هدامه عنيفة أيدها النفوذ السياسى والعسكرى وأتاح لها من المؤسسات والأساليب والقوى ما دفعها إلى الصدارة فى الجامعة والمدرسة والصحافة والثقافة وساند دعوتها وأنصارها بأن اسند لهم كبريات المناصب فى القيادات السياسية والفكرية والاجتماعية بينما عزل قيادات الحركة الإسلامية الأصيلة ونحاها وجمدها فى الظل حتى لاتكون ذات فعالية .. والحركة الفكرية الثابتة فهي التى تمثل تحديات الاستعمار نفوذه متمثلة فى صورة دعوات اتصلت بالدي، أو بالجنس ، أو بالقومية مستغلة نصوصا قديمة لتعميق الخلافات واثارة الشبهات وأثارت خلافات قديمة كانت قد ماتت فعلا وذلك للحيلولة دون التقاء العالم الإسلامى على وحده فكرية ، ومن زبرز هذه الحركات : الإلحاد والإباحية والدهرية ، ومن أخطر المؤسسات الماسونية وإرساليات التبشير ، وأخطر الدعوات البهائية ، والحركات ذات الطابع الدينى فظهرا إلا أنها تحمل مفاهيم مضللة كالقاديانية وإن مظهرها متداخل يحمل اسم الإسلام وهى بعيدة عنه.

كما أن هناك دعوات قومية ضيقة تهدف إلى فصل قطر معين عن بقية الأفكار وأخوته الإسلامية - وهى دعوات ترفع شعارات براقة مثل : «مصر للمصريين» و «سوريا للسوريين» و «السودان للسودانيين» و «تركيا للأتراك»

... وهكذا ـ وتهدف هذه الدعوات إلى فصل كل قطر : مصر ـ السودان ـ سوريا ... إلخ عن بقية الكيان الإسلامى مجمدة الرابطة الإسلامية والأخوة الإيمانية بين كل هؤلاء فهى دعوة انفصالية انعزلية ، انعزال عن الفكر الإسلامى الصحيح واعتماد كامل على الفر الغربى الخالص ..(١)

ولما كانت البهائية والقاديانية من الدعوات التى ارتدت ثوب الإسلام فأننا سنوجز كلا منها على حدة للتعرف بهما ـ وما يجب على المسلم ازاءها ، وازاء ما يشبههما من الدعوات :

أ ـ البهائية والبابية : حركة نشأت تحت زعامة الاستعمار الروسى واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزى بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة الإسلام وصرفهم عن قضاياهم الأساسية .. ومن خلال معتقداتهم مدى بعدهم الشديد عن الإسلام وعقيدته ، فهم يعتقدون أن الباب (يقصد به المرزا على محمد رضا الشيرازى) هو الذى خلق كل شئ بكلمته ، ويقولون بالحلول والاتحاد ، وبالتناسخ وخلود الكائنات وأن الثاوب والعقاب يكونان للأرواح فقط على وجه الخيال ، كما يقولون : بنبوة بوذا وكنفوشيوس ، ويراهما وزرادشت من حكماء الهند ، ويقولون يصلب المسيح موافقين بذلك النصارى ، ينكرون معجزات الأنبياء والجن والملائكة ، ويحرمون الحجاب على المرأة بزواج المتعة وشيوعية النساء والأموال ـ أى أنها ملك مشاع للجميع .

ويقولون بأن دين الباب ناسخ لشريعة محمد ﷺ ، وأن محمداً ليس خاتم النبيين ، والقيامة عندهم هى ظهور الباب .. فياترى أن تلك المعتقدات من العقيدة الإسلامية ؟ أن البون كبير والمسافات متباعدة ـ إلا أنهم ألبسوا هذه

---

(١) انظر : العالم الإسلامى والاستعمار السياسى والاجتماعى والثقافى ـ أنور الجندى ـ ص٤٤١ : ص٤٤٥ . بتصرف شديد .

الضلالات والأباطيل ثوب الإسلام والتوحيد وترجع هذه الأفكار والمعتقدات الضالة رلى مصادر أهمها : البوذية ، والبرهمية ، والزرادشتية ، والمانوية ، والمزدكية ، وإلى اليهودية والنصرانية...

ولقد ساعد هذه الدعوة علي ازدهارها وانتشارها كل من اليهود والاستعمار الروس ، والاستعمار الإنجليزى .

وتنتشر فى إيران - وبعض العراق - وسوريا ولبنان وفلسطين[1] ويرجع تشيع الاستعمار لها إلى ما تحدثه من تضليل وفصل كامل بين المسلم ودينه فتنفصم الرابطة الإسلامية المرتكزة على العقيدة الصحيحة .

ب - القاديانية : حركة نشأت بتخطيط من الاستعمار الإنجليزى فى القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام.

ومؤسسها الأول هو مرزا غلام أحمد ... ولهم معتقدات يناقض أغلبها العقيدة الإسلامية الخالصة ومن أبرز تلك المعتقدات : أن الغلام هو المسيح الموعود ، وأن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويتكت ويوقع ويخطي .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ، وأن هذا الإله إنجليزى ، ولذا فهو يخاطبه بالإنجليزية ، وإن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ وأنها مستمرة ، وأن جبريل عليه السلام على غلام أحمد ، وأنه يوحى إليه ، وأن كتابهم ونزل واسمه «الكتاب المبين» وهو غير القرآن الكريم ، ويعتقدون أن «قاديان» كالمدينة المنورة ومكة المكرمة ، بل وأفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم ، إلغاء عقيدة الجهاد والطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولى الأمر

(١) انظر : الموسوعة الميسرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامى ص٦١ ومابعدها . بتصرف خفيف.

بنص القرآن ، ويبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات ، ويعتبرون أن كل مسلم كافر حتى يدخل القاديانية ، كما أن زوج أو تزوج من غير القاديانية فهو كافر. وترجع جذور القاديانية إلى ما بثته حركة سير سيد أحمد خان من أفكار منحرفة ، والتى استغلها الإنجليزى فصنعوا الحركة القاديانية ، كما أن لها علاقة وطيدة مع إسرائيل حيث فتحت إسرائيل لها المراكز والمدارس ، كما تأثرت بالمسيحية واليهودية ..

والقاديانية منتشرة فى الهند وباكستان وقليل منهم فى إسرائيل والعالم العربى ويسعون بمساعدة الاستعمار إلى الحصول على المراكز الحساسة ..[1]

هذه حركات تنسب نفسها إلى الإسلام ولكنه منها براء[2] ، وهى من صنع الاستعمار لخدمته فى إبعاد المسلمين عن دينهم وقتل الغيرة فى قلوبهم. وهذا يبين لنا مدى الخطورة حيث أن يحسبون من المسلمين فى نظر الغرب ،ولذا فإن انحرافاتهم وضلالاتهم تحسب أيضا على الإسلام والمسلمين - لأن الفكرة الصحيحة عن الإسلام الحنيف كما جاء به رسول الله ﷺ غير واضحة لدى المسلمين فى العالم الغربى وبالذات فى بلاد الأقليات - حيث أن مصدر معلوماتهم عن الإسلام قد يكون من مبشر حاقد ، أو من مستشرق ناقم ، أو من وسائل إعلامية يعمل ليلا نهارا في تشوية صورة الإسلام والمسلمين .. وهذا يؤكد لنا خطورة الدور الذى ينبغى أن يضطلع به المسلمون ورجال الدعوة

---

(١) المرجع السابق ص٣٩٠ . بتصرف خفيف.

(٢) تطورات القاديانية حيث الظهور فى حركة الاحمدية ولم يبق من اخطائها إلا القليل وذل على يد «المولى محمد على اللاهورى» الذى انفصل عن القاديانية ، وأنشأ مايسمى بالدعوة الإسلامية في لاهور - وهى لا تقبل ضلالات القاديانية من القول بالنبوة - وأن علام أحمد مجرد مجدد للإسلام فقط ، وتنكر ما قالته فرقة قاديان من تكفير أهل السنة (انظر: أنور الجندى ص٢٥٤)

فى اظهار الصورة الحقيقية المشرفة للإسلام فى تلك البلاد التى تتواجد فيها هذه الحركات الهدامة المضللة التى صنعها الاستعمار وساندها وروج لها أعداء الإسلام ، وما ذلك كله إلا حلقات فى سلسلة مؤامرات الغرب على الإسلام وخوفهم منه ، وحقدهم الشديد عليه .

٥ - مشكلة نقص الغذاء (الفقر) : إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وقدر لهم أقواتهم وحدد لهم رزقهم وحثهم على السعى وكسبه وجعل السعى للحصول على الرزق الحلال من العبادات وجعل الله توازنا رائعا بين وجود الكائنات المحتاجة إلى الغذاء ، وبين الناتج من الأرض لتأخذ منه الكائنات حاجتها التى تحيا بها إلى يوم القيامة ..

فقال تعالى : ﴿ **والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستهم له برازقين وإن من شئ إلا عندنا خزائنة وما نزله إلا بقدر معلوم**﴾[١] ..

فبينت الآيات أن الله أنبت من الأرض كل شئ بمقدار وميزان أى ما ينبت من الأرض يوازى حاجات من يعيش عليها من إنسان وحيوان ، وهذا الرزق مضمون لنا من الله تعالى فقال حل ذكره : ﴿**وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما إنكم تنطقون**﴾[٢] وهذا الرزق المضمون لابد من الأخذ بالأسباب التى خلقها الله للحصول عليه والانتفاع به وهى السعى والتنقيب ، فقال تعالى : ﴿**هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**﴾[٣] فالمشى فى

---

(١) سورة الحجر : الآية ١٩ -٢١ .

(٢) سورة الذاريات : الاية ٢٢ - ٢٣ .

(٣) سورة الملك : الآية ١٥ .

الأرض والبحث والعمل والزرع كل ذلك سبب للحصول على الرزق وتحقيق الكفاية من الغذاء والطعام والشراب ـ فالأسباب التى جعلها الله تعالى للحصول على الرزق هى :

١ ـ السعى فى الأرض والانتفاع بها فى الزراعة .

٢ ـ البحث فى باطنها واستخراج خيراتها والانتفاع بها فى الصناعات .

٣ ـ قبل كل هذا عبادة الله تعالى وإمتثال أمره لأنه هو خالق الأرزق ومقدرها ومنزل البركة فيها ، رلا أننا نرى فى العالم الإسلامى بعض مظاهر النقص الغذائى والفقر لعدم وجود الكفاية فى المنتج الغذائى ، وأهم هذه المظاهر :

أ ـ فى الدول الأفريقية يتروّاح العدد بين حوالى ٣٠٠ ـ ٤٠٠ مليون مسلم أى نصف عدد المسلمين فى هذه الدول لايحصلون إلا على القليل من الطعم ويتعرضون دائما للمجاعة .

ب ـ يتسبب وجود النقص فى التغذية فى وفاة عدد كبير من الأطفال المسلمين وخاصة قبل سن الخامسة ، كما يترتب على تعرض النساء لسوء التغذية فى فترة الحمل إنهن يلدن أطفالاً ناقصى التكوين أو بهم عيوب خلقية .

أضف إلى ذلك المعاناة الشديدة التى يعيش فيها عدد من البلدان الإسلامية من ناحية النقص فى الغذاء ، وخاصة تلك البلاد التى تتعرض لكوارث طبيعية كالجفاف (فى غرب أفريقيا وشرقها) والفيضانات (فى جنوب شرق آسيا) .

وأخيرا فإن الحكومات فى معظم البلاد الإسلامية تتحمل فى ميزانياتها نسبة كبيرة من الدخل القومى لاستيراد الطعام من الخارج بالعملات الصعبة كما

تتحمل مبالغ باهظة لدعم الغذاء للطبقات الفقيرة التى لا تتناسب دخولها مع الارتفاع الجنونى فى أسعار المواد الغذائية[1] .

ورغم أن الثروة التى يملكها العالم الإسلامى هائلة جداً فى مجال الزراعة حيث توجد الملايين من الأفدنة صالحة للزراعة وانتاج الحاصلات المتنوعة ولكنها لاتجد أيدى عاملة ، وكذا المناجم وآبار البترول والغاز الطبيعى ، والمحاصيل الزراعية التى تصدر إلى الخارج لها ثروات تغطى حاجات العالم العربى والإسلامى إلا أن الفقر هو سمة غالبية هذه الشعوب ..

وترجع أسباب هذه السمة الغالبة إلى الابتعاد عن ذاتيتنا الإسلامية إلى أيدلوجيات شرقية أو غربية ، وإلى الصراعات العربية التى لم تعرف لها نهاية ولم تجد لها من يلم شملها ، وإلى تلك الحروب التى طحنت الأمة العربية وما لها من اعتمادات عسكرية باهظة ، وأخيرا بعثرة الإمكانات الاقتصادية والأحكام عن استخدام المال العربى فى ازدهار الأوطان العربية وهى جعل التنمية المزعومة ـ هذا بجانب التبذير والاسراف فى النفقات السرية والاعلامية والترف الخاص بالمظاهر التى تضيع فى الهواء[2] ..

إذن تتركز أسباب الفقر فى عدم الاستغلال الصحيح لمصادر الثروة الزراعية والمعدنية وسائر الثروات ـ وترك الذاتية الإسلامية المتميزة الداعية إلى الأخذ بأسباب القوة والتقدم إلى غيرها من العقائد والأيديولوجيات المختلفة ، وادخار المال العربى فى البنوك الأجنبية التى تستفيد منه دون البلاد العربية والإسلامية وتذهب فائدته برداً.

---

(١) انظر : العالم الإسلامى اليوم ـ ص١٤٤ .

(٢) انظر : كتاب «منهج الإسلام فى علاج حاضر المسلمين» ـ د/ كمال مصطفى محمد ص١٨٦ . بتصرف شديد .

تصنيف المشكلات :

بعد أن استعرضنا أبرز مشاكل العالم الإسلامى نشير إلى أن هذه المشكلات أصول تفرعت عنها مشكلات فرعية تعتبر ثماراً لها وناشئة عنها وتابعة لوجودها ، فمثلا وجود الاستعمار وما له من دور هدام فى العالم الإسلامى ، مشكلة رئيسية كان لها أثرها فى دعم التبشير ومساندة الصليبية ،وقد ارتبط وجود المبشرين بدعم الاستعمار وكل منهما يساعد الآخر ويدعم وجوده ، كما أن للاستعمار بروزاً ووضوحاً فى احداث بعض المشكلات وظهور العديد من المحن مثل : مشكلة كشمير ، والفلبين ، وأندونيسيا ، وبنجلاديش فى آسيا وزائير ، وأوغندا ، والصومال فى أفريقيا ، ووجود الصهيونية وما لها من دور خبيث فى العالم الإسلامى كانت ثمرته المرة مشكلة فلسطين والمستوطنات وكان للاستعمار البريطانى دور لا يخفى فى زرعها وتنميتها فى العالم الإسلامى .

والتبشير كمشكلة فى العالم الإسلامى مدعم من الاستعمار - ويعتمد على جهود المستشرقين لزعزعة عقيدة المسلمين والتسلل إلى قلوبهم والذى يمكن الاستعمار من العالم الإسلامى ليعبث فيه حسب مصالحه هو الضعف التسليحى وإعداد القوى العسكرية ، لقلة الكفاية الاقتصادية والشعور بالحاجة إلى دعم ومساعدة الدول المستعمرة للدول الفقيرة . ولذلك يمكننا تقسيم هذه المشكلات إلى عدة أقسام :

١ - مشكلات سياسية - للبعد عن قوة الإسلام - وعدم التسليح بتعاليمه جعل حظه فى وزن المسلمين السياسى .

٢ - مشكلات اقتصادية : وقد اثمرت ظاهرة الفقر - وهذا لغياب روح التكافل والترابط والتكامل بين الأمة الإسلامية .

٣ ـ مشكلات دينية : كالتبشير ومحاولة الطعن فى الإسلام والنيل منه ومن تعاليمه بالتعاون مع المستشرقين.

وهذه المشكلات فى واقعها ليست منفصلة أو متميزة ، وإنما هى مترابطة متداخلة فبعضها نتائج لمقدمات هى الأخري نتائج لمقدمات أسبق منه فهناك تسلسل وارتباط بين كل المشكلات ـ ويعتبر الحقد الصليبى الوروث هو الركيزة الأولى التى بنى عليها وجود البشير الذى استعان بالاستعمار الذي نهب ثروات البلاد وأنشأ المشكلة الاقتصادية والسياسية ... وعلى أساس هذا الترابط مكون حلول المشكلات ومواجهة التحديات ..

المبحث الثانى

حلول .. ومواجهات

من الأسس الهامة والقواعد الثابتة والبديهات المضطردة أن العبد إذا سار على ما أمره به سيده نال رضا السيد وتمتع بنعمه ومنحه وعطاياه ، وفى المقابل إذا تمرد العبد على سيده وعصى أوامره وخالف تعاليمه غضب ذلك السيد على العبد وحرمه عطفه وحبه وحبس عنه عطاياه ونعمه ...

ولله المثل الأعلى .. فإن العبد إذا حسنت علاقته بربه وخالقه واتبع أوامره واجتنب نواهيه ، والتزام كتابه وسنة نبيه ﷺ وأحل حلاله وحرم حرامه واتبع هداه فإن الله يمن على عبده الطائع هذا بنعمه الحياة الآمنة الرغدة المستقرة وأغناه بفضله عن خلقه ، وحفظ هامته عن الذل لغيره سبحانه وتعالى، وقد أكد القرآن الكريم دستور حياتنا هذه الحقائق وجعلها من ثوابت عقيدة المسلم ....

قال تعالى : ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيآتهم ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون﴾[1].

وقال تعالى إجابة عن سؤال عن فريق المشركين وفريق المؤمنين : ﴿ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم لهم الأمن وهم مهتدون﴾[2].

---

(١) سورة المائدة : الآية ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٨١ ، ٨٢.

وقال تعالى : ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[2].

وقال تعالى : ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما اتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[3].

وقال تعالى : ﴿فليعبدوا رب هذا البيته الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾[4].

ويبين الله تعالى أنه هو مالك الملك لا يشاركه فيه غيره ، وهو وحده يعطيه لمن يشاء ويسلبه ممن يشاء من عباده ، فقال تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير﴾[5].

والتمكين فى الأرض والسيطرة عليها والانتفاع بما فيها من خير قرين الالتزام والطاعة وإقامة الدين والعمل به ، فقد قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم آمنا

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٩٦ .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٣) سورة طه : الآية١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤) سورة قريش : الآية ٣ ، ٤ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ٢٦ .

يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[1].

وكما أن اتباع الدين والإيمان والعمل الصالح وصيانة أمانة الدين والتكاليف الشرعية تمكن فى الأرض فإن التقصير والمعصية وعدم إقامة الدين تجلب الذل والهوان والصياع وتسلط الأعداء والحاقدين فقال تعالى : **﴿وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾** [2] أى مكن منهم غيرهم .

وبناء على هذه النصوص التى أوردناها يتبين لنا أن إقامة الدين والتمسك به هى السبيل إلى القوة والتماسك ورغد العيش وسعة الرزق وتحقيق الأمن ، وأن التهاون فى الدين والتقصير فى اتباع أحكامه ، وإهماله والتهاون فى الحكم به والاهتداء به بتوجياته فى شتى المجالات هو السبب الرئيسى للشقاء والذل وتمكن الأعداء وانتشار الخوف والضعف ، والتبعية وذوبان شخصية المسلم فى غيرها ... وهذه سنة الله فى خلقه ..

١ ـ إقامة الدين واتباع ما أنزل الله تعالى وتقواه سبحانه الطريق الأوحد لرغد العيش وسعة الرزق، ونزول البركة فيه ، وأن الرزق مكفول لكل مخلوق عاصيا كان أم طائعا ، ولكن البركة لا تكون إلا لمن أحبه الله ورضى عنه ـ كما أشارت إلى ذلك آيات المائدة والأعراف وطه .

٢ ـ أن أسباب الحياة الطيبة الآمنة هى الأعمال الصالحة التى هى من لوازم العقيدة الصادقة ، وتلك الأعمال الصالحة تشمل العبادات وسائر المعاملات ، وكل عمل فيه نفع للأمة واغناء لها وتقويه لمكانتها ورفعه لشأنها يعتبر عملا صالحا ـ ولذلك فقد اقترن رقى المجتمع بالعقيدة والأيمان بالله

---

(١) سورة النور : الآية ,٥٥

(٢) سورة الأنفال : الآية ٧١ .

تعالى، كما بينت آية النحل .

٣ ـ ويؤكد لنا القرآن أيضا أن المالك الحقيقى للأمر كله هو الله سبحانه وتعالى ، وأن ما يملكه الخلق إنما هو منحة من الله له ، وإن حكم الحاكم لبشرى بما أمر الله تعالى به وهو المالك الأصلى الذى لا يزول ملكه ـ فإن الله يمكن لهذا الملك ويقويه وينصره ولا ينصر عليه ما دام على عهده مع ربه ﴿يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [١]... وفى المقابل أن نقص عهده مع ربه وخالف الدينو أهمل حراسته والعمل به نزع الله ملكة منه أو نزعه عن ملكه ، (كما أوضحت آية آل عمران) .

وقد أكدت هذه الحقيقة آية سورة الحج أن التمكين فى الأرض وتحقق القوة والمنعة ، وتحقق الأمن وعلو راية الدين يكون بالتزام العقيدة الصادقة الصحيحة والعمل الصالح ﴿آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ كما أن مخالفة الدين ومخالفة أوامر الله واهمال شرعه ـ يوصل إلى الذل والهوان وسيطرة الأعداء والنيل من قوة المسلمين ، ونهب ثرواتهم فالابتلاء بالذل والهوان مترتب على اهمال الأخذ بأسباب العزة والقوة ومصادرهما الوحيد هو التمسك بالدين ، يقول تعالى ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعا﴾ [٢]، ويقول : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾[٣] ، وقد نفى الله سبحانه أن تكون أية جهة إلا الدين ـ مصدراً للعزة ، فقال تعالى : ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دين المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾[٤] فطالب العزة ومبتغيها من غير الأيمان بالله فقد أخطأ

(١) سورة محمد : الآية ٧ .

(٢) سورة فاطر : الآية ١٠ .

(٣) سورة المنافقون : الآية ٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٣٩ .

الطريق ، ومن طلبها من تقربه إلى شخص أو دولة غير مؤمنة بالله فقد حاد عن السبيل ، أن طريق عزة المسلم هو صلته بربه وخالقه ، وقد بين الله تعالى أن مصدر قوة الرسول ﷺ والذين آمنوا معه هو قوة صلتهم بالله وعبادتهم له فقال تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾[1].. وبعد ذلك يمكننا القول بأن ما يلم بالمسلمين من مشكلات وعقبات وما يواجههم من تحديات يعود إلى بعدهم عن الإسلام والتزامه سلوكاً وعقيدة ، وضعف تمسكهم به ، حتى صار أقوالا وشعارات بلا واقع عملى مادى ملموس ولذا فإن أى حل ناجح وسليم لهذه المشكلات لابد أن يرتكز على الإسلام وإن تكون القوة الروحية منطلقاً ودافعاً الى كل سبل القوة والعزة والمكانة العالية ، والريادة العالمية ، لأن عوامل القوة الذاية فى الإسلام بينة واضحة فى تشريعاته وأحكامه[2] ، وهذا هو النحو الذى ستنجوه والمنهج الذى سنتبعه إن شاء الله ، أن يكون الحل من منطلق الإسلام ومرتكزاً عليه.

«لكى يكون الحل إسلامياً يشترط أن تستمد عناصره من منابع الإسلام الصافية، من كتاب الله عالى وسنة رسوله الصحيحة الثابتة من الإسلام النقى المصفى من الشوائب والتشويهات ، والفضول والإنحرافات التى لحقت به واضيف إليه على مختلف العصور، لابد من الرجوع الى الإسلام الصحيح، لا يستحق حل شرف الإنتساب الى الإسلام ما لم يكن مصدره الإسلام الخالص لا الماركسية ولا المادية ولا الرأسمالية ولا

(١) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

(٢) انظر مبحث القوة الذاتية فى هذا الكتاب .

الليبرالية وغيرهـا من مذاهب البشر ، الحل الإسلامى إذن هـو الذى يطوع كل الأوضاع وكل الأنظمة لأحكام الإسلام ، وليس هـو الذى يطوع أحكام الإسلام لأوضاعه وأنظمته فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، ويقود ولا يقاد، ويوجه ولا يتوجه لأنه كلمةالله وكلمة الله هـى العليا»[1].. ولذا فإن خطوات الحل لما عرض من مشكلات دينية أو إقتصادية أو سياسية تسير على النحو التالى:

١ ـ العودة إلى ذاتية الإسلام وتعميقها :

ونعنى بذلك العودة إلى منابع الإسلام الصافية والتزام أحكامه من عقيدة وأخلاق وعبادات ومعاملات، حيث يؤدى ذلك إلى وحدة الأمة وتماسكها وترابطها حيث تجمعهم عقيدة واحدة وفكرة واحدة مما جعل مظاهـر العبادة واحدة والسلوك واحد والركيزة النفيسة واحدة [2] فتتحقق الوحدة العضوية بين الأمة ويشعرون بآلام بعضهم ويشاركوهم آمالهم ويسعون لتحقيقها لترقى الأمة فى مجموعها وأجزائها إن العودة إلى تعاليم الإسلام وتحقيق ذاتيته تعنى التمسك به وتجعل له كياناً ملموساً محسوساً فى واقع الحياة الإنسانية بكل صورهـا ومجالاتها ومجتمعاتها ، تصير عقيدة المسلم وأخلاقه واقعاً ملموساً ، حيث يرتكز سلوك الإنسان وعمله على ما إستقر فى قلبه العقيدة الخالصة ، فمن منطلق إيمان العبد بربه وخالقه يحسـن عمله ويستقيم خلقه فلا يهمل فى حق ربه من العبادة والتوحيد ، فيؤدى ما عليه من عبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج وكل

---

(١) الحل الإسلامى فريضة وضرورة ـ د/ يوسف القرضاوى ـ ط مكتبة وهبة ص ٨٠ .

(٢) انظر مبحث عقيدة واحدة وفكره واحدة فى هذا الكتاب .

من هذه العبادات لها ثمارها النفسية والمادية التى تعتبر دعائم لإقامة مجتمع قوى دينياً سليم.

من منطلق الإيمان تتحدد علاقات المؤمن بمجتمعه، فهو لا يظلم إخوانه ولا يعتدى على أحد ولا يسىء أليه - لأنه آمن أن الله أقدر عليه من قدرته على إخوانه ، ولا يفسق ولا يكذب ولا يسىء الظن بأحد ولا يتجسس عليه - لأنه وقر فى قلبه ان الله معه مطلع عليه ومحاسبه ، من منطلق عقيدته واخلاقه يحسن التوكل على الله فيأخذ بالأسباب التى خلقها الله ويسرها لتحقيق الآمال ، وإقامة مجتمع السعادة والتقدم والرفاهية ، والأخذ بأسباب القوة المادية بجانب القوة الروحية وهو - أى المؤمن - إيجابى فى مجتمعه يتفاعل معه فى قضاياه يحس بآلامه ويسعى لتخفيفها ، ويشاركه فى آماله ويسعى لتحقيقها.لا يعرف السلبية ولا اللامبالاة ، وليس إنعزالياً ، وإنما يتحد مع اخوانه وحدة عضوية متعاوناً معهم ، كما صور ذلك رسول الله ﷺ تصويراً واضحاً عندما قال: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً . وشبك بين أصابعه»**[1] ليدل على ضرورة التعاون والتآزر - بين جميع المؤمنين على جميع المستويات الفردية والجماعية والدولية والعالمية - مؤازرة معنوية ومادية.

إن التطبيق العملى لتعاليم الإسلام بتأكيده ثقافة وسلوكا فى شخصية المسلمين يعتبر القوة والصلابة والمنعة التى يخافها الغرب ويخشونها ويحذرون منها - ويعملون جاهدين على توهينها [2].

---

(١) الحديث رواه البخارى «كتاب الأدب» - باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا .
(٢) انظر مبحث مخاوف الغرب - جزئية : ذاتية الإسلام - فى هذا الكتاب.

إن مقتضيات العقيدة منها التيقين بأن النافع الضار هو الله ، وأن العبد لا يصيبه إلا ما كتب الله له ، وأنه لا أحد يملك ضره أو نفعه إلا بما أراده الله له، أخذا من قول الله تعالى : ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(١) ومن قول الرسول ﷺ : «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، ولو اجتمعوا أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك .. »(٢) ومن هذه العقيدة التى استقرت فى القلب زالت عنه تماما كل أسباب الخوف فاكتسب شجاعة فائقة وإقداما عظيما تهون أمامه الصعاب وتزول العقبات والعراقيل متسلحا فى كل بالإيمان والصبر ، يخوض معاركه العسكرية ضد أعدائه لحماية الحق والأرض والعرض والدين وفق معايير الإسلام وقواعده التى ربى عليها المسلم عابداً ومقاتلا ، فاتحا وداعيا . لا يعرف الخور ولا الخوف ولا الإستسلام والخنوع ، بل يقدم نفسه ودمه راضيا فى سبيل أعلاء كلمة الحق ورفع راية التوحيد ـ طامعا فى ثواب ربه راجيا رضاه .

إن الإسلام كنظام حياة وضع كل الضوابط والتشريعات والقواعد التى تبنى مجمتعا سليما قويا متماسكا في كل مجالات التعامل البشرى :

علاقات إنسانية أسرية ، علاقات المعاملات المالية ، النظم السياسية وعلاقة الحكام بالمحكومين وحقوق كل منها وواجباته ، وعلاقة الدولة المسلمة بمن يعيش فيها من غير المسلمين ، وعلاقات الدول ببعضها ، وضع قواعد النظام العسكرى المتحضر فى تشريعات الجهاد وأحكامه ... وهذا كله بعد غرس العقيدة فى القلب، ودعمها بتشريع العبادات التى تثمر ثمرات طيبة وارفة تظلل

(١) سورة التوبة : الآية ٥١ .

(٢) الحديث رواه الترمذى عن أبى موسى الأشعرى .

المجتمع بظلال الأمن والاستقرار ، والقوة والحصانة .

ولأن مصادر التشريع متنوعة : القرآن والسنة ، ثم الاجتهاد والقياس وغيرها ، فهي أصلية كالقرآن والسنة ، وتبعيته كسائر المصادر الأخرى جمعت بين المرونة والثبات ، فلم يقف التشريع الإسلامى عاجزاً عن الحكم فى أى قضية استجدت أو ظهرت فى المجتمعات ، على اختلاف أماكنها فما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة فباب الاجتهاد مفتوح فيه من أهل الاجتهاد ومن تحققت فيهم شروطه ، فى كل عصر إلى يوم القيامة .

إذا كنا نسمع من وقت لآخر صيحات «العلمانيين» الداعين إلى فصل الدين عن الحياة ، ويقولون - كذبا وزورا - إن الإسلام أصبح غير صالح للتطبيق فى الوقت . وأن ما فيه من تشريعات كانت صالحة للتطبيق فى الماضى، وأنه غير ملائم للحياة فى الوقت الحاضر ، فهم بذلك يريدون حبس الإسلام بين جدران المساجد ، وبالتالى عزل علمائه عن معترك الحياة ، فهذه دعوى يدحضها الواقع الإسلامى عند الالتزام بتطبيق واجراء نظمه فى كل المجالات، بل وعند المقارنة بينها وبين غيرها يتضح بجلاء أن النظم الإسلامية أوفق للطباع ، وأكثر ملاءمة للنفوس وطبيعة تكوينها ، ولا عجب فإن الإسلام دين الفطرة - أنزله بارئ النفوس وخالقها الذى يعلم ما يصلح أمرها .

ومع أنه يوجد فى بعض الدول الإسلامية فى وسائل إعلامها مسحات علمانية تروج لغير القيم الإسلامية - إلا أن الاتجاه العام هو تفريغ المجتمعات من مضمون الإسلام فتعرض العبارة الإسلامية شعاراً - لكن حقيقتها تختلف عن مفهومها فى الإسلام ، فمثلا يؤكد العمل الإعلامى أن السماحة من أخلاق الإسلام - وهذا حق ، لكن عند تصوير هذا المعنى نرى أن السماحة لا تقف عند معنى اليسر والسهولة وعدم الشدد فحسب - بل تتجاوز إلى : خلو الصديق

بصديقته من السماحة ، وأن دخول البيوت ، بلا استئذان والإطلاع على العورات سماحة وتقدم ، وعلى الطرف الآخر يتم تصوير الشخص الملتزم بأنه متجمد ورجعى ، وإذا كان الإسلام يقر الحرية ويؤكد حرية الرأى في إبداء الآراء النافعة والمفيدة فى مجال الشورى ، إلا أن هذ يتجاوز أيضا إلى تحدى القيم الأسرية والضوابط الاجتماعية التى رسمها الإسلام كتحدى الوالدين ، والاستهزاء بهما كما فى بعض الأعمال المسرحية ... وهكذا يرفع الشعار صحيحا لكن عند تطبيقه لا يكون إسلاميا بل غربيا .

والتزام الذاتية الإسلامية والعودة إليها تعنى تعميق الثقافة الإسلامية وفق الشرع الحكيم وإلا تفرغ العبارة من معناها الحقيقى المتوافق مع أصول العقيدة والشريعة ، أن وجود الإسلام فى المجتمع وتربية النشئ على تعاليم وأخلاقه الكريمة وتأكيد الصلة بين العبد وربه يجعل النشء محفوظا من الثقافات الواردة إلينا والتى تخالف تعاليم الإسلام ، لا تؤثر فيه الأفكار الهدامة ، ولا الأفكار المستوردة ، ولا البدائل المفروضة لتحل محل النظام الإسلامى .

وإذا كانت هناك ثورة «تكنولوجية» فى عالم الاتصالات والأقمار الصناعية فواجب الدول الإسلامية الغنية والفقيرة أن تتكاتف لتبث الفكر الإسلامى الصحيح إلى بلاد العالم خاصة الأقليات المسلمة لتعميق الفكرة الإسلامية والعقيدة الإلهية فى نفوسهم ، حيث إنهم قد لا يكون مصدر للمعلومة الإسلامية إلا كتابات المستشرقين بشبهها ، وضلالات المبشرين بمغالطاتها ذلك - أعنى لبث الإذاعى أو التليفزيونى - بجانب الكتاب والصحيفة - والبعثات - ودعم المراكز الإسلامية بدعاة يعتبرون الدعوة رسالة لا وظيفة ، وعندئذ نكون قد أبرزنا الحقيقة الإسلامية وعدنا بتطبيقها إلى ذاتية الإسلام .

٢ - خطوات الحل للمشكلات لاقتصادية :

بعد أن تأكد أن أسس التقدم والرقي ، والأمن بكل صورة واشكاله لا يتحقق إلا بالالتزام وتحقيق وجوده فى واقع الحياة ، فإن من المجالات التى نظمها الإسلام ووضع لها أسس التعامل فيها ، مجال المال والاقصاد ، لأن المال وتملكه والسعى إلى الحصول عليه غريزة نفسية وشهوة قلبية ، ويمكن لإشباع هذه الرغبة وتلبية هذا المطلب أن يضر الإنسان بحاجات أخيه المسلم ويعتدى على حقه ، فإن الإسلام حدد العلاقة بين الناس فى المعاملات المالية بعد أن غرس فى قلوبهم أن المال مال الله ، وأنه عندما يبذل منه للفقراء والمحتاجين فإنه لا يتكرم عليهم بل يعطى لهم حقوقهم التى جعلها الله لهم فى هذا المال ، يقول تعالى : ﴿وآتوهم من مال الذى آتاكم﴾ [1] ويقول : ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ [2] من هذا المنطلق كان البذل العطاء ومع أن المال مال الله ، فإن الباذل المعطى من عباد الله يحصل على الأجر تكرما من الله تعالى ورحمة .

ويمكن أن تكون خطوات التغلب على مشكلة نقص الغذاء والفقر ، وما يجرى فى فلكها من مشكلات منشؤها نقص الموارد عن الحاجات كالآتى :

أ - التكامل فى الثروت الطبيعية :

من المعلوم أن الله تعالى أمد العالم الإسلامى بهبات كثيرة ومنح عديدة، حيث إنه مترامى الأطراف متنوع المناخ [3] وهذا بدوره أدى تنوع فى المحاصيل

---

(١) سورة النور : الآية ٣٣ .

(٢) سورة الحديد : الآية ٧ .

(٣) انظر فصل العالم الإسلامى اقصاديا فى هذا الكتاب .

الزراعية ، وكذلك يوجد فى باطن أرض العالم الإسلامى المواد الخام اللازمة لقيام الصناعات المختلفة ، ويمكننا القول بأنه لا تنعدم مادة غذائية انعداما كاملا من العالم الإسلامى ، كذلك لا تنعدم مادة معدنية من باطن أرض العالم الإسلامى ، إلا أنه من المعلوم أنه لا تجتمع كل هذه الموارد زراعية أو معدنية فى مكان واحد أو فى بقعة واحدة ، بل أنه قد وجد زيارة ووفرة فى محصول زراعى فى دولة معينة ، بينما يقل أو ينعدم هذا المحصول فى دولة أخرى وقد يوجد معدن وفير فى وطن ما ، ويقل فى وطن آخر .. وهكذا نجد زيادة هنا ونقصا هناك ، وعندئذ يمكن أن تصدر دول الزيادة والوفرة إلى دول القلة والإنعدام فكل منهما تكمل الأخرى ، فالحاجات متبادلة ، فهذه دولة بها زيادة فى الحبوب الغذائية لأن مناخها ملائم لهذا النوع من الحاصلات ، وفى نفس الوقت لديها نقص فى محاصيل الفواكه ، وتلك دولة أخرى لديها نقص فى محصولات الحبوب الغذائية ولديها زائد وفائض فى إنتاج الفاكهة .. وعندئذ تمكن أن تتبادل الدولتان وتتكاملا فى سد كل منهما نقص الأخرى ، فتكمل دولة الحبوب الناقص عند دولة الفاكهة ، وتكمل دولة الفاكهة الناقص عند دولة الحبوب .. وهكذا قل فى سائر الحاصلات.

ولو طبقنا نفس المثال فى مجال التعدين ، فيمكننا أن نقول : قد توجد دولة بها وفرة فى حقول البترول واستخراجه ، ويوجد ندرة فى إنتاج النحاس مثلا ، ودولة أخرى : توجد فيها الوفرة والزيادة فى إنتاج النحاس ، وفى نفس الوقت يقل فيها إنتاج البترول وصناعاته ، فيمكن أن يحدث التكامل بينهما فتسد دولة البترول النقص فى دولة النحاس ، وتسد دولة النحاس النقص فى دولة البترول .

ويقاس على ذلك كل المحاصيل والمعادن حتى الثروة الحيوانية والإنتاج الحيوانى .

وهذا التكامل لن يكون تبرعًا أو صدقة وإنما يكون فى إطار التبادل التجارى بين الدول الذى ينعش اقتصادها ويرقى به ، فلا يضطر إلى استيراد مواد من العالم الغربى إلا لما انعدم وقل إنتاجه فى العالم الإسلامى من المواد .

هذا ... ويجب أن يهتم المسلمون بزراعة الحبوب الغذائية كالقمح والشعير والأرز فى أوطانهم بجانب المحاصيل الأخرى ، لأن هذه المواد الغذائية إذا قل إنتاجها ولم تكف العالم الإسلامى أو بعض دولة ، ولم تجد فائضا عن غيرها من هذه الحبوب واضطرت إلى استيرادها من الغرب ، فإنه من خلالها يمكن أن يتحكم الغرب فى سياسات المسلمين وتحديد مواقفهم من القضايا المختلفة بما يوافق موقف ، الغرب ويؤيده وإلا منع الغذاء عنهم ، فتوفير هذه الحاصلات والاستغناء بإنتاجها إسلاميا عن استيرادها من الخارج يضمن حرية قرار المسلمين فى القضايا دن أية ضغوط من هنا أو هناك ..

ب ـ التكافل الاجتماعى وتوسيع دائرته :

ونعنى هنا فريضة الزكاة التى هى من أركان الإسلام وقد شرعها الله سبحانه وتعالى دعما للمجتمع ، وطهرة للنفس من الشح والبخل ، وللمال من الشبه ـ وقد جعلها الله حقا للفقير والمحتاج ، وقد أوجب الإسلام الزكاة فى الأموال الآتية : الذهب والفضة ، والزروع والثمار ، وعروض التجارة ، والسوائم والمعدن والركاز ـ إذا بلغت نصابا ، ولسنا بصدد الحديث المفصل عن هذه الزكاة فقهيا ، ولكننا بصدد وبيان خطة تطبيقها لصالح المجتمعات الصغيرة والمجتمعات الكبيرة ، أو محليا وعالميا .

١ ـ فعلى المستوى المحلى : يقوم المزكى ماله ويخرج منه القدر الواجب فيه ويعطيه لمستحقيه من الفقراء والمساكين ، كما فى قول الله تعالى : ﴿إنما

الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾[1]
والصدقة عندما تعطى لهؤلاء فيجب أن تكون كافية لهم ، فإن من مقاصد الزكاة كفاية الفقير وسد حاجته فيعطى من الصدقة القدر الذى يخرجه من الفقر إلى الغنى ومن الحاجة إلى الكفاية على الدوام ، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، قال عمر رضى الله عنه : «إذا أعطيتم فأغنوا ، يعنى الصدقة»[2] فالفقير يأخذ ما يكفيه من الزكاة ليخرج من فاقته وفقره ، وللزكاة أثرها الفعال فى تطهير نفوس أصحاب الأموال من الشح والبخل ، ونفوس المستحقين من الحقد والغل فتسود المحبة والأمانة وحفظ الأموال لأن الفقير يعلم أنه مستحق لبعض مال الغنى فيحافظ عليه ويرعاه حتى لا يتلف ولا تبلغه أحد ... وعن أوليات مستحقى الزكاة ، يقول رسول الله ﷺ « ... ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شئ فلأهلك ، فإن فضل عن هلك شئ فلذى قرابتك ، فإن فضل عن ذى قرابتك شئ فهكذا يقول فبين يديك ، وعن يمينك وعن شمالك»[3] .. وعلى أساس ذلك فإن الأولى والآكد فى أخذ الزكاة هم الفقراء والاقارب ، لكن هذه الدائرة تتسع وتزيد حتى تشمل كل المسلمين : فأولى الدوائر المستحقة الأقارب والأهل ، ثم تتسع لتشمل المستحقين من الجيران وأهل الحى ، ثم تتسع لتشمل القرية أو المدنية ولا ينتقل من دائرة ضيقة إلى دائرة أوسع إلا بعد اكتفاء الأولى ، فلا يجوز ترك المستحقين من الأهل إلى غيرهم ، أو نقل الزكاة من بلد إلى آخر إلا لمرجح

---

(1) سورة التوبة : الآية ٦٠ .

(2) انظر فقه السنة ـ البند السابق ـ المجلد الأول ص٣٢٥ ، وانظر الفقه على المذاهب الأربعة ـ إعداد لجنة من العلماء ـ ط وزارة الأوقاف ص٥٩٩ ـ ط المطابع الأميرية ـ الطبعة السادسة ١٩٦٧ .

(3) رواه مسلم كتاب الزكاة «باب الابتداء بالنفقة بالنفس ثم الأقارب» ـ بسنده عن جابر

شرعى كوجود قرابة فى البلد المنقول إليه ، وعند اكتفاء المستحقين فى دائرة القرية يمكن تجميع الفوائض من مال الزكاة فى صندوق الدولة يصرف منه على الصالح العام فى الدولة ، ويخصص جزء من حصيلته للإنفاق على فقراء العالم الإسلامى من خلال صندوق زكاة دولى يتبنى قضايا المسلمين فى العالم.

جـ - صندوق الزكاة العالمى :

ذكرنا أن دائرة مستحقى الزكاة يمكن أن تتسع من أقرب الأقربين ، إلى فقراء الحى أو المدينة ، ثم إلى فقراء الدولة عموما - وأنه قد يوجد فى بعض المناطق فقراء ولا يوجد أغنياء يمكنهم التصدق عليهم ، أو أن الوارد للزكاة من أموال هؤلاء الأغنياء لا يستوعب جميع فقراء تلك المنطقة عندئذ يحصلون على صدقاتهم من الزكاة المتجمعة من فائض المستحقين من المناطق الأخرى التى زاد فيها الوارد من أموال الزكاة عن حاجة الفقراء ... وهكذا تتسع دائرة الزكاة لتفى بحاجات جميع فقراء الدولة ومستحقى الزكاة فيها .

وبما أن دائرة الأيمان ورابطة الأخوة الإسلامية لا تقف عن حدود دولة معينة أو أقليم محدد ، حيث إن الإسلام دين عالمى وتشريعاته عالمية فإن رابطة الأيمان تجمع بين كل مسلمى العالم فى وحدة عقدية وسلوكية واحدة ، حيث تجمع بين قلوبهم فكرة واحدة يعبدون رباً واحداً تجمعهم وحدة عضوية يشعرون فيها بآلام بعضهم وآمالهم كما صور ذلك الرسول ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى»[1] ولأن مساندة المؤمن لأخوانه والتعاون معهم من واجبات الأخوة فيمكن أن نتصور وجود مؤسسة عالمية (تحت أى مسمى) تتجمع فيها الأموال من الفائض من أموال الزكاة فى الدولة الغنية ميسورة الحال

---

(١) الحديث سبق تخريجه .

فى العالم الإسلامى ويتم الإنفاق من ذلك الصندوق العالمى على فقراء المسلمين فى الدول الفقيرة مساعدتهم بإعطائهم من المال مايجعلهم يخرجون من الفقر إلى الغنى ، ومن تحكم دول الغرب فيهم وفى سياساتهم بما يقدمون لهم من مساعدات قليلة فى صورة إعانات مشروطة بما فيه تحقيق مصالح للدول المعطية، لو وجدت هذه الدول المسلمة الفقيرة ما يعينها من إخوانهم مسلمى العالم الإسلام ما دخلوا تحت ربعة الغرب ولما فتحوا أبوابا للاستيلاء على ثرواتهم .

ويمكن تصور فعالية فريضة الزكاة كحل اقتصادى واتساع دائرته من المحلية إلى العالمية على النحو التالى :

١ ـ يقوم أغنياء الحى أو المدينة أو القرية بإخراج زكاتهم لترد على نفس الفقراء بنفس المنطقة .

٢ ـ يخرج الفائض من الزكاة فى المنطقة ليخرج من سائر المناطق فى صندوق المحافظة (مثلا) .

٣ ـ بعد وفاء صندوق المحافظة بمستحقات فقرائها من الزكاة ، يورد الفائض إلى صندوق عام بالدولة تجمع فيه الفوائض من جميع المحافظات وتجمع الحصيلة ويصرف منها مشروعات الخير العامة ، على أن يخصص منها جزء يتفق على قيمته ، ليخرج من محيط الدولة إلى دائرة أوسع هى دائرة العالمية حيث ينشأ صندوق زكاة عالمى تجمع فيه القيمة المتفق عليها من كل الدول المسلمة ، وينفق من هذه المؤسسة العالمية للزكاة على فقراء مسلمى العالم بمساعداتهم فى إنتاج الغذاء والكساء وإقامة المشروعات التى تخرجهم من دائرة الفقراء إلى دائرة الأغنياء ـ وتكفيهم ذل سؤال الغرب وتعفيهم من تحكم العالم الغربى فى مصير المسلمين وتقديم المساعدات إلى هذه الدول مرتبة حسب الأهمية والأولوية ، فتقدم لدول المحتاجة إلى الغذاء والكساء ، ثم الزراعة ،

ثم الصناعة والتعليم ... إلخ إلا أن الغذاء فى المقدمة لأنه لا صبر عليه وعن طريق التحكم فى رغيف الخبز تفرض السياسات ، وتتحدد الاتجاهات .

وبالنسبة لمصاريف الزكاة الشرعية ، فإنه بعد الوفاء بمتطلبات الفقراء والمساكين من الغذاء والكساء ومتطلبات البنية الأساسية ، فإنه يمكن تقديم العون المادى للمسلمين ذوى الحاجات فى العالم حتى لا يضطرون تحت ضغط الحاجة والجوع إلى الخضوع لحملات التنصير الصليبية التى تطاردهم فى عقر دارهم ويكون ذلك من سهم المؤلفة قلوبهم حيث إنهم الذين يخشى على إيمانهم .

كما يمكن الإنفاق من سهم (فى سبيل الله) على إعداد الجيوش وتجهيزها وتزويدهم بأحدث المعدات ، ويكون ذلك على مستوى الدولة الواحدة ودول العالم الإسلام مجتمعة - حيث يكون هناك إتفاق بين الدول الإسلامية على تكوين قوة عسكرية إسلامية عالمية تكون حامية للإسلام والمسلمين على مستوى العالم وتمثل هذه القوة العسكرية الطائفة الثالثة التى تقاتل الطائفة المعتدية على طائفة أخرى كما فى قول الله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله، فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم وتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[1] فالآيات تحدث عن ثلاث طوائف من المؤمنين : طائفتان متنازعتان وطائفة مصلحة فالطائفتان المتنازعتان من دولتين مختلفتين ، تحتاجان إلى من يتدخل بينهما للصلح والتوفيق وإنهاء النزاع - فلابد من وجود طائفة مصلحة تقوم بمحاولة التوفيق السلمى على أساس قواعد الإسلام وضوابطه فى العلاقات الدولية ، فإن أبت إحدى الطائفتين المتنازعتين فعندئذ يكون التدخل العسكرى ضرورة

(١) سورة الحجرات : الآية ٩ ، ١٠ .

لفض النزاع ولارغام الظالم الكف عن ظلمه ، وبما أن التدخل ضرورة فإنها مقدرة بقدرها - فقتال الفئة الباغية نهايته عند استجابة الطرف الظالم لحق والذى يقوم بذلك الدور هو القوة العسكرية الإسلامية العالمية المكونة من جميع الدول المسلمة فى العالم .

وصور المساعدة يمكن أن تتنوع إلى أموال وأعيان ، فمن زكاة الزروع والثمار يمكن المساعدة بالمواد الغذائية بعد تجهيزها وحفظها لارسالها لمستحقيها ، ومن زكاة الإبل والبقر والغنم والماعز يمكن المساعدة فى الرعى الحيوانى ، أو اللحوم المجمدة ، ومن زكاة الركاز يمكن المساعدة في مجال التعدين ، ومن زكاة النقدين يمكن المساعدات النقدية لإقامة المشروعات النافعة وإقامة الصناعات وتطويرها وهكذا ... فإن اقتصاد العالم الإسلامى إذا قوى وتماسك وأحس المسلمون بالحاجات الاقتصادية لأخوانهم وشعروا بحاجتهم وقلهم وبادروا من منطلق الأخوة الإيمانية للعون والمساعدة وتفريج الكروب فإن المسلمين سوف تعود إليهم مكانتهم وقوتهم وتسمع كلمتهم ويرهب جانبهم وتعتبر آراؤهم - ماداموا متحدين تجمعهم فكرة الأيمان ورابطة الأخوة - فى زمن ساد فيه منطق المادة والقوة .. الدولار والمدفع...

هذا .. وصندوق الزكاة العالمى هنا بالنسبة للمسلمين يمكن أن يقوم مقام «صندوق النقد الدولى» فى مساعدتهم وأعانتهم بلا مضاعفات ربوية ولا فوائد تضخم الديون وتصعب سدادها وتجعله مستحيلا ويفتح باب لتحكم الغرب فى العالم الإسلامى .

د - التبادل التجارى : وهذا يعنى التصدير والاستيراد بين دول العالم الإسلامى ، وبينها وبين دول العالم الغربى وأوربا ، وهذا يمثل انتعاشا اقتصاديا فى المجتمعات الإسلامية والفائض لدى المسلمين يمكن تبادله بما

يحتاجون من الغرب ويعانون من قلته عندنا نحن المسلمين ،وكما سبق أشرنا إلى أن العالم الإسلامى زاخرا بالخيرات والثروات الزراعية والمعدنية والحيوانية، ويمكن قيام الصناعة فيه حيث أن مقوماتها متوفرة وتمكن تطويرها لتنافس الصناعة الأجنبية ، ويجب على المسلم تشجيع منتجات عالمه الإسلامى ودولته، وعدم الركون الكامل إلى المستورد من العالم الغربى بحجة أنه متقن الصنع وأجود من نظيره فى العالم الإسلامى ، لأن إتقان الصنعة وتحسين العمل من سمات الإسلام ﴿إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه﴾ وهذا ما يجب أن تنتبه إليه المسلمون فى صناعاتهم فإتقان العمل سمة إسلامية أخذها عنا الغرب وتفوقت علينا مصانعهم بها - فلنعد إلى روح الإسلام وتوجيهاته فى مجالات الحياة المختلفة فهو دستور عمل ومنهج حياة طيبة آمنة .

٣ - خطوات حل المشكلات السياسية :

ونعنى بهذا النوع من المشكلات ما نجم من اختلافات فى العلاقات الدولية ، وما نشأ عن ذلك من نزاعات ومشاحنات تصل بالدول إلى المواجهات العسكرية وقد تكون هذه الخلافات بين دول العالم الإسلامى ، أو بينها وبين دول العالم الغربى ، أما عن النوع الأول وهو ما يقع من خلافات بسبب اختلاف وجهات النظر فإن الإسلام بتشريعاته كفيل بحلها على النحو التالى :

أ - تأكيد روح الأخوة بين جميع المسلمين وتعميقها فى النفوس من منطلق العقيدة والأخلاق[1]، وحيث إن الحاكم المسلم يعلم أنه من واجباته العمل على مصلحة دولته حراسة الدين فيها مع الشعور بأحوال غيرهم ويوجب عليه الإسلام التعاون مع غيره لحل ما يعرض من مشكلات وأن يحب

(١) انظر مبحث ذاتية الإسلام فى هذا الكتاب .

لأخيه ما يحب لنفسه ، فكما يحب الخير لرعيته ، يحبه لأخوانه المسلمين فى كل بقاع العالم.

ب ـ اتحاد الكلمة ووحدة الرأى : ونعنى هنا اجماع زعماء العالم الإسلامى على كلمة واحدة وخطة عمل واحدة يتعاون الجميع على تنفيذها ، وعن طريق الشورى ومناقشة الآراء يمكن الإتفاق على رأي موحد فى النهاية يتعاون الجميع فى الأخذ به وتنفيذه مادامت الغاية لوجه الله تعالى ولمصلحة الدين والناس ولأن الإتفاق يؤدى إلى القوة والترابط والفرقة يؤدى إلى الضعف والفشل ، يقول تعالى : **﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾**(١) وحكام المسلمين عليهم الانتباه لهذه الحقيقة التى حذرنا منها القرآن وتنبه إليها أعداء الإسلام فاعتمدوا على زرع بذور الفرقة والشقاق والاختلاف بطرق وأساليب خبيثة حيث آمنوا بقاعدة «فرق تسد» وخافوا من ضدها وهو «الاتحاد قوة» وعندئذ لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا.

جـ ـ العمل علي إيجاد حلول للمشاكل في اجتماعهم في الحج : فهو مؤتمر إسلامى عام يلتقى فيه المسلمون لقاء عالميا حيث يجتمعون من كل بقاع العالم الإسلامى ويلتقون فى مكان واحد ، وزمان واحد فى عرفة يوم التاسع من ذى الحجة ليؤدوا فريضة الحج آلسنتهم لاهجة بالدعاء وطلب الرضا والتوفيق وصلاح الدين والدنيا ، يتحركون حركة واحدة تتلاحم أجسادهم وقلوبهم الكل يأمل فى نيل المغفرة متجرداً من كل شئ إلا إيمانه بالله ، فى هذا الجو المفعم بالأيمان يلتقى حكام المسلمين تحت رابطة الإسلام والعقيدة يطرحون مشاكل بلادهم والتناقش فى حلها وتصور الحلول لها والإتفاق على نفيذها ثم

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦ .

الإتفاق على اللقاء في العام التالى لإستعراض ما تم تنفيذه من حلول وما لم يتم وسبب توقفه والعقبات التى أدت إلى عدم تنفيذه والعمل على إزالة هذه العقبات .

ويُمكن الإتفاق على عقد لقاءات خلال العام فى صورة مؤتمرات إسلامية أو ندوات في موضوعات معينة ، أو لمناقشة قضايا محددة أو غير ذلك ، فهذا كله يمكن أن يؤدى إلى جمع الكلمة ووحدة الرأى لأنه لاخلاف فى أمور جوهرية حيث إن المحتكم فى النزاع واحد وهو الكتاب والسنة ـ وباب الاجتهاد لأهله إلى يوم القيامة .

د ـ إنشاء المؤسسات الإسلامية العالمية : ونعنى بها المنظمات التى تعمل على جمع مسلمى العالم وتوحيد جهودهم ، وتقريب أرائهم ، مثل منظمة المؤتمر الإسلامى ، ورابطة العالم الإسلامى ، ويمكن أن تضم هذه المؤسسات أقساما فيها تشمل الجوانب الثقافية ، والاعلامية ، والعسكرية والاقتصادية وشتى مجالات العمل السياسى ، ومن خلال هذه المؤسسات وتلك المنظمات تخرج آراء زعماء العالم الإسلامى إزاء القضايا المختلفة حيث يتفقون فيها على كلمة واحدة ورأي واحد ، وقبل تمثيل المسلمين فى أى تجمع عالمى لابد من الإتفاق على الموقف الموحد والرأى الواحد المبنى على أساس العقيدة والشريعة.

هـ ـ الوحدة العسكرية والاستراتيجية الواحدة : ونعنى بهذا وهو ثمرة لاتحاد الكلمة ووحدة الرأى ـ أنه التعاون العسكرى بين دول العالم الإسلامى جيش مشترك من جميع الدول ، معدات وتدريبات لجنود هذه الدول ، أننا نعيش فى عالم يسوده منطق القوة ، فالحق إذا لم يكن له قوة يسانده لا قيمة له ، فلاب من وجود جيش قوى مزود بأحدث الأجهزة والمعدات لصد مؤامرات الأعداء ورد مطامعهم فى خيرات ومقدرات العالم الإسلامى ، فإن القوة

العسكرية هى حامية القرار السياسى والاقتصادى والثقافى ...

وإعداد الجيوش وتجهيزها ليس غريبا عن توجيهات الإسلام ، فالله تعالى يقول : ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾[1] والاستطاعة تخضع لمفهوم كل عصر ، فيعد بأقصى المستطاع فى كل عصر من وسائل الحرب والقتال ، وبالوحدة السياسية المدعمة بالجانب العسكري يمكن الوصول إلى حل سلمى أو عسكرى إذا دعا الأمر فى المشكلات الناجمة سياسيا أو عسكريا مثل مشكلة كشمير ، وفلسطين والخليج (العراق والكويت) ... وغير ذلك من مشكلات أوجدها تفكك المسلمين وعدم اتحادهم وعجزهم عن اتخاذ قرار موحد فى أية قضية من القضايا وذلك للبعد عن حصن الإسلام والخروج منه .

٤ - خطوات حل المشكلات الدينية :

ونعنى بها ما يتعرض له الإسلام من الطعون والشبهات ، والمسلمون من الاضطهاد والتنكيل لا لشئ إلا لأنهم مسلمون ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ [2]، مثل ما يتعرض له المسلمون فى البوسنة والهرسك من دولة الصرب ، والشيشان من روسيا الملحدة ، والمسلمون فى الهند من البوذيين والهندوس .. وكذا ما يتعرضون له من حملات التنصير ، ونشر الأفكار الخاطئة كالقاديانية والبهائية ونوجز خطوات الحل فيما يلى :

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠ ، ٦١ .

(٢) سورة البروج : الآية ٨ .

أ - الوحدة السياسية والعسكرية :

لاتخاذ رأى واحد وقرار واحد ، تدعمه القوة العسكرية إذا لزم الأمر لرد العدوان وصد الاعتداءات عن المسلمين وهذا واجب تمليه الأخوة الأيمانية كما ذكرنا .

ب - تعميق الثقافة الإسلامية :

وذلك بإبراز معالم الإسلام ومحاسنه وملاءمته للفطرة ، وأنه سبيل لصلاح المجتمعات ، وأنه نظام الله فى إصلاح أحوال العباد ، وبيان موقف الإسلام من مختلف القضايا .

جـ - التكامل الإعلامى تكنولوجياً :

وذلك باستغلال المخترعات الحديثة لوسائل الاتصال كالأقمار الصناعية ، والإيريال الدولي «الدش» حيث أنه يمكن توحيد الجهود لتوظيف هذه الوسائل لبث الفكرة الصحيحة عن الإسلام من خلالها بلغات مختلفة إلى شتى بقاع العالم للتعريف بالإسلام الصحيح حيث إن أغلب المسلمين فى بلاد الغرب ليست لديهم فكرة واضحة عن الإسلام ، وربما شوش عليهم المبشرون والمستشرقون أفكارهم عن الإسلام فهم - أى المبشرون والمستشرقون - مصدر المعلومات في أغلب الحالات عن الإسلام .

مما يجعل المسلمين فى هذه المناطق فريسة سهلة للوقوع فى شباك الأفكار المضللة - وإذا أرادوا الإسلام فى بعض المناطق يعرفونه من خلال القاديانية أو البهائية معتقدون أنها الحق - فمن هذا كانت الضرورة الملحة للأعلام الإسلامى الموحد المعتمد على أحدث وسائل الاتصال لتعريف العالم بالدين الحق ،

والإسلم الحنيف بأخلاقه الكريمة وعقيدته الخالصة ، وكذا بالقرآن والسنة وسائر معالم الإسلام ـ وهذا من واجب نشر الإسلام والتعريف به والدعوة إلى اتباعه .

د ـ نشر المراكز الإسلامية بالغرب لبيان مفهوم الإسلام :

وهذا يمثل الاتصال المباشر بين الدعاة بين المدعويين فى هذه البلاد ، وهذا أجدى وأنفع لأنه يرد مباشرة على أى استفسار أو شبهة أو اشكال ، ولتلك المراكز المنتشرة دورها الهام والفعال فى التعريف بالإسلام وتطبيق أحكامه عمليا على المسلمين فى تلك المناطق ، إلا أنه ينبغى على القائمين على تلك المراكز أن يعتبروا الدعوة رسالة يقومون بأدائها ويشرفون بالقيام بها ، لا وظيفة يتقاضون الأجر عليها ، وإنما يجب أن يعتبروها رسالة سامية يشرفون بحملها بجانب كونها وظيفة .

بهذا يتم التعريف الكامل بالإسلام ، وتتضح الأفكار الهدامة والمذاهب الباطلة التى يمكن أن تشوش على المسلمين فكرهم عن الإسلام ولتنفيذ هذه الاستراتيجية يجب أن يتعاون حكام العالم الإسلامى من منطلق الشعور بالمسئولية نحو الأمة ـ حيث يتعاونون على الدعم المادى والمعنوى لهذه الأنشطة حتى تستمر وتنجح فى مهمتها الأعلامية فى التعريف بالإسلام ، ويوم أن يضعف حكام المسلمين بسبب الفرقة والاختلاف ينهدم كل البناء ويصيرون مطمعاً للأعداء ونهبا لهم .

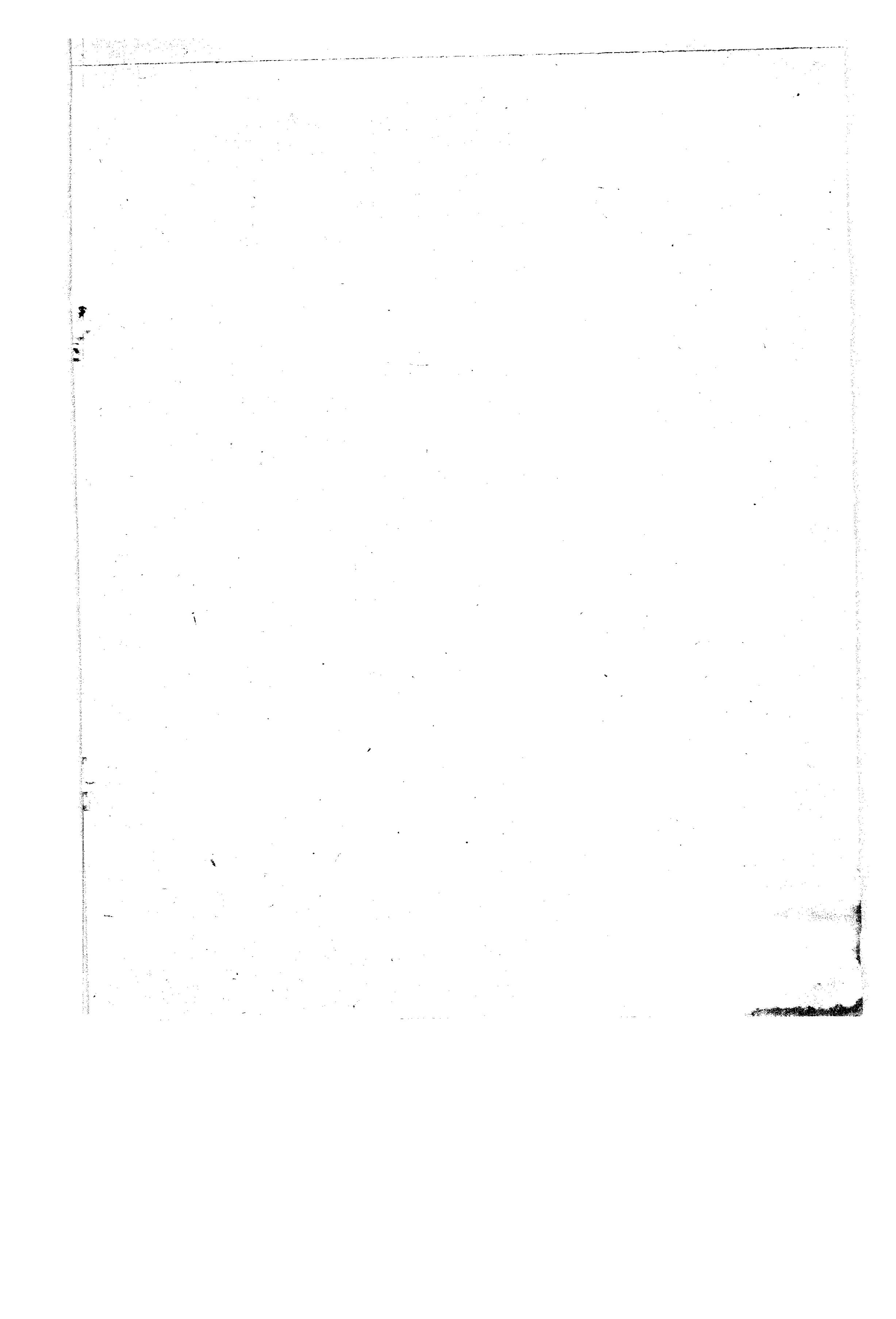
وأخير ... ترابط الحلول ... وتواصل الدوائر ـ فعند وضع خطط الحل يجب أن تكون كل الجهود مترابطة متحدة لا متفرقة متناثرة فعندئذ لا تؤثر ولا تجدى الحلول الفردية ..

وخطوات الحل السابقة مترتبة بعضها على بعض ، فالبدء وضع الركيزة والأساس الجامع للمسلمين هو العودة إلى تعاليم الإسلام والاستمداد القوة منه عقيدة وعملاً شريعة وأخلاقا ، ومن خلال هذه الجامعة الإسلامية والرابطة الروحية ، تتوحد الجهود الاقتصادية ويحدث التكامل الاقتصادى فى روح التعاون والود والتآخى والتعاطف وظل الوحدة العضوية للأمة الإسلامية ، وانطلاقا من الروابط الثابتة للإسلام يتحد الرأى وتتوحد المواقف تجاه الأحداث، وبالثقل السياسى والاقتصادى يكون لآرائهم اعتبار ، خاصة إذ ساندت هذا الرأى الواحد قوة الموقف العسكرى والوحدة العسكرية التى يتحقق بها ردع المعتدين وتحقيق السلام ، ونشر الإسلام بين ربوع العالم **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾**(١) ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة الحج : الآية ٤٠ .



الخاتمة

وبعد فيا أخي المسلم

لقد اتضح جليا ان ما لحق المسلمين من التمزق والفرقة والهوان مع ما من الله به عليهم من خيرات وثروات في اوطانهم كل ذلك كان بسبب تخليهم عن دينهم والتهاون في التزامه ، وترك الاهتداء به والاجتماع على كلمته وتبعية اعدائهم وعدم اللجوء الى حصن الشريعة والعقيدة .

عندما هان الدين في نفوس المسلمين وتخلوا عنه هانوا على كل الامم وطمع فيهم الصغير والكبير وتداعت عليهم الامم كما يتداعى الاكله على قصعتهم .. ودبرت لهم المؤامرات واشعل أعداؤهم نيران حروب زجو اما بالمسلمين فيها فضاعت اموالهم في شراء الأسلحة وقتل بعضهم بعضا بها في حرب لا ناقه لهم فيها ولا جمل دب الضعف الى نفوسهم وتفرقت صفوفهم .. فماذا نرى الآن ؟ نرى امة متفرقة هزمها الشيطان .. فلا خلاص ولا منجى الا باللجوء إلى الله واتخاذ كتابه دستورا للحياة ومنهج عمل .

والحاجة إلى وحدة الأمة في الوقت الحاضر ملحة لتصدغارات الاعداء عنها انها ضرورة لتحقق قوة العالم الاسلامي - وهذا لا يتحقق الا بالعودة إلى الاسلام دين السلام والقوة والعزة والكرامة .. ان الاسلام يؤكد وحدة الصف وترابطه وتوسيع دائره الاتحاد والتماسك .. فمثلا صلاة الجماعة افضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة - لماذا ؟ لأن فيها وحدة صف واجتماع للمسلمين ، وبعض الصلوات لا تصح الا بالجماعة كصلاة الجمعة ، والحج عرفه لا يصح الا بالحضور في عرفة يوم التاسع من ذى الحجة تتحقق الوحدة الزمانية والمكانية حيث تجمع الأمة من كل مكان ، في مكان واحد هو عرفة ، وزمان واحد هو التاسع من ذى الحجة ، والسبيل الى قوة الأمة وسيادتها على

العالم كله هو العودة الى الاسلام والتراق . على النحو الآتى :

١ ـ العودة الى السلام تعنى ان يمتزج الاسلام بالمجتمع فتكون كل نظمه وفقا لتشريعات الاسلام وتعاليمه ولتحقيق هذا التمازج ان تقوم كل المؤسسات التعليمية بدورها في كاملا فى غرس قيم الإســـلام وتعاليمه فى نفوس المجتمع . .

أ ـ تقوم الأسرة بدورها فى تربية النشء على اسس الاسلام واختلاقه وثقافتة .

لأن ما يغرس في نفس النشء فى مرحلة الطفولة يشب عليه الطفل ويبنى عليه مواقفه وامكان على الاشياء .

ب ـ فى اطار لتعليم بكل مستوياته يجب ان تكون المناهج مستمدة من الاسلام ومبنية عليه وتهدف الى ربط الدارس بالحياة اسلاميا سلوكا وعقلا ووجدانا ، وان تؤكد العملية التعليمية مبادئ الاسلام فى نفوس الطلاب .

جـ وفى مجال الاعلام : يجب آن تكون تكون جميع الاعمال الاعلامية الفنية منها وغير الفنية مؤكدة لتعاليم الاسلام كالبرامج المختلفة ، والأعمال الدرامية كالتمثيليات والأفلام وغير ذلك حيث يمكن توظيفها لغرس قيم الاسلام وكذا مجالات الاعلام المقرؤة كالصحف والمجلات

٢ ـ الوحدة السياسية : وهذا يعتبر ثمرة طيبة لجمع الاسلام لشمل المسلمين فى توجيهاته الاجتماعية ، ووحدة قواعد نظم الحكم ، وحدة المصدر والمنهج والمتحكم ـ عندئذ يشعر المسلمون بتقارب أفكارهم واتحاد مبادئهم وتشابة مواقفهم ازاء القضايا المختلفة ـ وباجتماع الكلمة ووحدة الرأى يتحقق لهم الثقل السياسى الذى يجعل العالم كله يحسب حساباته قبل اتخاذ أى قرار لا يوافق عليه المسلمون .

٣ ـ الوحدة الاقتصادية : وهذه ايضا ثمرة ونتيجة للالتزام بالاسلام حيث يشعر كل المسلمين بحاجات بعضهم فيتكاملون اقتصاديا ويتعاونون لتحقيق الوحدة الاقتصادية التى تغنيهم فى أغلب الاحوال عن طلب العون والمساعدة من غيرهم مع مديد المعونة والدعم الى المحتاجين من المسلمين عالميا ومحليا .

٤ ـ الوحدة العسكرية . . حيث يتعاونون عسكريا فى الدفاع عن المظلوم ومعاونته لرد الظلم عنه وذلك بامداد الدول الاسلامية الفقيرة بما تدافع به عن نفسها من مال وعتاد ، وكذا تكوين جيش متعدد الجنسيات لكنه اسلامى كخط دفاع اول عن مصالح مسلمى العالم ورداى اعتداء عليهم وعلى مصالحهم ، واعداد المستطاع من القوة امر إلهى خوطبت به الأمة الاسلامية ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . . ﴾ وهو أمر واجب الاتباع فى كل عصر وأوان ، ونوع المستطاع من القوة يتحدد فى كل عصر باحدث صيحات التكنولوجيا العسكرية فى كل عصر .

وهنا نتساءل : هل هذا يمكن تحقق فى الواقع او أنه مجرد امانى تخطها الاقلام ؟

والجواب : يكون بالإيجاب . . لأنه جرت سنة الله فى خلقه انه بالتزام هداه ودينه والخلق باخلاق الاسلام فإن الله يمن على عباده بالأمن والاستقرار والرخاء والبركة فى الرزق حيث ربط الله النتائج بمقدماتها فيقول تعالى عن نوح مع قوم : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا. يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾(١) وقال عن أهل الكتاب : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم . . . ﴾(٢) وقال عن البشرية

---

(١) نوح ١٠ ـ ١٢   (٢) المائدة من آية ٦٦

جميعا: ﴿ ... فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾(٣) ويقول كذلك : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (٤) فهذه الآيات التى أوردناها على سبيل التمثيل لا الحصر يجمعها انها اساليب شرط تفيد مقدماتها ضرورة الالتزام بالايمان والتقوى واتباع الدين والتزام الاسلام ، وتؤكد نتائجها ثمرة هذا الالتزام وهى فتح ابواب الرزق ووضع البركه فيه ، وحياة الامن والسعادة نتيجة لا تباع هدى الله ودينه ، ورتب الله النصر على الاعداء وتثبيت الاقدام مما يمن الله به عليهم من هبات مادية وروحية ونصر عسكرى، على نصرة دين الله بإقامة أركانه وشعائره وتطبيق اوامره واجتناب نواهيه .. وهذا وعد .. ووعد الله لا يتخلف .. والرجوع الى تاريخ الأمة الاسلامية فى زاهر عهدها واوج قوتها وانتصارها نجد أنها قد التزمت وتمسكت واهتدت بدين الله فاكتسبت قوتومنعه سادت بها العالم كله ورهبها اعداؤها .. ويوم ان تهاون المسلمون وابتعدوا عن منهج الله دب الضعف الى نفوسهم ووجد الشيطان الى قلوبهم سبيلا ففرق الصف ومزق الشمل .. فالاخذ بالاسباب سبيل لتحقيق النتائج .

فليس الأمر خيالا ولا مستحيلا وعد الله لا يتخلف ونصره دينه سوف يتحقق ويجتمع شمل الأمة وتتوحد الكلمة ، ويتحقق قول الله تعالى : ﴿ ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ﴾ .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د. جلال سعد البشار

قليوب البلد

فى ٣ من ذى الحجة ١٤١٧ - ١٠ من ابريل ١٩٩٧

---

(١) طه ١٢٣ - ١٢٤ (٢) محمد آية ٧ .

أولاً : فهرس بأهم المرجع

١ - القرآن الكريم

٢ - إحياء علوم الدين - أبوحامد الغزالى - ط دارالشعب.

٣ - الإسلام قوة الغد العالمية - باول شمتز - ترجمة د/ محمد شامة - ط مكتبة وهبة .

٤ - اقتصاديات العالم الاسلامى - محمود شاكر - بدون .

٥ - الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع - الخطيب الشربينى - ط دار الكتب العلمية - بيروت .

٦ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد - ابن رشد - ط دارالكتب الحديثة عام ١٩٧٥ .

٧ - بين السلام والمسيحية - أبوعبيدة الخزرجى - تحقيق / محمد شامة - ط مكتبةوهبة .

٨ - تاريخ الخلفاء - جلال الدين السيوطى - ط دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .

٩ - تاريخ الشعوب الاسلامية - كارل بروكلمان - ط دارالعلم - بدون .

١٠ - تاريخ العالم الاسلامى - د. محمود زيادة - ط دارالطباعة المحمدية عام ١٩٧٠ .

١١ - تفسيرابن كثير - ط الحلبى - دار إحياء الكتب العربية - ط . عيسى الحلبى .

١٢ - تفسير القرطبى - ط دارالريان للتراث .

١٣ - تفسير الكشاف - الزمخشرى- ط دارالمعرفة / بيروت لبنان .

١٤ - تقويم الفرد وتنظيم المجتمع - محمد موسى عثمان - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

١٥ - جغرافية العالم الاسلامى - د /محمدصبحى عبدالحكيم- ط معهد الدراسات الاسلامية - دار الحضارة .

١٦ - حاضر العالم الاسلامى - لوثروب استوادرد -ط دارالفكر .

١٧ - الحل السلامى فريضة وضرورة - د / يوسف القرضاوى- ط . مكتبة وهبة .

١٨ - دراسات فى السيرة النبوية- د / محمد الطيب النجار - ط مكتبة الجامعة الأزهرية عام ١٩٧٠ .

١٩ - دراسات فى السياسات الاسلامية - د / أحمدسنويلم العمرى- ط معهد الدراسات الاسلامية .

٢٠ - دراسات فى النفس الإنسانية- محمد قطب - ط دارالشروق .

٢١ - الدعوة الاسلاميةفى آرخبيل الملايو- د . رؤوف شلبى .

٢٢ - روح الدين الاسلامى - عفيف طبارة - توزيع دار العلم للملايين - بيروت لبنان .

٢٣ - سكان العالم الاسلامى- محمود شاكر - ط بيروت ١٩٨٣ .

٢٤ - سننا بن ماجة - ط دارالفكر - بدون .

٢٥ - سنن الترمذى- ط الحلبى دار إحياء الكتب العربية - ط . عيسى الحلبى.

٢٦ - السلوك الاجتماعى فى الاسلام- حسن أيوب .

٢٧ - شرح العقيدة الطحوية - الحنفى - تحقيق عبد الرحمن عميرة - ط المعارف / الرياض ١٩٨٢ .

٢٨ - صحيح البخارى - ط دارالشعب.

٢٩ - صحيح مسلم بشرح النووى - ط دار الشعب .

٣٠ - العالم الاسلامى اليوم - د / عادل طه يونس -مكتبة ابن سيناء للنشر والتوزيع.

٣١ - كيف بنى الاسلام مجتمعاً سليماً - د / عبدالعزيزأحمد -مكتب الإيمان - بدون .

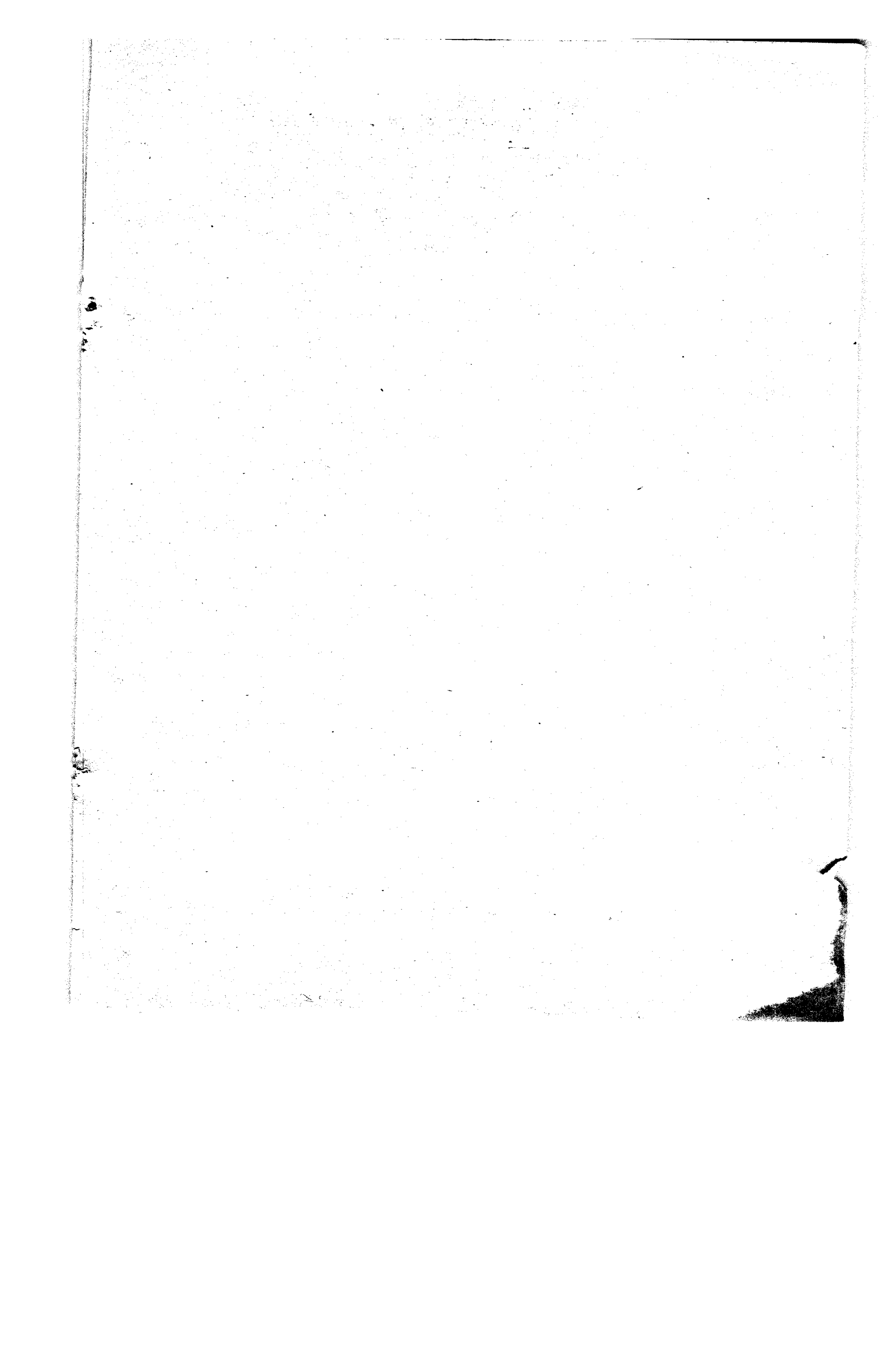
٣٢ - مذكرات فى نظام الحكم والإدارة فى الدولة الاسلامية - المستشار عمرالشريف - ط المدنى ٧٦ .

٣٣ - منهج القرآن فى بناء المجتمع - الشيخ شلتوت - سلسلة كتاب الهلال عدد ٣٧ .

٣٤ - فقه السنة - الشيخ سيد سابق - ط مكتبة المسلم .

٣٥ - الفقه على المذاهب الأربعة - لجنة العلماء - ط وزارة الأوقاف - المطابع الأميرية.

٣٦ - قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام وابيدوا أهله - جلال العالم - مكتبة الصحابة .



ثانيا: فهرس الموضوعات

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٥٢٢٣ / ٩٧